عقيل سعيد محفوض

الأكراد واللغة والسياسة

دراسة في البنى اللغوية وسياسات الهوية

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES

الأكراد واللغة والسياسة

دراسة في البنى اللغوية وسياسات الهوية

الأكراد واللغة والسياسة

دراسة في البنى اللغوية وسياسات الهوية

عقيل سعيد محفوض

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES

الفهرسة أثناء النشر إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

محفوض، عقيل سعيد

الأكراد واللغة والسياسة: دراسة في البنى اللغوية وسياسات الهوية/ عقيل سعيد محفوض.

286 ص. : خرائط، جداول، صور ؛ 24 سم.

يشتمل على ببليوغرافية (ص 255 - 267) وفهرس عام.

ISBN 978-9953-0-2824-8

1. اللغة الكردية - الجوانب السياسية. 2. اللغة الكردية - الجوانب الاجتماعية. 3. اللغة الكردية - اللهجات. 4. الأبجدية الكردية. أ. العنوان.

491.597

العنوان بالإنكليزية

Kurds, Language and Politics:
A Study of Linguistic Structure and Identity Policies
by Aqil Said Mahfud

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن
اتجاهات يتبناها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

الناشر

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES

شارع رقم: 826 منطقة 66
المنطقة الدبلوماسية الدفنة، ص. ب: 10277 الدوحة قطر
هاتف: 00974 44199777 فاكس: 00974 44831651
جادة الجنرال فؤاد شهاب شارع سليم تقلا بناية الصيفي 174
ص. ب: 4965 11 رياض الصلح بيروت 2180 1107 لبنان
هاتف: 8 991837 1 00961 فاكس: 1991839 00961
البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org
الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org

© حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

الطبعة الأولى

بيروت، أيلول/ سبتمبر 2013

المحتويات

قائمة الجداول والأشكال والخرائط والصور 9

مُقدِّمـــة 11

الفصل الأول: الإطار النظري 19

أولًا: رؤية للمنهج 21

ثانيًا: السياسات اللغوية 23

ثالثًا: سياسات الهُوية 26

رابعًا: تنظير اللغة 30

خامسًا: اللغة والهُوية: «تداخل» و«تخارج» 31

الفصل الثاني: البنى اللغوية:
الأصل والتأسيس و«النظرية» 33

أولًا: أصل اللغة 36

ثانيًا: التأسيس 45

ثالثًا: «نظرية اللغة» 56

الفصل الثالث: الخريطة اللغوية
تعدّد اللغات وإشكالية اللهجات......61

أولًا: تعدّد اللغات واللهجات......64

ثانيًا: إشكالية اللهجات......69

ثالثًا: في التفسير الديني لتعدّد اللغات/ اللهجات......75

الفصل الرابع: جدل الألفبائية الكردية: بين العربية واللاتينية......79

أولًا: ألفبائية كردية قديمة......82

ثانيًا: تعريب الألفبائية مثاقفة وتحوّل ذاتي أم سياسة قصدية؟......87

ثالثًا: مشروع تغيير الألفبائية......92

الفصل الخامس: التحدي أو التهديد اللغوي......99

أولًا: معايير التهديد......103

ثانيًا: أبعاد التهديد......109

ثالثًا: جهات التهديد......116

الفصل السادس: التجارب اللغوية: توفيق وهبي وعرب شمو
وجلادت بدرخان والاستشراق......125

أولًا: بدايات التجارب اللغوية......127

ثانيًا: توفيق وهبي (1891 – 1984)......130

ثالثًا: عرب شمو (1897-1978)......132

رابعًا: جلادت بدرخان (1897 - 1951) 134
خامسًا: الاستشراق 138

الفصل السابع: السياسات اللغوية لدول «المجال الكردي»: «احتواء» اللغة الكردية 145
أولًا: الانكسار اللغوي والثقافي 147
ثانيًا: أدلجة اللغة 152
ثالثًا: السياسات الدولتية 154

الفصل الثامن: السياسات اللغوية الكردية 165
أولًا: الهُويات الكردية: الفرعية والهجينة 168
ثانيًا: اللغة والجدران 171
ثالثًا: ماذا تفعل السياسة؟ 175
رابعًا: اللغة و«تجاذبات» السياسة الكردية 179

الفصل التاسع: الإصلاح اللغوي 183
أولًا: الإصلاح: المعنى والأسئلة 185
ثانيًا: التفرع اللغوي: ميل اللهجات إلى «الاستقلال» 187
ثالثًا: «اليد الخفية» 189
رابعًا: «النماذج» أو «الأطر المعيارية» للغة: العبرية والفرنسية 191
خامسًا: إشكالية البعد الاستعمالي والبعد المعرفي للغة 194
سادسًا: هندسة اللغة 197

الفصل العاشر: اللغة وسياسات الهوية 203
أولًا: اللغة والهوية والقومية: أبعاد غير متلازمة 206
ثانيًا: اللغة وبناء الأمة 208
ثالثًا: المعضلة اللغوية: الإقرار – الإنكار 212
رابعًا: اللغة مسألة وجودية 213
خامسًا: فورة الهويات 218

خاتمـــة 223
الملاحـق 227
المراجـــع 255

فهـرس عـام 269

قائمة الجداول والأشكال والخرائط والصور

الجـداول

(1-3) الأحرف الـ «38» للأبجدية الفيلية 68

(1-5) استخدام اللغة الثانية (في المنزل) -
جنوب شرق تركيا.................................. 112

الأشكـال

(1-2) طبيعة تفاعلات الأبعاد الاستعمالية والمعرفية الرمزية
للغة في الواقع الكردي............................ 58

(1-4) القلم أو الأبجدية الكردية
كما ترد في مخطوط للنبطي.......................... 83

(2-4) ألفبائية كردية 84

(3-4) ألفبائية يفترض أن الإيزيدية استخدمتها سابقًا 86

الخرائط

(3-1) توزع اللغات الكردية 67

(7-1) الإقليم الكردي في شمال العراق
والمناطق المتنازع على طبيعتها الإثنية 161

الصور

(2-1) فلاديمير مينورسكي (1877 - 1966)................ 45

(6-1) توفيق وهبي (1891 - 1984) 131

(6-2) عرب شمو (عرب شمس الدين شامل)
(1897-1978).. 133

(6-3) جلادت بدرخان (1897 - 1951) 135

(6-4) الشاعر أحمدي خاني (1650 - 1707) 140

مُقدِّمة

تذكر الأسطورة أن ديرًا بُني على قمة جبل جودي (شرق الأناضول)، حيث رست سفينة النبي نوح؛ ولذلك الدير قصة مُلغَزَة أعيا الناس تفسيرها، ذلك أن المحاولات المتكررة لحساب مساحته (أو تشبيره) لم تفلح، فكانت نتيجة الحساب تختلف في كل مرة، فهي من اليمين إلى اليسار غير ما هي من اليسار إلى اليمين، كما كان الأمر يختلف مع كل محاولة جديدة!

تبدو مهمة الباحث في الشؤون الكردية مثل مهمة من يحاول «تشبير» الدير المذكور: يُقدِّم رؤيته وتحليلاته عن الكرد ليجد بعد ذلك أن من الصعب «تعيين» موضوعه و«تحديده»! وقد يكون هذا أحد أبرز الرهانات الكردية في الزمان العالمي الراهن.

تمثل دراسة العلاقة بين الكرد واللغة والسياسة، والتركيز على البنى اللغوية وسياسات الهوية أحد المداخل التفسيرية لعلاقة الكرد الملتبسة والإشكالية بالسياسة، التي تثير قدرًا غير يسير من الالتباس، وقدرًا قليلًا – حتى الآن – من النقاش، سواء أكان ذلك بالمعنى الثقافي والمعرفي أم بالمعنى السياسي والكياني. وتبدو الكتابة في هذا الجانب من الموضوع الكردي قريبة جدًا من «الحواف الخطرة» لمسألة لم تنل اهتمامًا جديًا بتقصي بداياتها ومساراتها وراهنيتها التي تتخذ أحيانًا أشكالًا تراجيديةً وحصريةً تقريبًا. إنها مسألة تُفتَح على «جروح» و«مواجهات» أنثروبولوجية عميقة، وذاكرة تاريخية سلبية، ومدارك مرتبكة، ورغبة جامحة في التشكل الكياني السيادي من جهة الكرد، والسعي الحثيث إلى «احتوائه» أو «الاستثمار» فيه من جهة الدول التي تحكم «المجال الكردي» ومن جهة النظامين الإقليمي والعالمي.

التعريف بالدراسة

يتألـف الكتـاب من مقدمة وعشـرة فصـول وخاتمـة، إضافة إلـى عدد من الملاحق. تتناول المقدمة مدخلًا وإطارًا عامًا وتعريفًا بمفردات الدراسة وعرضًا لعدد من أسـئلتها وهواجسـها الكتابية والمعرفيـة، فضلًا عن أهدافهـا وكيفياتها العامة.

يدور الفصـل الأول حول «الإطار النظري»، وفيه عـرض للإطار المنهجي والمفردات النظرية والتحليلية المسـتخدمة في الدراسة، التي تأتي في إطار علم اللغة الاجتماعي والسياسـي والتحليل الثقافي والتناول المعرفي لجدلية اللغة - الهوية - السياسـة في الفضـاء الكردي؛ كما يعـرض مفاهيم مثـل الهوية واللغة والسياسات اللغوية وسياسات الهوية والإصلاح اللغوي.

يتطرق الفصل الثانـي «البنى اللغويـة: الأصل والتأسـيس و«النظرية»» إلى ثلاثية «الأصل» و«التأسيس» و«التنظير» التي تتعلق بالشرط اللغوي لدى الكرد. ويتناول في المفردة الأولى النقاش في أصل اللغة وما يفترض أنه تطور تاريخي وتفـرّع لغوي أدى بالكرد إلى وضعهم اللغوي الراهن، وفي المفردة الثانية يُعنى بــ «التأسـيس» المفترض لوعـي اللغة بما يتضمّنـه ذلك من نقاش فـي العناصر الفاعلة المؤسسـة للوجود الكـردي، ونتحدث في المفردة الثالثـة «نظرية اللغة» عن طبيعة التحديات الماثلة أمام الخيار اللغوي المحتمل أو الممكن.

يتناول الفصل الثالث «الخريطة اللغوية: تعدّد اللغات وإشكالية اللهجات» «اللهجات الشـمالية» و«اللهجات الجنوبية» و«اللهجـات الفرعية» في الجنوب والشـرق مـن «كردسـتان». ويُعـد التكويـن اللهجـي إحـدى إشـكاليات الواقع الكـردي الراهـن، ذلك أن ثمة أشـكالًا لغويـة تتفاوت قـوة وتركيزًا بيـن منطقة وأخـرى، وتتجاذبها اتجاهـات متنازعة وتنحو نحـو تكوين هويـة متميزة، ومن ثم لم يسـتطع الكـرد الاتفاق علـى لغة/ لهجة واحـدة، ولم يتمكّنـوا من تطوير لغة وسـيطة قادرة علـى الجمع بين عدد مـن مكوّنات الاجتماع والبنـاء الثقافي الكردي، لأسباب عديدة تعرضها الدراسة في مواضع مختلفة.

يُعالـج الفصـل الرابع «جـدل الألفبائيـة الكردية: بيـن العربيـة واللاتينية»، حيـث إن نظرة عامـة إلى التكويـن اللغوي والسياسـات اللغوية فـي العالم تبرز بوضوح أن موضوع الألفبائية ليس تقنيًا خالصًـا، ولربما كان موضوعًا لرهانات ومنافسـات بل صراعات سياسـية متعددة. ويدور جدال نشـط حول الموضوع، هل تكون ألفبائية عربية مُعدّلة أم لاتينية مُعدّلـة؟ وهل إن التحوّل الألفبائي نوع مـن «مثاقفة» و«تحـول ذاتي» طبيعي أم نتيجة سياسـات «قصديـة» و«مفروضة» على الكرد؟

يتمحـور الفصـل الخامس حـول «التحـدي أو التهديد اللغوي»، إذ يشـهد البناء اللغـوي للكرد تحديات واسـعة الطيـف ومتفاوتة من حيـث إدراك الكرد له، ومـن حيث التأثيـر المحتمل فـي هويتهم/ هوياتهم الراهنـة. ويتخذ التهديد أبعادًا عديدة مثل «الحلول الكلي» للغات الجـوار محل اللغة/ اللغات الكردية، و«الحلول الجزئـي» أو «القطاعي»، و«الحلول الأداتـي»، أي ذلك الذي يخص الجوانـب الاسـتعمالية والتقنيـة، و«الحلـول الرمـزي» ويرتبط بالبعـد المعنوي والتكوين الثقافـي والهوية للجماعة الكردية، كما يتخذ «التهديد» وجوهًا عديدة مثل: الأصولي – الحداثي، الشفوي – الكتابي، اللهجات الكردية، الشتات.

يكمـل الفصـل السـادس «التجـارب اللغويـة: توفيـق وهبي وعرب شـمو وجـلادت بدرخـان والاستشـراق»، مسـألة اللغـة. إذ أدرك الكـرد أهميتهـا في زمن الحداثة السياسـية للمنطقة في الفترة ما بعد الكولونيالية، إلا أن مشـاغلهم الوجوديـة والعمليـة قللـت علـى مـا يبـدو مـن اهتمامهـم بالجوانـب اللغوية، خصوصًا في ما يتعلق بقضايا الهويـة اللغوية والألفبائية. وبرزت في فترة لاحقة مشروعات تحديث الألفبائية وهندسة ألفبائية لاتينية مُعدّلة، وهو ما قام به عرب شـمو وتوفيق وهبي وجلادت بدرخان، إضافة إلى مشروعات المستشرقين (أو المستكردين)، وثمة مشـروعات عديدة على مسـتوى «قوننة» اللغة و«تقعيدها» في ما يخص عددًا من اللغات واللهجات الفرعية والجهوية.

يدور الفصل السـابع حول «السياسـات اللغوية لدول «المجـال الكردي»: «احتـواء» اللغة الكرديـة»، ويعرض السياسـات التي تنهجهـا دول المنطقة تجاه

أكرادها في ما يخص الهوية وبُعدها اللغوي والثقافي، وتركز في ذلك على الانحسار التدريجي للغة والثقافة الكرديتين في تاريخ المنطقة، حيث أدت «أسلمة» الكرد - مع عوامل أخرى عديدة - إلى إدراجهم الفرعي في المجال الإسلامي في الجوانب الثقافية واللغوية، وهنا عُدَّ الإسلام عاملًا مُؤهِّبًا للتحول نحو العربية، لغة و/ أو حروفًا. واتبعت الدول المتشكلة حديثًا سياسات عقابية على استعمال اللغات الكردية، وأحيانًا عدّتها مسألة «أمن قومي». وتركزت سياسات الاحتواء الدولتية في استراتيجية رئيسة تمثلت بـ «مقاومة الأكراد بالأكراد».

يتناول الفصل الثامن «السياسات اللغوية الكردية»، سياسات الاحتواء الدولتية لهوية الكرد اللغوية، التي أدّت إلى ردّات فعل أو سياسات عكسية، لعل أبرزها تطور وعي الكرد بهويتهم، أكان ذلك وعيًا بالهوية العامة (أو الكلية) للكرد أم بالهويات الفرعية والجهوية التي ينزع بعضها إلى التمايز حتى عن العنوان الكردي الواسع. ويجتهد الكرد في دينامية مركبة تتمثل بـ «إقامة - إزالة» الجدران والحواجز بين اللغات واللهجات الكردية من جهة، واللغات الأخرى من جهة ثانية. وثمة تصور يعدُّ الكرد يتطورون خارج «الدولة» وبمواجهتها، وأنهم بسبب المواجهة لم يستطيعوا تحقيق التشكل الدولتي الخاص بهم، أو لم يُتح لهم ذلك. لكن ماذا عن غياب الدولة الكردية؟ وهل يمكن أن يحدث «الاندماج» أو «التهجين» بين الكرد بغياب إرادة سياسية جامعة، وفي ظل سياسات دولتية وإقليمية ودولية «قاهرة»؟

يتطرق الفصل التاسع إلى «الإصلاح اللغوي» الذي يشكل خطوة أخرى في سياسة الكرد اللغوية، ويستهدف التأثير في الواقع اللغوي كلّيًا أو جزئيًا من أجل تحسين شروط مشروع الكرد القومي. وثمة من الكرد من اتخذ اللغة العبرية نموذجًا للإحياء اللغوي مثل جلادت بدرخان. ويركز الكرد على الجانب الاستعمالي للغة أكثر من الجانب الدلالي، وهذا يعطي وزنًا معنويًا أكبر للفاعل الاجتماعي باعتباره العامل الرئيس في إدراج اللغة باعتبارها إحدى العناصر الفاعلة في التطوّر القومي.

يتركز الإصلاح اللغوي على مفردات وسياسات رئيسة مثل: تغيير الألفبائية ووضع نواظم نحوية والتخلي (ما أمكن) عن الكلمات والتكوينات اللغوية الفارسية والتركية والعربية وغيرها، وترميم المخزون اللغوي والربط بين الهوية القومية والهوية اللغوية.

يعالج **الفصل العاشر** «اللغة وسياسات الهوية»، وأسّس سياسات الهوية - في جوانب منها - على المعطى اللغوي، وهي تُفتح بذلك على بؤر من التوتر والنزاع بين الكرد وجيرانهم من جهة، وبين الكرد أنفسهم، أي جماعاتهم اللغوية أو لهجاتهم، من جهة أخرى. ويتداخل البعد اللغوي مع أبعاد أخرى، وكثيرًا ما تكون الجماعة اللغوية هي نفسها تقريبًا الجماعة القبلية أو القبلية السياسية والمنطقة الجغرافية، وأحيانًا تكون جماعةً دينية أو مذهبية أيضًا، الأمر الذي يجعل المسألة اللغوية تُعبِّر بشدة عن إشكاليات، أو لنقل تحديات التوحيد القومي للكرد في العالم اليوم.

وأخيرًا، **الخاتمة**.

أسئلة الدراسة

إن تناول «السياسات اللغوية» و«سياسات الهوية» هو بالضبط باب لمناقشة عدد من قضايا الوجود الكردي المعاصر. وهذا يعني أن المسألة اللغوية تتحدد بطريقة يُراد منها أن تساعد في تحليل السياسة الكردية وتفسيرها من جهة، والسياسات «الغيرية» في شأن الكرد من جهة أخرى. وتتضمن المدارك (والسياسات) اللغوية ربطًا من نوع ما بين الفكر والممارسة، وبين «الاسم» و«المسمى». وهنا، تختلط الأبعاد الوظيفية للمسألة اللغوية بالأبعاد المعرفية، مثلما أنها تتداخل مع السياسات الدولتية والسياسات المناهضة لها.

متى أصبحت اللغة هاجسًا كرديًا؟ في أي لحظة زمانية أو مكانية وبمواجهة أي تحدٍ؟ ومتى شعر الكرد بالحاجة إلى لغة قومية؟ وهل تأخر سؤال اللغة (في بعده السياسي) لدى الكرد؟ ما هي العلاقة بين السياسة واللغة والهوية في الفضاء الكردي؟ وهل ثمة خصوصية ما للعلاقة بين السياسي واللغوي كرديًا؟

ماذا يحدث عندما يقيم الفكر السياسي تلازمًا بين اللغة والسياسة، فيَعدّ الأولى شرطًا للثانية (بالمعنى الإثني والقومي)، وكيف أصبحت اللغة مادة وموضوعًا للمنافسات السياسية واستراتيجيات الهوية، و«الاحتواء» و«الاحتواء المتبادل»؟ وما هو موقع اللغة في سياسات الهوية بالنسبة إلى «دول المجال الكردي» وإلى الكرد؟ وما هي جدليات الهوية الممكنة أو المحتملة كرديًا؟ وهل طرَحَ الكرد أسئلتهم عن اللغة والهوية أم أنهم «نقلوا» تلك الأسئلة عن «الآخر»، أوروبيًا أكان أم عربيًا أم تركيًا أم فارسيًا أم غير ذلك؟

كيفيات الدراسة

يتطلّب البحث في واقع اللغة والثقافة والهوية والسياسة قراءات متعددة في التحولات التاريخية والأصول والإشكاليات التي أدت بالكرد إلى ما هم عليه الآن، لا القيام بإسقاطات من الواقع الراهن على الماضي، أو القول بـ«نظرية المؤامرة» وإن الكرد تعرضوا لـ«غزو» ثقافي ولغوي وديني، مثلما تعرضوا لأنواع الغزو الأخرى، وأنهم ضحايا أشكال من «التواطؤ التاريخي» ضدهم. هذه مقولات إسقاطية لا تنطوي على كثير من المدارك والمعارف بالحركية التي حكمت الوجود التاريخي والثقافي للكرد في المنطقة وربما في العالم؛ ومن ثم على الكرد والمهتمين بالشأن الكردي (والإقليمي) أن يبذلوا كثيرًا من الجهد في تقصّي تاريخ المنطقة وثقافتها وتحوّلاتها بقدر أقل من الأدلجة والتحيّز والاستعجال. وكون الاجتماع الكردي لم يكن موضوعًا رئيسًا للبحوث والدراسات الإقليمية، بل كان هامشيًا وعلى أطراف الشواغل العربية والتركية والفارسية وغيرها، ظهرت مشكلات كثيرة على صعيد المعرفة كما على صعيد الواقع.

تواجه الثقافة الكردية، مثل أي ثقافة أخرى، العديد من التحديات الذاتية والموضوعية، ما يتطلّب إدراج الكرد في أولويات البحوث والدراسات والمسوح الثقافية والأنثروبولوجية والتاريخية على أسس علمية واضحة. وينشأ ذلك من باعث رئيس هو أهمية الثقافة الكردية في المنطقة والعالم، على عكس ما يُظن للوهلة الأولى، ذلك أن الانطباع الأوّلي عن هامشية تلك الثقافة أو

تابعيتها هو وليدُ وضعٍ سياسي وصورٍ ومدارك غير واقعية، وأحيانًا أنماط تربوية وأيديولوجية منحازة.

المطلوب اليوم تجاوز النمطيات والتصورات المسبقة والخلل والأدلجة الفجّة في فهم المسألة الكردية، كما عدم اعتبارها هوامش لمراكز، بل أخذها باعتبارها جهات وجوانب وزوايا رئيسة للنظر فيها مباشرة. والمطلوب أيضًا النظر إلى الموضوع الكردي (والإقليمي والعالمي، إن أمكن) من منظار كردي أيضًا، لكن ليس من باب التنويع على الصورة بل من منظار البحث عن أصل وفهم ورؤى لديها قابلية التواجد على درجة أو مسافة موضوعية من الآخرين.

هواجس بحثية

يبدو الكردي اليوم أشبه ما يكون بلاعب يقف أمام عجلة الحظ[1] (Rota Fortunae)، لكن الخيارات «كلها» سيئة بالنسبة إليه، وعليه أن يختار الأقل سوءًا، وهو ما يمكن أن يكون أكثر سوءًا بالنسبة إلى كردي آخر، أو إلى شريك آخر (عربي أو تركي أو فارسي). وهذا ما يجعل المشهد الكردي عبارة عن تراجيديا مفتوحة على تاريخ طويل من الوقائع والمواجهات، وأنطولوجيا[2] شديدة الوطأة وعابرة للزمان والمكان. ويضاف إلى ذلك «دورة سيزيفية»[3] تجسد معاناة مديدة من أجل تحقيق كينونة وهوية معترف بهما. وهذا كفيل بأن يجعل علم السياسة «الكردي» أشبه بعلم يتقصى تراجيديا ثقيلة الوطأة مفتوحة على تتابع لا ينقضي من الأزمات والمواجهات.

---

(1) عجلة الحظ (Rota Fortunae) هي لعبة شعبية انتشرت على نطاق واسع. وتستند إلى مفهوم في فلسفة العصور الوسطى والقديمة يشير إلى الطبيعة المتقلبة للأقدار والمصائر. تنسب العجلة (Rota) إلى الإلهة فورتونا (Fortunae) الإغريقية التي تدوّرها أو تديرها عشوائيًا، فتتغير أوضاع الذين على العجلة أو مصائرهم. هكذا يعاني البعض سوء حظ كبير فيما يحصل البعض الآخر على حظوظ كبيرة، لكن بشكل لا يمكن التنبؤ به أو توقعه. وتظهر الإلهة فورتونا في لوحات وألعاب الحظ المذكورة على شكل إمرأة معصوبة العينين.

(2) أنطولوجيا (Ontology) أو علم الوجود.

(3) سيزيف (Sisyphus) نسبة إلى أسطورة إغريقية قديمة تتحدث عن سيزيف أو سيسيفوس، وكان أكثر الأشخاص مكرًا، حيث استطاع أن يخدع إله الموت ثاناتوس وتكبيله، فغضب كبير الآلهة زيوس وعاقبه بأن يحمل صخرة من أسفل الجبل إلى أعلاه، لكن قبل أن يبلغ قمة الجبل، تفلت الصخرة منه، وعليه أن يبدأ من جديد. ويظل هكذا إلى الأبد.

الواقع أن الاستسلام لـ «التعقيد» و«الالتباس» أو الوضع «المُلغَز» للمسألة الكردية لا يساعد في فهمها. وقد يكون الاعتراف بإشكالية الموضوع نوعًا من التعبير الجدي عنه، وليس تسليمًا باستغلاقه وحكمًا نهائيًا بـ «استحالة» فهمه، مثلما أن الاستسهال أو الإضعاف لا يساعد بدوره في مزيد من «الوضوح»، بل قد يزيد المسألة توترًا وتعقيدًا.

تتعاطى إرادة البحث مع موضوعها بكيفية مركبة، إذ ثمة بعدٌ يمثل استجابة لهواجس كردية ثقيلة ومعقدة وذات تاريخ طويل. وتريد إرادة البحث طرحها ومشاركة المتلقي شؤونًا وشجونًا بالغة التعقيد في حقيقتها وفي المدارك الرائجة عنها، وربما بالغة «التسطيح» كما تبدو في الخطاب السياسي والإعلامي. وتريد توسيع المعارف عن موضوعها، وربما الحث على مراجعة «الصور النمطية» و«الساذجة» أو «المتوترة» و«التآمرية» عنه كما تلاحظها في الكتابة الكردية والإقليمية التي تخوض فيه أو ما يتعلق منه بالشؤون الإقليمية والدولية.

يهجس الكتاب في تناولٍ «موضوعي» - ما أمكن - جوانب من المسألة الكردية في المنطقة، بكيفية قريبة من مفردات التفكير الكردي نفسه، ومن ثم في تقديم رؤية «حيادية» و«إنسانية»[4] في مواجهة الرؤى «التأثيمية» و«القوموية» المتصلبة وغير القابلة للزحزحة والتغيير، حتى الآن.

(4) الإنسانية (Humanism): رؤية تعتبر الإنسان أولًا بصرف النظر عن أي اعتبار آخر، عرقي أو ديني أو جهوي أو غيره.

الفصل الأول

الإطار النظري

تُعدُّ اللغة والهُوية، واقعًا وإدراكًا، شـرطين لبنـاء الأمة، حيث إن الأمم هي سـيرورات تُشـكل اللغة والوعي بالهُوية عناصر فاعلة رئيسـة لهـا. وقد يحدث أن يتم «تحييد» إحدى هـذه العناصر الفاعلة وربمـا «تجاهلها» أمام قوة حضور الأخرى فـي واقـع المعنييـن وإدراكهـم وإرادتهم. لكن ليـس ثمة اهتمـام كبير بمدى «شـرعية» ذلك «التحييد» أو «التجاهل»، خصوصًا أن وزنها النسـبي (أي العناصـر الفاعلة) يختلف حضورًا أو تأثيرًا بين جماعـة إثنية وأخرى، وبين فترة وأخرى لدى الجماعة الإثنية نفسها.

ينطبق ذلـك على الموضوع الكردي، حيث هناك عناصر فاعلة أو مكوّنات لدى الكرد تشـهد قـدرًا غير محدد مـن «التحييـد» أو «التجاهل»، منهـا «اللغة» و«التواصـل الجغرافي» و«الاسـتمرارية التاريخية»، وتحصل أحيانًا الاسـتعاضة غير المعلنة أو غير المُسـماة عن ذلك بــ «قوة الإرادة»، أو «قـوة الأيديولوجيا» القائلة بـ «أمة كردية» و«لغة كردية». ويحدث أن تتغلب الأدلجة أو الإرادة على الوقائـع، فيندفع الكـرد نحو «صنع» واقع مـا أو «تخيّلـه» أو التعاطي مع الفكرة المتوخـاة بِعَدِّهَـا واقعًـا. وهذا ما تنشـط الأيديولوجيـا من أجلـه، وتهتم بصنعه وتعميمه. وهو ما يشـكل موضوع هذا الكتاب **الأكراد واللغة والسياسـة: دراسة في البنى اللغوية وسياسات الهُوية**.

أولًا: رؤية للمنهج

يقـوم إطار الدراسـة النظـري ورؤاها المنهجيـة على تكويـن مركب يتمثل بمفـردات ومفاهيـم متعـددة تتضافـر في تحليـل ثقافـي – سياسـي يعتمد على منظوريـن رئيسـين: **الأول**، «الدراسـات اللغويـة» التـي تجتهـد فـي النظـر إلى الموضـوع بكيفيـة «تؤلـف» بين مفـردات مسـتمدة من علـم اللغـة الاجتماعي

والسياسـي، بما في ذلك من معطيات أنثربولوجية وتاريخية وشفوية، فضلًا عن التشـارك مع علم السياسـة في النظر إلى البعد اللغـوي أو دور اللغة في مفاهيم اللغة والأمة والقومية وتوابعها.

أمـا المنظور الثاني فـ «سياسـات الهُويـة» التي ترتبط أيضًـا بعلم الاجتماع السياسـي والتحليل الثقافي، وهو مدخل متشـعّب، وربما كان قادرًا على شـمل معطيات ومداخل نظرية وتحليلية كثيرة في إطاره الرؤيوي وليس المدرسـي أو التقليدي.

يتطلـب الجهد المنهجي تحليـل البناء اللغوي في بعديه الرئيسـين: **الأول**، أصـل اللغة والفرضيات القائلـة بتفرّعها عن «لغـة أم»، أو تطوّرها من تفاعلات لغويـة غير محـددة المصادر والاتجاهـات، أو أنهـا نوع من «محصلـة» تطورية مـن هـذا وذاك؛ **والثانـي**، التكويـن اللغـوي واللهجـي وتوزّعـه الجغرافـي أو الديموغرافـي، وطبيعـة التفاعـلات وإشـكالية اللهجـات والتفسـيرات الدينيـة والميثولوجيـة[1]. ويرتبـط بذلك نوعـان من الفعـل الثقافي والسياسـي: **الأول**، «التأسـيس» الثقافـي والرمـزي للغـة مـن خـلال الأسـاطير والعقائـد الدينيـة والشـفويات المختلفـة؛ **والثاني**، التنظيـر (أو التفكيـر) في اللغـة، ويتطور ذلك إلى درجة إعطاء اللغـة بعدًا مُقدّسًـا، أكان ذلك بالمعنى الدينـي والمذهبي كما لـدى الزرادشـتية والإيزيديـة أم بالمعنـى الأيديولوجـي كما في خطـاب الهُوية والمنافسات والمعارك بمواجهة سياسات الاحتواء الثقافي والرمزي.

يسـتوجب الجهـد المنهجـي تحليـل التفاعـلات والمنافسـات الكردية – الكرديـة، والعلاقـات والتفاعلات بيـن الكـرد ودول المنطقة، أو مـا ندعوه هنا بـدول «المجـال الكـردي»، أي الـدول التـي يشـكل الكـرد مكونًـا رئيسًـا من مكوّناتها الإثنية: تركيا والعراق وإيران وسـورية. ويكاد تعبير «المجال الكردي» يقتصر في هذا الكتاب على هذا المعنى. وكذلك تحليل البحث في السياسـات الدولتيـة (الاحتـواء اللغـوي والاضطهـاد الثقافي والتشـريعات بـل الإجراءات العقابيـة) والسياسـات الكرديـة المعاكسـة (الإحيـاء الثقافـي وفـورة الهويـات

---

(1) ميثولوجية، من ميثولوجيا (Mythology) وهي علم الأساطير.

والألفبائية والتعليم وهندسة اللغة والتكريد وإقامة - إزالة «الجدران» اللغوية والسياسية).

قد «تفشل» السياسة الكردية في التعبير عن الثقافة الكردية أو «التظهير الموضوعي» لها، كما أن الثقافة والاجتماع الكرديين قد لا يتجلّيان في السياسة الكردية، لكن يمكن تحليل كل منهما بتوسل مداخل ووسائل ثقافية وسوسيولوجية وسوسيو - لغوية. ومن ثم فإن التحليل الثقافي للاجتماع والسياسة هو مدخل يمكن أن يساعد في «تفكيك» بعض «غموض» السياسات الكردية المعاصرة و«إشكالياتها». وما نحاوله هنا هو مناقشة البعد اللغوي في السياسة والبعد السياسي في اللغة، واللغة الهُوية، وسياسات الهُوية.

إن إرادة البحث تتحدث عن تكوينات لغوية تنطوي على لغة(ات) كردية كائنة، بالقوة أو بالفعل، تحت مظلة واقعية أو افتراضية من القناعة والإرادة والذهنية الجمعية، وليس ثمة - حتى الآن - مدارك واضحة أو تصورات تشير إلى «خريطة طريق» ممكنة لإطلاق المشروع المؤسِّس للهوية اللغوية الجامعة.

ثانيًا: السياسات اللغوية

تهتم هذه الدراسة بالبناء اللغوي وسياسات الهُوية باعتبارها قيمًا مركزية في البناء الثقافي والسياسي للكرد، وهو ما يعطي موضوعاتها، وربما طريقة معالجتها، حساسية مركبة لدى الكرد (وغير الكرد)، ويأتي ذلك من حداثة التعاطي مع التكوين اللغوي وطبيعته وتداخلاته القومية، ذلك أن الوعي باللغة أو التأويل السياسي لها هو نوع من الاستجابة المتأخرة نسبيًا في مواجهة التهديدات الثقافية واللغوية، ويندرج ذلك في إطار التأكيد على امتلاك «الأهلية» للبناء السياسي.

أما حساسية غير الكرد فتأتي من الشعور بأن الموضوع الكردي يزيد حضورًا، كما أن تركيز الكرد على اللغة يزيد من التحديات «الداخلية» و«الدولتية»، لأنه «يُهدد» وجود الدولة أو طبيعة النظم السياسية القائمة،

ويضيف مصدر تهديد جديد إلى مصادر التهديد الداخلية أو مداركها و/ أو المصادر الخارجية، بالنسبة إلى العديد من دول المنطقة. والتهديد الذي نتحدث عنه هو نوع من تطوير «ذاتي» ومراجعة للرؤية الكردية والمدارك في شأن ما يتوجب على الكرد أن يفعلوه من أجل «اكتساب» المزيد من مؤهلات الهُوية والوجود القومي.

1 - التهديد اللغوي

يُنظر إلى المسألة اللغوية عند الكرد من منظور الجماعة المُهَدَّدَة لغويًا، ولذلك اتجاهات مختلفة: تهديد خارجي مصدره سياسات الدول؛ وتهديد داخلي مصدره المنافسات بين الكرد أنفسهم على أولويات الاختيار اللغوي وأفضلياته واللغة القومية وغير ذلك. وثمة أوضاع للجماعة اللغوية المهددة، يمكن تركيزها في النقاط التالية:

- أن تمارس دولة ما سياسات تهدف بصورة مباشرة إلى «إضعاف» اللغات غير الرسمية أو «غير المقبولة» من السلطات أو «منعها».

- أن تكون الجماعة اللغوية قليلة العدد، أو أن يكون عددها متناقصًا لأسباب عديدة مثل الهجرة أو التحول عن «اللغة الأم» إلى لغات أخرى.

- أن تكون الجماعة اللغوية ضعيفة اقتصاديًا أو قليلة الموارد، وبالتالي تجد صعوبة في تخصيص الموارد اللازمة لدعم اللغة والعمل الثقافي والهُوية اللغوية.

- أن تكون الجماعة اللغوية أقل اهتمامًا بالجوانب الثقافية والهُوية، وتجد صعوبة في حشد التأييد، أو أن يميل أبناؤها إلى التعبير الثقافي بلغات أخرى لأسباب مثل الرغبة في الانتشار والحضور الواسع أو توسل لغات أكثر دينامية.

يجد الكرد أنفسهم في الأوضاع المذكورة، ويُضاف إليها الشعور الثقيل بوطأة «الانحياز التاريخي» في دول الجوار (العربي والتركي والفارسي

وغيرها). لهذا الشعور بالاستهداف الثقافي والإثني، إنْ في السياسات والسلطنات والإمارات كما عند الكُتَّاب والشعراء والروائيين وحتى في الأمثال الشعبية ... جذورٌ عميقة وضاربة في التاريخ.

تؤدي سياسات التهديد المباشرة وغير المباشرة، ومدارك التهديد الفعلية أو المفترضة إلى بروز سياسات واتجاهات رأي مناهضة بل سياسات قصدية بشأن اللغة، وهو نوع من الفاعلية التي تتجاوز ردة الفعل إلى صنع سياسة تستهدف ليس الحفاظ على اللغة(ات) واللهجات الكردية فحسب، وإنما أيضًا إعادة هندستها وتأهيلها من حيث الألفبائية والقواعد والقوانين اللغوية والقواميس والإعلام والنشر والتعليم، وهو ما يُعرف أيضًا بـ «الإصلاح اللغوي».

2 - الإصلاح اللغوي

يُمثل الإصلاح اللغوي خطوة أخرى على صعيد السياسة اللغوية، وهو ليس خطوة تالية، من حيث التتابع الزمني، إذ يمكن أن يكون مرافقًا. وأمكن النظر إلى هذا الإصلاح على أنه تخطيط لغوي يقوم بكيفية أو أخرى على دراسة الواقع اللغوي في إطار الأيديولوجيا أو السياسة المقررة. وهذا يعني أنه عمل قصدي يستهدف واقعًا لغويًا بغرض التأثير فيه كليًا أو جزئيًا من أجل تحقيق واقع لغوي جديد، يشكل بدوره عاملًا مكونًا في بيئة سياسية جديدة أو مشاركًا فيها.

يُسمَّى الإصلاح أحيانًا «التخطيط اللغوي»، وهو - بالنسبة إلى السياسة والدولنة - يشبه مسميات أخرى مثل «الإصلاح الاقتصادي» و«الإصلاح السياسي»، ومن ثم فإنه يُعد جزءًا من مفردات السياسة العامة للدول كما للمنظمات أو التكوينات الإثنية واللغوية الكبيرة والصغيرة. ما نفترضه هنا هو أن الكلام عن أصل لغوي هو نوع من «الحفر الأركيو - لغوي»[2] وتقصٍ عن ظاهرة متداخلة إلى حد كبير.

---

(2) أركيولوجيا (Archaeology) هي علم الآثار، والأركيولو- لغوي (Archaeolinguistics) تعني دراسة تطور اللغات عبر التاريخ وكذلك الدلالات المختلفة للكلمات والألفاظ باختلاف الزمان والمكان.

يُعبر الإصلاح عن سياسات مركبة. وتتركز مفرداته في العديد من النقاط مثل: تغيير – تعديل الألفبائية وهندسة البناء اللغوي للقواميس و«تقنين» اللغة و«تقعيدها»، والتعليم والإعلام والنشر، والاتجاه إلى تعميم نمط لغوي يتجاوز التعدد اللهجي (أو ضبط ذلك التعدد)، وربط المُعطى اللغوي بالمعنى القومي.

اللغة ليست أداة للتواصل فحسب، وإنما هي نتيجته أيضًا، ويذهب التطور اللغوي عند الكرد في اتجاه يُكسب البعد الاستعمالي أولوية نسبية (قد يزيد تأثيرها باضطراد) على البعد المعرفي أو القواعدي للغة، إذ إن الاتصال الثقافي والاجتماعي والإعلامي والتواصل العاطفي وغير ذلك تؤدي كلها بمرور الزمن، وربما تحت تأثير السياسات القصدية والأيديولوجيا التوحيدية إلى «نقطة توازن» على صعيد اللغة، أو تؤدي إلى «لغة تسوية» أو «لغة وسيطة». وهذا يحيل على ما يمكن أن ندعوه «اليد الخفية»[3].

ثالثًا: سياسات الـهُوية

1 – الـهُوية

تُعَدُّ الهُوية من المفاهيم الملتبسة والخلافية، وهي ذات حضور دائم في مختلف العلوم والحقول المعرفية، ويتركز معناها العمومي – الذي تتفرع منه شجرة كبيرة من المعاني – في كونها تُعبّر عما يحيل على كينونة الشيء ومعناه أو يدل عليهما، أو كما في المنطق الأرسطي ما يجعل الشيء مساويًا ومشابهًا وقريبًا لنفسه، أي ما يجعله هو.

إن إسناد المعنى إلى المنطق المذكور هو نوع من التعريف الأوّلي الأقرب إلى «اتفاق» لا يزال مُتعذِّرًا، بل هو شديد الإثارة للنزاع والخلاف في دائرة الفكر والعمل العلمي، خصوصًا أن المعنى الدارج أو الشائع للهوية، حتى بالصيغة المذكورة أعلاه، يحيل على «الثبات» و«الاستمرارية» في المعنى،

(3) اليد الخفية (Invisible Hand) هي استعارة ابتكرها الاقتصادي آدم سميث في كتابه ثروة الأمم. وتطورت باعتبارها «مفهومًا»، وأصبحت تحيل على دلالات ومعانٍ مختلفة، أهمها ما نعنيه هنا، أي «النزعة الطبيعية» أو «التلقائية» التي تدفع بالأمور المتناقضة والمتنافسة... إلى تحقيق «توازنات» معينة.

غيـر أن واقع الحال هو غير ذلـك، إذ إن الهُوية أيضًا هي موضـوع متغير، وهذا يضعه بمواجهة صيرورة أو راهنية مسـتمرة. ومن ثم يتشـكّل الكلام على الهُوية بين مستويين عامين: **الأول**، تحديد المعنى باعتباره خطوة أولية؛ **والثاني**، متابعة الصيرورة والتغيير لذلك المعنى أو التشكل، سواء أكان في الفكر أم في الواقع.

2 – أي معنى للأمة الكردية؟

تقـوم المـدارك اللغويـة أو «النظريـة» اللغويـة عنـد الكـرد علـى معطييـن رئيسـين: **الأول** هـو الفكر السياسـي والأيديولوجيـات الرائجة عـن العلاقة بين اللغـة والقومية، وعُـدّت الأولـى (اللغة) شـرطًا للثانيـة (القوميـة)، **والثاني** هو التجارب والخبـرات الواقعية في عالم القرن العشـرين وما بعـده التي أدّت إلى تداعيات ناشـئة من واقـع الحال ومـن الربط بيـن النظرية والتطبيـق، فضلًا عن التأثيـر العولمي والاتصالي، وفورة الإثنيات والهويات في عالم ما بعد الحداثة، وهنا يحدث نوع من «فك الارتباط» النسبي بين اللغة والقومية.

أعطـى النشـاط المتزايـد، المتأخر نسـبيًا، فـي الدراسـات الأنثروبولوجية والاجتماعيـة، وكذلك الفكر السياسـي مفاهيم الإثنية والجماعـات الاجتماعية حضورًا أكبر نسبيًا على حساب (وأحيانًا في إطار جديد) مفاهيم الأمة والقومية التي عُدت أحيانًا غير موائمة بالنسبة إلى التحليل السياسي والثقافي في عالـم ما بعد الحداثة. هكذا أمسـى الكلام عن الأساس اللغوي للإثنية الكردية عبارة عن أحكام ومدارك وربما سياسـات صيغت في شـأن (أو بسـبب) تجارب سياسـية للكـرد في الماضـي أو في الحاضـر القريب، وأكثرهـا صِيغ خـلال العقدين أو العقود الثلاثة الأخيرة.

إن كلمـة أمـة غامضة بصـورة متزايـدة، وقـد يميـل الباحثون إلـى معنيين رئيسـين: **الأول**: يحيل على معنى «إيتيمولوجي»[4] و«عرقـي» تأصيلي، والثاني

---

(4) إيتيمولوجـي (Etymology) وهي مؤلفة من مقطعين «أتيمون» وتعني الأصل الحقيقي للكلمة والمقطـع الثاني «لوغـوس» وتعني «علـم»، أي يصبح المعنى علـم تاريخ الألفاظ. وتهتـم الإيتيمولوجيا بدراسـة الأصـل التاريخـي للكلمـات، ويُعتمـد فـي ذلـك علـى تتبـع تطـور الكلمة مـن خـلال الوثائق والمخطوطات، وأحيانًا تاريخ المجموعات البشرية الناطقة بهذه الكلمات.

يحيل على معنى موسع للدلالة على الجماعة التي تسكن إقليمًا ما و«تقيم سلطة». ويبدو أن كلا المعنيين لا يتحقق بصورة كاملة، وهو مما يؤرق الأيديولوجيين في جهات العالم قاطبة، إذ لا يمكن إقامة الدليل القطعي على أي منهما بالنسبة إلى أي «أمة»[5].

أما المعاني المستحدثة - كما توردها الدراسات الثقافية - فتركّز على الإرادة والتشارك والمدارك والرؤى القصدية، وهي مفردات تساعد أكثر في شمل كثير من الجماعات تحت مسمى «الأمة»، سواء أكانت الواقعية أم المفترضة، بمعنى أن الأمة ليست أصلًا ولا قدرًا، بل هي «مشروع» أو «سيرورة»، وهي تتغير بقدرٍ أو آخر، من حيث إمكان تغيير الرؤية للهوية ومدارك العيش، وكذلك الولاء والانتماء. واليوم نحن أمام ديناميات جديدة للأمة والهُوية وغيرهما.

كانت اللغة، خلال عقود عدة، أحد الموضوعات المركزية في تعيين الأمة والقومية أو تشكيلهما، وجادل العديد من علماء الاجتماع والسياسة والتاريخ في «أن وجود اللغة القومية هو الأساس الرئيس الذي تبنى عليه الأيديولوجية القومية»[6]. لكن الواقع أدى إلى تغيير العديد مما كان يُعد مسلّمات في الفكر السياسي والاجتماعي، وأمست ثمة قناعة أخرى هي «أن اللغات القومية ليست معطى في واقع الأمر، وإنما هي مشكلة في حد ذاتها باعتبارها جزءًا من عمل أيديولوجي لبناء الدولة القومية»[7].

إذا أخذنا الأكراد مثالًا، فسنلاحظ صعوبات معرفية وواقعية في إيجاد معنى مفهوم لـ «الأمة» سواء أكان بالمعنى التقليدي أم الحداثي، وربما ساعدتنا بعض

---

(5) انظر بكيفية عامة: توماس هايلاند أريكسن، العرقية والقومية: وجهات نظر أنثروبولوجية، ترجمة لاهاي عبد الحسين، عالم المعرفة؛ 393 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2012).

(6) جون جوزيف، اللغة والهوية: قومية - إثنية - دينية، ترجمة عبد النور خراقي، عالم المعرفة؛ العدد 342 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2007)، ص 134.

(7) المصدر نفسه، ص 134.

التغييرات «ما بعد الحداثية» في تفهم أحوال المسألة القومية للكرد. وبغض النظر عن التداعيات السلبية أحيانًا لمسمى «كردستان» بالنسبة إلى «غير الكرد»، والمضمون العاطفي والأيديولوجي للكلمة لدى الكرد أنفسهم، فالكلام عن «أمة كردية» يبدو «إشكاليًا» حتى الآن، وليس في ذلك نقض للفكرة الكردية أو معارَضَة لها، لكن لا بد من التنبه إلى أن القناعات والمدارك قد تختلف، قليلًا أو كثيرًا، عن الواقع، وليس في ذلك حرج لأصحاب المشروع السياسي ولا للحالمين وأصحاب اليوتوبيا، وكثيرًا ما تحولت اليوتوبيات واقعًا بفعل إرادة أصحابها ومثابرتهم، وذلك في إطار قابلية عامة وتوافق نسبي بين الشروط الذاتية والشروط الموضوعية في البيئة المحلية والإقليمية والدولية.

ما يجعل فكرة الأمة أمرًا غير مُسلّم به، بالنسبة إلى الكرد، هو التنويع اللغوي، وتباين المدارك والتصورات في شأن السياسة والدولة والعمل السياسي والأمة والقومية، والصراع على معنى الكردية والدولة أيضًا، فضلًا عن وجود تيارات وقناعات راسخة لديهم بأن المُعطى الديني ليس من العوامل القابلة للتحييد أو العزل، وهو العامل شديد التأثير في تكوينهم الاجتماعي والثقافي، خصوصًا لجهة علاقاتهم بالجوار والعالم. هكذا يصبح الكلام عن «أمة كردية» قابلة للاندراج في مقولات سياسية نشطة وجامعة من المسائل التي تتطلب تقصّيًا جدّيًا. واتصالًا بما سبق في كردستان (والشتات) تكوينات تنزع إلى التشكل الإثني المستقل، على أساس واحدة أو أكثر من المعطيات اللغوية أو القبلية أو الدينية أو غيرها. ومن الصعب إقناع بعضها بالتخلي عن إحدى «هوياتها» المؤسِّسة لمعناها ووجودها مقابل هويات أخرى، حتى لو كانت كرديةً، ذلك أن الاختلاف في أحد المكونات ربما كان هو الأساس الذي «حافَظَ» في الماضي حتى اليوم على تلك الهويات والتكوينات في الصراع البيني والمحلي على أدنى تقدير. ويتأكد ذلك بصورة خاصة بالنسبة إلى التكوينات القبلية – السياسية، والتكوينات اللغوية – المذهبية التي تكون أحيانًا ذات طابع قبلي أيضًا. وهذا يجعل فكرة «القومية» وربما «الأمة» أو حتى «الجماعة الكبرى» من المسميات قوية الانتشار، لكن المختلَف على معناها

ومؤداها، ومن ثم فإنهـا قد تؤدي إلى عكس ما يريده مسـتخدموها. والواقع أن «كردسـتان» كانت من الميادين النموذجية التي بينت حتى الآن «فشل» مقولات مثل: الأمة والقومية والدولة وغيرها.

رابعًا: تنظير اللغة

لا نتحدث عن نظرية فـي اللغة الكردية، ما نتحدث عنـه هو طبيعة التفكير الكردي في المسـألة اللغوية. والموضوع لم تكن له أولويـة كبرى في «المجال الكـردي»، إذ إن الأولوية كانت للوجود بالمعنى السياسـي، وأحيانًا الاجتماعي وحتى البيولوجي. وكان ذلك من الحساسية والخطورة بحيث لم يفسح المجال كثيرًا للكرد ليهتمـوا بمفردات وجودهم القومي الأخـرى، إذ كان الكرد ضحايا «نظريـات» في السياسـة واللغـة طُبِّقَت عليهم فـي محاولة لاحتوائهـم وإذابتهم كليًـا أو جعلهم – بصفتهـم أكرادًا – على هامـش الحياة السياسـية والقومية في المنطقة.

أدى واقـع تكوين الكـرد الاجتماعـي والثقافي واللغوي إلى بـروز كتابات ومواقـف وأفـكار، وليـس مشـروعات كبـرى حتـى الآن، قصدهـا التوحيـد أو التقنيـن اللغوي والثقافـي وتأطير مفـردات الهُوية ومواجهة السياسـات الدولتية «المعاديـة»، غير أن تلـك الأفـكار والكتابات تبيـن أن نظام القيـم (على تعدده وتفارقـه) ربما لم يعـد (أو لم يكـن) يتواءم مـع التعددية الكبيـرة ووقوع الكرد تحـت تأثير العناصـر الفاعلة محلية وإقليميـة وعالمية، واسـعة الطيف ومتعددة الاتجاهات والأغراض، ومن ثم متعـددة النتائج والتجليات، الأمر الذي يتجلّى في سياسـات لغويـة واتجاهـات للهوية يصعـب تأطيرهـا أو اسـتخلاص معانٍ عامة لها، فـأدى هذا إلى ارتفاع وتائر الافتراق والمنافسـات السياسـية والثقافية واللغوية، ومـن ثم إلى تمـزّق الجهد والموارد وتشـتتها. ما يتطلّـب المزيد من الاهتمام والتركيز فـي الجهد العلمي والأكاديمي المتعلق بـالدراسـات الكردية والإقليمية والدولية.

خامسًا: اللغة والـهُوية: «تداخل» و«تخارج»

ثمة تداخل بين اللغة والهُوية، ليس على مستوى التعبير الكتابي أو الشفوي، وإنما على مستوى التغيير الذي يطرأ على معاني الكلمات ودلالاتها الاستعمالية والاصطلاحية في شأن الهُوية وغيرها. ذلك أن الهُوية تعيش مواجهات مستمرة في الواقع (وفي الفكر)، وهذا يتوسّل اللغة أو يتجلّى فيها. ومثلما أن اللغة «حمّالة أوجه» لا يمكن «ضبط» المعنى الذي يبقى مفتوحًا حتى في تأويله وإيحاءاته، كذلك الهُوية لا يمكن أن يثبتها الإنسان أبدًا – على حد تعبير جاك دريدا – على الرغم من مساعيه الفُضلى بهذا الخصوص[8].

تتداخل سياسات اللغة وسياسات الهُوية بدءًا من الموضوع المجرد والرمزي، إلى الموضوع المادي والكتلة الاجتماعية والجماعة الإثنية، إلى الأغراض والمقاصد، وهو ما يتجلّى في دراستنا منهجًا وكتابةً. ويفترض أن تشكل تلك السياسات روافع لأهداف وقيم أكبر تتعلق أساسًا بإثبات الأهلية والأولوية لمعنى الأمة والقومية كرديًا، إلا أنها تثير في الواقع الكثير من التناقضات والمنافسات الجهوية والفرعية والقبلية والقبلية السياسية والأيديولوجية. ويشير تعبير «سياسات» بالجمع إلى التعدد والتنوع، لكنه يُحيل في حالة الكرد إلى التناقض والاختلاف أكثر منه إلى التعدد أو التوافق.

إن ضرورات الوجود اللغوي أو متطلباته مستقلة نسبيًا عن ضرورات الهُوية أو متطلباتها. وقد تتعارض وتتداخل في منافسات كبيرة أو صغيرة. صحيح أن المفهوم التقليدي للأمة زاوَجَ بين اللغة والهُوية، وأَقَامَ لهما مؤسسات وسياسات واعتبارات متلازمة، إلا أن التطورات بيَّنَت خلافَ ذلك، خصوصًا في «المجال الكردي»، ذلك أن وراء اللغة أو معها توجد إمكانات كبيرة لبروز هويات مختلفة.

هكذا فإن لسياسات الهُوية تشكلات منفصلة عن اللغة، وإن كانت ترتبط

---

(8) انظر: ستيوارت هول، «حول الهوية الثقافية،» ترجمة بول طبر، إضافات: المجلة العربية لعلم الاجتماع (بيروت)، العدد 2 (ربيع 2008)، ص 150.

بها بشـكل أو آخر، وكذلك السياسـات اللغوية، فإنها توجد مسـتقلة عن الهُوية بكيفيـة أو أخـرى. وهـذا يشـير إلـى أن «التداخـل» أو «التـورط» المتبـادل بين تلك السياسـات بشـأن الهُويـة واللغة يمكن أن يشـهد «فـك ارتبـاط» بينهما قد يصل إلى حد القطيعة. ولسـوف يكون مـن مهام التعاطي المعرفي - السياسـي مع الموضـوع، الدعـوة إلى تجسـير مثلث الفجـوات بيـن الواقـع - الفكر (أو الخطـاب) - العمـل السياسـي، ولن يكون مناسـبًا الفصـل الفج بيـن المعارف المتحصلة مـن الواقع والرؤى والنظريـات أو القرارات السياسـية، حتى لو كان «الواقع» المذكور وليد تخطيط وسياسات قصدية مسبقة.

إن المفـردات المُكونـة عنـوان هـذا الكتـاب، وكذلـك المعانـي القائمـة والمحتملة لـدى المتلقّي لا تخوّل الأخيـر تأطيره أو تصنيفـه أو تنميطه، أي ما يعنـي الحكم عليه، إلا بعد المضـي قدُمًا في قراءة فصولـه، أو أكثرها، وخاتمته أيضًـا. ولن نذهب بعيدًا في اشـتراطات القراءة فذلك ممـا لا نملك حياله رغبةً ولا أمرًا، وهـذا من الأمور الحسـنة، وإن كانت تفضيلاتنا محكومـة بالكثير من «الاشتراطات» العلمية والإنسانية ذات الصلة بالكرد.

الفصل الثاني

البنى اللغوية :
الأصل والتأسيس و«النظرية»

هل تأخر سؤال اللغة عند الكرد؟ متى شعر الكرد بالحاجة إلى اللغة؟ هل يرتبط ذلك بالسياسة؟ وإن كان ثمة وعي بذلك، هل انطلق من شواغل ومدارك ذاتية أم تأثّرًا بالآخرين؟ ربما كان سؤال اللغة نوعًا من استجابة متأخرة لهاجس قديم نجد بعض مؤشّراته عند أحمدي خاني مثلًا[1]، وقد لا يكون التأخير بسبب ذاتي، ذلك أن للبيئة الموضوعية إكراهات ثقيلة وقاهرة بالنسبة إلى الكرد.

يتناول هذا الجزء من الدراسة ثلاثيةَ «الأصل» و«التأسيس» و«التنظير» التي تتعلق بالشرط اللغوي لدى الكرد. تدور المفردة الأولى على «أصل اللغة»، وما يُفترض أنه تَطَوُّر تاريخي وتَفَرُّع لغوي أدى بالكرد إلى الوضع اللغوي الراهن. وتدور المفردة الثانية على «التأسيس» المفترض لوعي اللغة بما يتضمنه ذلك من نقاش في العناصر الفاعلة المؤسسة للوجود الكردي. وتركز المفردة الثالثة «نظرية اللغة» على طبيعة التفكير في الهُوية اللغوية ودورتها المعرفية والسيكولوجية المحكومة بعوامل وعناصر فاعلة عديدة، كما تناقش التحديات الماثلة أمامها.

الشرط اللغوي

يُمكن إجمال الإشكال اللغوي ليس في غياب لغة واحدة فحسب، وإنما في غياب «اللغة» التي لم تتخذ موقعًا متقدمًا في جدول أولويات الكرد وشواغلهم، إلا في مرحلة متأخرة نسبيًا، لكنها ما لبثت أن أصبحت واحدة من

(1) أحمدي خاني (1650-1706) هو أحمد بن إلياس بن رستم الملقب بـ «خاني»، من أبرز الشعراء الكرد، اشتهر بملحمته الشعرية مم وزين وكذلك ممي آلان. وسنأتي على ذِكرِهِ في مواضع مختلفة من الدراسة.

مفردات الخطاب الكردي المعاصر، فأثارت معها كثيرًا من الشؤون والشجون، وحَفَّزَت عوامل اختلاف وانقسام ناشطة، أو لنقل إنها «أحيت» تعددًا واسع الطيف. ونهض حضور اللغة على إحساس بالهُوية الفرعية أكثر مما نهض على شعور بالهُوية الكردية العامة، ويتطلب الأمر وقتًا وجهدًا - باعتباره شرطًا أيضًا - للانتقال من الإقرار بالتكوين اللغوي واللهجي إلى عَدِّهِ هو نفسه قاعدة لـ «التطور» أو «الهندسة» اللغوية.

يتركز الإشكال في امتدادات الواقع اللغوي و«يتوالد» منها، ذلك أن افتراض وجود لغة محكية أو شفوية أمر يمكن تجاوزه من خلال العمل على «قوننتها» و«تقعيدها»، أما وجود لغات أو لهجات متمايزة بدرجة أو أخرى فهو أكثر صعوبة بكثير. ولو كان ثمة لغة واحدة لدى الكرد لكانت الظاهرة الكردية مختلفة تمامًا، ولَما كانت هذه الدراسة، بالطريقة التي هي عليها الآن.

نظر الكرد إلى هذا الموضوع بكثير من التوجّس والحساسية، فهو أساسٌ أو أحد الأسس في النظر إليهم بصفتهم «أمة» مكتملة العناصر وناضجة، وكذلك شرط للبناء القومي، وإحدى إشكاليات البناء الدولتي. ولا تزال القضية تحت البحث، حتى مع بطء التقدم أو ضعفه في تحقيق توافقات عامة على هذا الصعيد.

أولًا: أصل اللغة

يثير الكلام عن أصول تاريخية للكرد من الجوانب اللغوية (والعرقية) من الشكوك والمخاوف أكثر مما يزيد في اليقين تجاه ما نفترض أنه مرجعية ثقافية - لغوية مُؤسِّسَة للجماعة الكردية، ويُربِك بكيفية أو أخرى المساعي «التي لا تكل ولا تهن» الهادفة إلى إظهار تحقق الشروط اللغوية المُفترضة راهنًا لمعنى الأمة والقومية. ومنها أن ذلك المعنى لا بد من أن تكون له سوابق تاريخية مُؤسِّسَة، سواء أكانت السوابق حقيقية وحدثية أم مفترضة ومتخيلة، لكن حاضرة في المخيال الثقافي والسياسي ومؤيدة بقوة الأيديولوجيا. هنا يبدو الانقطاع وضعف الدلائل والمؤشرات، وأحيانًا تناقضها، بمنزلة تحديات

كبيرة أمام الجهد الرامي إلى «إثبات» الموجودية التاريخية بالأحداث والوقائع والتحليلات اللغوية والأركيولوجية والثقافية.

1 - «الكردية الأولى» على جبل جودي

يناقش علماء اللغات والكردولوجيا والتاريخ مسألة أن اللغة/ اللغات الكردية الراهنة قد تكون نتيجة تطور متصلٍ بدرجة أو أخرى لتكوين لغوي، أو لغات قديمة، أو ما يمكن عدّه اللغة «الكُردية الأولى» (Proto-Kurdish) التي يُفترض أن «الكرد الأوائل» القاطنين في محيط بحيرة أرومية (Urmiâ) أو (Wirmî) كانوا يتكلّمونها، وأن ذلك يرتبط بشعوب استوطنت مناطق واسعة كان مركزها الجبال المعروفة اليوم في «كردستان»[2].

تذكر الأساطير والسرديات التاريخية والدينية شيئًا قديمًا جدًا عن ذلك، وهو أن سفينة النبي نوح رَسَت على إحدى تلك القمم العالية وتعرف بجبل جودي (Judi) أو (Cudi) في شرق الأناضول. لكنها لا توضح الجوانب اللغوية التي لازمت العمران الكردي في تلك المناطق. وعرفت تلك الجبال والسهول القريبة المعروفة بـ «ميزوبوتاميا» (Mesopotamia) حضارات عدة مثل: الحوريين (Hurrites) والكردوخيين (Karduchi) والميتانيين (Mittanis) والبارثيين (Parthians) والساسانيين (Sassanids). وبرزت خلال ذلك وبعده تكوينات دينية وعقائد كثيرة ما زال تأثير أكثرها حاضرًا بكيفية أو أخرى لدى الكرد اليوم، وهذا جزء من التعدد والثراء الثقافيين والدينيين، على الرغم من التجاذبات الداخلية والتداخلات الإقليمية.

إن الكيانات السياسية التي تنازعت في ما بينها وخاضت حروبًا كثيرة في منطقة «ميزوبوتاميا»، أي بين نهري دجلة والفرات، خَلَّفَت خسائر كثيرة بالمعنى المادي والمعنوي. ولا بد أن الأطراف المتصارعة كانت تتواجه ليس بالسلاح وحده بل باللغة أيضًا. وثمة حيز سيميائي يعزز الفروق والاختلافات، قد يكون

(2) انظر بكيفية عامة: جمال رشيد أحمد ورشيد فوزي، تاريخ الكرد القديم (أربيل: جامعة صلاح الدين، 1990).

هو نفسه مصدرًا للصراع مثلما يكون تغيّره اللاحق إحدى نتائج ذلك الصراع. وكان على الجماعات السياسية والإثنية وغيرها أن تتدبر أمر التواصل اللغوي في ظل التفاعلات والتحولات السياسية والديموغرافية، وذلك لا يكون خارج اللغة بل داخلها وبواسطتها. وتهتم السرديات على ما يبدو بعرض تسلسل من نوع ما للعمران الحضاري والتكوينات السياسية والإثنية، لكنها لم تستطع متابعة ذلك بكيفية مستقرة علميًا، وهذا يشمل اللغة، وهل كانت هناك تحولات لغوية بالقدر الذي حدثت فيه تحولات سياسية واجتماعية واقتصادية؟

تُعدُّ اللغة/ اللغات الكردية اليوم تفرعًا من شجرة اللغات الإيرانية التي تفرّعت بدورها من شجرة اللغات الهندو - أوروبية (Indo-European). وهي أقرب اللغات إلى الفارسية اليوم(3)، لكن الكلام عن صلة مباشرة بين اللغة/ اللغات الكردية والفارسية يثير اعتراضات كبيرة نوعًا ما لدى من يقول بـ «القرابة التاريخية» وليس الارتباط أو التابعية، وللموضوع اعتبارات سياسية مفهومة.

لا يمكن حتى اليوم إثبات الفرضية القائلة بانحدار اللغة/ اللغات الكردية أو عدد منها من شجرة اللغات الهندو - أوروبية، خصوصًا في ما يتعلق بالكيفيات واللحظات الزمانية أو المكانية، ولا بالكيفية التي جعلت تطوّر الكردية أحيانًا خارج سياق التطور اللغوي والتفرع الحاصل بالنسبة إلى تلك الشجرة.

هنا نقف في منطقة «حرجة»، فـ «عدم اليقين» في ما يخص التفرع والتسلسل اللغوي يماثله «عدم يقين» مماثل في شأن الفرضيات التي تقول غير ذلك، أي أن ثمة «فشلًا» في إثبات التابعية اللغوية، ومن ثم الحديث عن تكوين لغوي مختلف يتطلب البحث في نسبٍ آخر له. لكن دعونا نقف في حيز «بين - بين»، ونتلمّس وضعًا مركبًا، فيه تطورٌ واتصال من جهة، وانقطاع وانفصال من جهة أخرى.

---

(3) انظر الدراسة التالية، وهي قديمة نسبيًا: D. N. Mackenzie, «The Origins of Kurdish,» in: *Transactions of the Philological Society* ([Oxford: B. Blackwell], 1961), pp. 68-86, on the Web: <http://www.kurdishacademy.org/sites/default/files/The_origins_of_kurdish_1961.pdf> (Accessed 12/2/2013).

2 - سلسلة اللغة: تطوّر وانقطاع

يفتقد علماء الكردولوجيا واللغويات وعلماء السياسة أيضًا إجابات مستقرة عن الوضع اللغوي الراهن، مما لا يمكن إدراجه في إطار التطور اللغوي الطبيعي، وكيف أن للكرد تشكلات لغوية ليست مستمدة تمامًا من لغة بعينها، وكيف أن اللغة(ات) أو التكوينات اللغوية المعروفة بالكردية اليوم قد تكون كردية بالاتفاق والصناعة والمعيشة أو الاستخدام أكثر منها بالإثبات والصِلات والاستمرار التاريخي (نسبة إلى شجرة اللغات التي ذكرنا). ويصح الكلام عن تطور لغوي نتيجة تطور احتياجات الناس وتغير الظروف المحيطة، وهذا غير متصل بشجرة اللغة أو النسب اللغوي الأصل.

إن الكلام عن «أصل» اللغة/ اللغات الكردية هو نوع من تنظير أو افتراض يؤسس في جانب منه على الحصيلة اللغوية، وفي جانب آخر على تأويل لها، إضافة إلى افتراض «صِلات» بين لغة وأخرى، أو حتى اكتشافها. وليس في الكلام عن أصل «هندو- أوروبي» ما يساعد كثيرًا في تفسير جوانب الواقع اللغوي الراهن، فهو حتى لو «أثبت» شيئًا من ذلك لا يستطيع تفسير جوانب أخرى. وليس في هذا إحالة على المجهول، أو ركون إلى الفشل في البحث العلمي اللغوي. وإن من المناسب القول إن التجربة اللغوية لدى الكرد شهدت تطورًا خاصًا لم يفسَّر علميًا حتى الآن، وهذا بدوره يستلزم كثيرًا من العمل.

يتطلب موضوع اللغة عند الأكراد الدخول في أطر نظرية عديدة، والواقع أن العديد من آراء المستشرقين والمستكردين والمتخصصين بعلوم اللغات والتاريخ يذهب مذاهب شتى في القول في أصل اللغة/ اللغات الكردية. ويورد الكرد - كما ذكرنا - أنسابًا للغتهم/ لغاتهم الراهنة تصل بهم إلى اللغات الهندو - أوروبية، وبعد ذلك الهندو - آرية، فالآرية القديمة، ثم الكردية القديمة، فالوسطى ثم الحديثة وبعدها اللغات واللهجات الراهنة[4].

---

(4) انظر تحليلًا إجماليًا في: باسيلي نيكيتين، الكرد: دراسة سوسيولوجية وتاريخية، نقله من الفرنسية وعلق عليه نوري طالباني (أربيل: دار سبيريز، 2008)، ص 41-65. وانظر الأشكال التمثيلية في شأن شجرة اللغات الكردية في الملحق (3)، ص 239 من هذا الكتاب.

يذكر باسيل نيكيتين (Basil Nikitine)[5] شيئًا من ذلك في الفصل الأول من كتابه الكرد[6]، فيقول إن ثمة اعتقادًا واسعًا بأن الأكراد غيروا لغتهم، لكن ليس ثمة معطيات تشير إلى اللحظة الزمنية أو الموقف التاريخي أو الثقافي الذي يُبيّن ذلك، ولا ثمة ما يبرر إبدال الأكراد لغتهم السابقة ليعتمدوا العربية مثلًا أو غيرها. لكن في الوقت نفسه قد لا يوجد ما يبرر القطع بأن الكرد اليوم هم الذين كانت لهم في الماضي لغة هي «الكردية»، ولا من يستطيع الجزم بذلك، خصوصًا أن ثمة خلافًا على معنى «الكردية» اليوم، وهذا خلاف ثقافي ومعرفي في المقام الأول، ولا تعمل السياسة واسطة خير فيه؛ إذ المطلوب أيديولوجيًا، وهو ما يطمئن الكردي، القول بوجود لغة كردية، مع أن الأمر يميل فكريًا وتحليليًا إلى الجزم بوجود مسار متأرجح لتطوّر غير متجانس لتكوينهم اللغوي. وغالبًا ما يكون تطور اللغة في جانبين: الأول، تطوّر المعيشة واللغة اليومية والمدارك والشفويات؛ والثاني، تطوّر الكتابة والمفردات التي تدخل الكتلة اللغوية بالسعي أو الاضطرار أو قوة الأمر الواقع.

3 - «الكردية الأولى» أو «اللغة الأم»

ما تذكره الدراسات عن لغة «أم» أو «أصل» لدى الكرد، وربما غير الكرد أيضًا، قد لا يكون دقيقًا، إذ إن اللغة التي يتحدث بها أفراد وجماعات قد لا تكون بالضرورة «فرعًا» لـ «أصل»، وثمة كثير مما يُصعّب القطع بالوزن النوعي لتأثير

---

(5) باسيل نيكيتين (1885-1960): ولد في بولونيا عام 1885، والتحق بمعهد الاستشراق في موسكو عام 1904 لدراسة اللغات الشرقية، وبوزارة الخارجية الروسية عام 1908، وعمل في القنصليات والممثليات الروسية في الشرق (كيلان وتبريز وأرومية)، ومختلف مناطق النزاع السياسي والإثني في إطار الدولتين العثمانية/ التركية والفارسية. وتعلم الكردية في أرومية (1915-1918). ومن دراساته: ملاحظات عامة حول الكرد (1921)، والكرد والمسيحية (1922)، والحياة العائلية الكردية (1922)، والإقطاع الكردي (1925)، والكرد: دراسة سوسيولوجية وتاريخية (1956) الذي كتبه في عام 1943، وهو أكثر كتبه انتشارًا.

(6) نيكيتين، ص 41-65.

لغة سابقة أو راهنة، وعلى أي حال هذه مسألة مختلفة عن سياق موضوعنا(7).

أما اللغة/ اللغات الكردية فمن الإشكاليات المعقدة اليوم، وليس الكلام عن «أصل لغوي» أو «لغة أم» هو مما يزيد في معنى الهُوية أو البناء اللغوي، ذلك أن البحث عن أصل اللغة أمر يمكن تتبعه في الدراسات اللغوية والأنثرو - لغوية وعلوم الآثار وغيرها، لكن لا يقطع في أسباب وعوامل ولحظات التطور اللغوي والتحول إلى لغات مستقلة نسبيًا أو إلى لهجات لا تزال على صلة وثيقة بـ «لغاتها» السابقة. وفي حال استقر علماء اللغة على وجود لغة كردية أصل لشجرة اللغات واللهجات الكردية اليوم، يمكن عندئذٍ تفسير ذلك التنوع اللهجي الذي يخشى الكرد من عَدِّهِ تنوعًا لغويًا، أو من الكلام عن «لغات» أو «أشباه لغات» لديهم.

إذا اعتبرنا مقولة «اللغة الكردية الأم» صحيحة، يمكن عندئذٍ الكلام عن تطور تلك اللغة وتحولات عميقة عليها مع قدر أقل من اليقين في إمكان استمرارها على مسار واحد أو «تطورها الخطي» خلال قرون طويلة، فالكلام عن تطور في اللغة وعليها، أي من داخلها وخارجها (تأثير البيئة والآخر) لا يعني الجزم بأن «تكوينات لغوية» أو «لغات» أخرى لم «تتفرع» منها أو تتولّد في جوارها.

قد يكون الكلام عن شجرة لغوية مقبولًا بصورة منفصلة أو منقطعة عن التحليلات السياسية أو التأويلات الخاصة بالهُوية. وسيكون أمام الدراسات العلمية بذل المزيد من الجهد لمعرفة التطوّر التاريخي للتكوين اللغوي.

4 - جهد المستشرقين الأول

كان كتاب القس الإيطالي ماوريتزيو غارزوني (1734 - 1804) (Maurizio Garzoni) عن قواعد ومفردات اللغة الكردية (1787) من الكتب

(7) انظر وقارن: لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة حسن حمزة؛ مراجعة سلام بزي حمزة (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2008)، ص 25.

المُبكرة التي ناقشت موضوع اللغة. ووَضَعَ غارزوني قاموسًا بالكردية[8].

لكن اتجهت الكتابات بعد ذلك إلى الأدب والثقافة الكرديين، غير بعيدة من التعريف العام بالأكراد،[9] وأحيانًا من الكتابة الاستشراقية وَصِلَتها المعروفة بسياسات الدول الكبرى أو سياسات دول الإقليم. «لقد اهتم بعض المسؤولين البريطانيين باللغة الكردية إلى جانب مهماتهم السياسية والعسكرية في المنطقة مثل الميجر سون الذي كان حاكمًا سياسيًا في السليمانية وله كتب في اللغة الكردية وقواعدها، ونَشَرَ عدة دراسات ومقالات عن اللغة الكردية، كما وأنه شجّع وروّج لاستخدام اللغة الكردية في السليمانية، وشجّع الصحافة الكردية»[10].

يميل الكرد إلى تقدير الكتابات التي تؤيد تصوّراتهم عن اللغة والتاريخ الكرديين، ومن ثم فإن الإشارة، كما نفعل نحن هنا، إلى فلاديمير مينورسكي

---

(8) كتب غارزوني كتابه عن قواعد ومفردات اللغة الكردية بعد 18 عامًا من بعثه التبشيرية وإقامته في العمادية (Amadiyah) لمدة عشرين عامًا، وهو نص مهم بالنسبة إلى الثقافة الكردية وربما كان الأول من نوعه وفق أسس علمية. وعُدَّ غارزوني «أبا» الدراسات الكردية المعاصرة (Kurdology) ورائد قواعد اللغة الكردية ومبدعها. انظر: Ernest R. McCarus, «Kurdish Language Studies (Book Review),» *Middle East Journal* (Washington), no. 14 (Summer 1960), p. 325, and Mirella Galletti, «My Research in the Archives and Field – Work,» Paper Presented at: «World Congress of Kurdish Studies,» (Organized by Kurdish Institute of Paris in Partnership with Salahadin University (Irbil) and with the Support of the Kurdistan Regional Government and of the French Ministry for Foreign Affairs, Iraq, Irbil, 6-9 September 2006), on the Web: <www.institutkurde.org/en/conferences/kurdish_studies_irbil_2006/Mirella+GALETTI.html#_ftn5>

(9) لمزيد من المعلومات عن جهد المستشرقين وعلماء الكردولوجيا انظر مثلًا: خليل الجندي، «الكردولوجيا والإيزيدية،» (محاضرة ألقيت في المهرجان الثقافي لمركز لالش، دهوك، العراق، 13-15 تموز/يوليو 2006)، على الموقع الإلكتروني: <http://www.sersal.de/modules.php?name=News&file=article&sid=63>.

(10) بدرخان السندي، المجتمع الكردي في المنظور الاستشراقي (أربيل: دار ئاراس، 2002)، ص 425. كما ساعد الإنكليز في تنظيم تعليم الكردية والتعليم بالكردية في الإقليم الكردي من خلال المدارس وجعل الكردية لغة الإدارة والمحاكم والمراسلات وغير ذلك في المنطقة الكردية. انظر: Peter Sluglett, *Britain in Iraq, 1914-1932* (London: Ithaca Press, 1976), pp. 182-194

والفصل المشار إليه متوافر على الموقع الإلكتروني: <http://www.globalpolicy.org/component/content/article/169/36382.html> (Accessed 12/2/2013).

(Vladimir Minorsky) [11] ونيكيتيـن وغيرهمـا تتكـرر بصورة لافتـة. وهكذا نجد أن «معظـم الدراسـات الاستشـراقية تعاملـت مـع اللغـة الكرديـة باعتبارها لغة مسـتقلة لها شـخصيتها ومواصفاتها وهويتهـا، لا بل أكثر من ذلـك أولى بعض المستشـرقين أو المعنيين باللغة الكردية، قبل مجيئهم إلى الشـرق أو من خلال دراسـاتهم التي كانت تُعدّهم للقيام بمهامهم في الشـرق، اللغـة الكردية اعتبارًا رفيعًا». وهكذا عَدَّ السير ويلسـون[12] اللغة الكردية «أقدم اللغات الموجودة في بلاد آسيا الغربية»[13].

ذهب مينورسكي إلى عدّها «لغة لها شـخصيتها المستقلة مثلما لها نظامها اللغوي المستقل»[14]. وأشارت دراسـات المستشرِقَين روديغر وبوت (1840) التـي تضمنـت مقارنـات لغويـة وصوتيـة للغـات ولهجـات إيرانيـة متقاربة من حيـث التفرّع اللغوي ومن حيث الجغرافيا إلـى أن تكوين الكرد اللغوي يحتفظ بتمايزات «واضحة» في إطار اللغات الإيرانية. وذهب المستشـرق الروسـي بيتر ليرخ في كتابه دراسـات حول الكرد في فترة 1857 - 1858 إلى خلاصة قريبة من المعنى السابق[15].

---

(11) فلاديمير مينورسـكي (1877 - 1966)، ولد في موسـكو عـام 1877، وعمل في معهد الاستشـراق (1903)، كما عمل في الممثليات الدبلوماسـية الروسـية في كل من تركيـا وإيران، وعاش سنوات طويلة في المدن الكردية في البلدين (1905 -1917). انتقل في عام 1919 إلى باريـس ليكرس حياتـه للعمل العلمـي الاستشـراقي. درّس في جامعات فرنسـا وبريطانيا لسـنوات عديدة، ونشـر العديد من الدراسـات عـن الكرد، ولعل أكثرها شـهرة كتابـه الكرد: ملاحظـات وانطباعات، ولـه كتابات أخرى عديدة. توفي في لندن عام 1966، ودفن فيها عن عمر ناهز الـ 89 عامًا، وكان قد أوصى بإهداء أرشـيفه ومخطوطاته ومكتبته إلى معهد الاستشراق في بطرسبورغ.

(12) السـير ويلسـون ضابط في الجيش البريطاني عمل في العراق وكتب عن تجربته في الكوت والموصل إبان الحـرب على الدولة العثمانية والاحتلال البريطاني للعـراق، كما كتب وحاضر عن الكرد والأقليات في العراق. انظر مثلًا: W. C. F. Wilson, «Northern Iraq and its People,» *Journal of the Royal Central Asian Society*, vol. 24, no. 2 (April 1937), pp. 287-299.

(13) السندي، ص 426.

(14) المصدر نفسه، ص 426.

(15) بيتر ليرخ، دراسـات حـول الأكراد وأسـلافهم الخالديين الشـماليين، ترجمـة عبدي حاجي (دمشق: دار علاء الدين، 1994).

يُلاحَظ أن ثمة «دالة ارتباط» سلبية بين مستوى الاهتمام باللغة والأدب الكرديين ومستوى الاهتمام بآداب الشعوب الأخرى، العربية والفارسية والتركية. وتأثر ذلك بمستوى علاقة الأكراد بالثقافات المجاورة وطبيعتها، ولنقل بمدى الاستقلالية السياسية والتاريخية للكرد.

هنا يمكن ملاحظة أن «الاستقرار» النسبي ربما زاد من اهتمام الأكراد بالثقافة واللغة والهُوية الكردية، وهو ما أدى إلى تراجع نسبي في اهتمامهم بثقافات الجوار، كما حصل في الإقليم الكردي في شمال العراق[16]، وربما في التجمعات الكردية الرئيسة في جنوب شرق تركيا وشمال غرب إيران.

ربما كان فقدان الكرد بصفتهم كيانية سياسية مستقرة هو أحد أسباب افتقادهم لغة قومية، أو الفشل في تعميم إحدى لهجاتهم لتكون هي اللغة «الفصحى». وهذا على أي حال ما تتكرر الإشارة إليه في الكتابات عن الشؤون الكردية. وتلك مسألة قابلة للنقاش، وتحتمل مثل غيرها من قضايا الوجود الكردي اتجاهات رأي مختلفة.

تستند ظاهرة الهُوية وإثبات الأهلية أو الكفاءة الإثنية في عمومها إلى المعطى اللغوي[17]، وليست الروابط والسوابق التاريخية هي الأساس، إذ من المفترض التعويل على مؤشرات ذات قوة راهنة، أي مؤشرات واقعية وليس بالضرورة تاريخية، لأن الواقع أو المدارك في شأنه، خصوصًا في الظواهر السياسية، تكون أحيانًا أقوى من «الحقائق التاريخية».

---

(16) شيرزاد شيخاني، «انحسار اللغة العربية في كردستان،» الشرق الأوسط (لندن)، 17/6/2012.

(17) انظر بكيفية عامة: جون جوزيف، اللغة والهوية: قومية - إثنية - دينية، ترجمة عبد النور خراقي، عالم المعرفة؛ العدد 342 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2007).

الصورة (2-1)

فلاديمير مينورسكي (1877- 1966)

ثانيًا: التأسيس

التأسيس هو نوع من «توافق موضوعي» بين ما تَحَصَّلَ لدى الكرد من معلومات عن «تاريخهم» اللغوي، وما لديهم من مطامح وعقائد وأيديولوجيات ذات صلة بـ «الماضي»، لكنها متطلّعة إلى المستقبل، بمعنى أن «التأسيس» هو فعل إدراك قصدي موضوعه الماضي وهدفه المستقبل.

التأسيس بمعنى آخر هو عَدّ معطيات معينة حاملةً معاني ومقولات تفوق بكيفية أو أخرى قدرتها ودلالاتها التاريخية، وقد يتطلب ذلك - وهو ما يتكرر حدوثه - القيام بتعديلات وتأويلات على الموضوع من أجل «استكمال» الصورة. ولا يذهب التأسيس مذهب التنظير، فهذا نتناوله في فقرة لاحقة، وتكاد تقتصر على أخذ ما هو «مطروح» من دون مساءلته أو اختباره أو البحث عن علميته و«يقينياته». التأسيس هو إدراج الموجود في قوالب وظيفية محددة مسبقًا.

قد يكون ذلك نوعًا من «تظهير» مركب لحصيلة التفاعلات القائمة بين تلك العناصر الفاعلة والمكوّنات المذكورة آنفًا، وقد يكون نتيجة تأويل

وتدخل قصدي ذي نمط سياسي أو قيمي، أو نتيجة «طبيعية» لديناميات الوجود الاجتماعي والثقافي والذاكرة التاريخية والمدارك العامة وغيرها.

يمكن الحديث عن عناصر فاعلة «مُؤَسِّسَة» للوجود الكردي ككل، ومنها - وربما في مقدمها - اللغة، وهذه العوامل ثلاث: التاريخي والاجتماعي والثقافي. **الأول** هو ما تحصَّل ووصل إلينا من سرديات التاريخ ووقائعه، وكذلك البحوث واللقى الآثارية، الأمر الذي يشير إلى دور متصل (وحتى ما انقطع منه) للكرد في العالم، وأشرنا إلى ذلك أعلاه؛ أما **الثاني** فهو الاجتماعي أو ما يتجسد «استعماليًا» في المجال الاجتماعي الكردي(18)؛ أما **الثالث** فهو الثقافي، ويتعلق بالاتجاهات وأنماط القيم العامة في شأن اللغة والهُوية.

1 - العامل التاريخي

يأخذ العامل التاريخي النصيب الأكبر من الجهد الرامي إلى إدراجه في خطاب سياسي وثقافي يقطع بوجود لغة وتاريخ واستمرارية للكرد، وربما يقطع بيقين أكبر أن هذا يتمخض عن ذاك. لكن الأمر لا يصل إلى القول إن ثمة وجودين للكرد، **الأول** هو أكراد «عالم المثل» في الماضي القديم، **والثاني** هو «أكراد الواقع»، أو أكراد عالم اليوم. وقد يتمنى المرء لو أمكن التدخل في إشكال مُلغز يزيده تطوّره غموضًا واستغلاقًا.

هذا ما يحدث نتيجة التركيز الزائد على العامل التاريخي، وهو مفيد على أي حال، إن لم يكن في تحقيق نتائج حاسمة، فبالأمل الذي يحييه بأن لا مانع «تاريخيًا» هذه المرة من أن تعود لحظات انتصار أو ازدهار سابقة لأي جماعة إثنية أو لغوية أو غيرها، لكن الأمر لا يقف عند هذا، ثمة أمل من نوع آخر وهو «تجسير» ما انقطع في السردية التاريخية للكرد.

---

(18) يتناول الكاتب العامل الاجتماعي في البناء الكردي والسياسة الكردية المعاصرة في حيز آخر.

2 – العامل الثقافي والرمزي

يشـهد المجـال الكردي نشـاطًا كبيرًا نسـبيًا علـى صعيد الكتابـة والإعلام والاهتمـام بالثقافـة وما يرتبـط بالهُويـة، ويـزداد الاهتمام بمـا يُقال عـن الكرد وما يتصل بهم فـي البيئة الإقليميـة والدولية. وهذا نابع على مـا يبدو من أهمية الثقافـة ودورها في تغطية متطلّبـات التفاعل مع العالم، أو الاسـتجابة لـها، بعد إثبات الأهليـة الثقافية والإثنية. ويُعد العامل الثقافي والرمزي ضروريًا لتأسـيس الجماعـات والعصبيـات التوحيديـة (وكذلك الانقسـامية)، وهـذا يدركه الكرد جيدًا، ويحاولون التعبير عنه من خلال عمـل متعدد الأبعاد، مثل تقصي التاريخ و«البحث» في خزائن الكتب والملاحم والسـرديات والشفويات لإكمال صورة الكرد، قليـل منها موجود وأكثره تأويل وافتراض وتخميـن، وهذا ما يفعله دُعاة الهويات والرايات، والكرد ليسوا استثناء في ذلك.

تشـكل الثقافـة هنـا جـزءًا مـن سياسـة تجتهـد فـي ترميـم الهُويـة اللغوية وتصميمهـا أو هندسـتها، وهذا عمل قصـدي بطبيعته، ويسـتمد مفرداته مما هو مطروح ومألـوف لدى الكرد، وقد يذهب به مذاهب تأويل مختلفة تطال أسـئلة الوجـود الكبرى. وهكـذا تصبح الأفـكار والحدثيات السـابقة قـوة ذات دلالة، خصوصًـا عندما تكسـوها وجهـات نظر أو تنـدرج في وجهات نظر، ولا سـيما عندما تنتظم هذه الأخيرة في برنامج أو نظام تفاعلات اجتماعية وبرامج تتحول إلى أيديولوجيا. بهذا ينشط التأسيس الأسـطوري للمفردات الوجودية والإثنية، ومنها الأصل العرقي واللغة على الأخص، مثلما يشمل ذلك إجابات عن أسئلة بالغة التعقيد مثل: لماذا يقوم الشقاق بين الأكراد، ولا تقوم لهم سلطة ودولة؟

أ – أفستا

تسـجل الرُّقـم واللُّقـى الآثاريـة المعروفـة بـكتـاب أفسـتا (*Avesta*) وغيره تعاليـم كثيرة[19]، تشـير إلـى طبيعة حيـاة الأفـراد والجماعات العامـة الموجهة

(19) أفسـتا: الكتاب المقدس للديانة الزرادشـتية، إعداد خليل عبد الرحمن، ط 2 (دمشق: روافد للثقافة والفنون، 2008).

إليهم، أو على الأقل الصادرة عنهم في لحظة تكوينها الأولى. وأفستا هو الكتاب المُقدّس للديانة الزرادشتية. يتجاوز عمره ثلاثة آلاف سنة، ويمثل موسوعة الحضارة والثقافة والأخلاق والأنثروبولوجيا للشعوب الآرية[20]. وقد يكون أقدم وثيقة تشمل مؤشرات أو معطيات تاريخية وثقافية وقانونية تعكس جوانب الحياة المختلفة للشعوب الآرية من الكرد والأرمن والفرس والطاجيك والأفغان. وتعني كلمة أفستا: الحِمَى أو الملاذ، وهي مشتقة من كلمة Upasta بمعنى الأساس، وهي بداية الحياة في اللغة الكردية الهورامية، وتحمل دلالة الحَمل (Avis) في الكردية الكرمانجية.

يتشارك الكرد والفرس في ميراث الأفستا، وربما كانت تأثيراته وتجلّياته الفارسية أكبر من الكردية. ويجزم أكاديمي كردي عُني بتقديم أكبر طبعة وأكملها للأفستا باللغة العربية أنها «لم تكن فارسية، لأنها لم تُكتَب بالفارسية، ولم تتشكل في المحيط الفارسي ... كما أن ما ورد فيها من معلومات عن الأجواء السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، والدينية لا تتطابق مع ما كانت المنطقة الفارسية الصحراوية عليه في زمن زرادشت وأفستا في الألف الأول قبل الميلاد»[21].

يدل ما يُذكَرُ عن زرادشت على أن أفستا هو كتابات ميدية، كما أن اسم زرادشت نفسه يدل على ميدية الرجل و«مجوسيته»[22]. وبعد سقوط إمبراطورية ميديا على يد كورش، مؤسس الإمبراطورية الأخمينية الفارسية (550 ق. م)، «ماتت لغة أفستا»[23].

---

(20) المصدر نفسه، ص 7.

(21) المصدر نفسه، ص 22.

(22) معنى اسم زرادشت (صاحب الجمل الأصفر)، فالمقطع الأول (Zer) يعني (الأصفر أو الشاحب)، أما المقطع الثاني وله شكلان للفظ (Ustra) و(Histir) فيعني (الجمل). انظر: المصدر نفسه، ص 22.

(23) المصدر نفسه، ص 23.

يتطلب هذا القول المزيد من التدقيق، لأسباب كثيرة، أوّلها الاعتبارات العلمية ونزع الأيديولوجيا من بواطن القول وخلفياته في شأن الأفستا والزرادشتية، وتأثير ذلك في عوامل التكوين الإثني للمنطقة وعناصره الفاعلة، خصوصًا بين الفرس والكرد[24].

يضيف الكاتب الكردي نفسه: «أن كلًا من أفستا وأفستا الصغرى وردت فيها مفردات كردية كثيرة ... كما أن العديد من المناطق الجغرافية التي ورد ذكرها في أفستا كانت تقع ضمن أراضي ميديا الكبرى مثل: رَي، هكاري، هرات ... إلخ. ومن جهة أخرى يتطابق رأس السنة الأفستية مع رأس السنة الكردية الذي يصادف فيه عيد نوروز الذي يُعد من أهم الأعياد الزرادشتية والكردية ... هذا يدل على ميدية أفستا وكرديتها»[25].

ب - «أرى له ماله»

تنطوي الثقافة الشفوية على حكايات وسرديات عديدة عن اللغة، الأمر الذي ينطوي على دلائل ثقافية ونفسية مهمة، تقول الحكاية: «روي أن فاطمة الزهراء سألت أباها النبي محمد ذات مرة عن وجود لغات أخرى غير العربية؟ فقال: نعم، لغات كثيرة منها الكردية. فقالت فاطمة: وكيف هي اللغة الكردية؟ وبينما هما يتحدثان طُرق الباب فنهضت فاطمة لترى من الطارق، وإذا برجل واقف يسأل ... ميمكه مَمَد لَه ماله [أي: يا عمة هل محمد في البيت؟] استغربت فاطمة وعادت لتقص الخبر على أبيها، فقال: يا فاطمة الواقف بالباب هو جبريل، واللغة التي تكلم بها هي الكردية فاذهبي وقولي له: أرى له ماله [أي، نعم هو في البيت]»[26].

---

(24) انظر بكيفية عامة: John R. Hinnells, *The Zoroastrian Diaspora: Religion and Migration: The Ratanbai Katrak Lectures, the Oriental Faculty, Oxford 1985* (Oxford; New York: Oxford University Press, 2005).

(25) المصدر نفسه، ص 25 و28.

(26) ترد الحكاية بصيغ مختلفة، انظر مثلًا: جان دوست، الدر الثمين في شرح مم وزين (أربيل: دار سبيريز للنشر، 2006)، ص 45.

ج - الشاهنامة

تسجل الشـاهنامة (*Shahnameh*)[27] لأبي القاسم الفردوسي أشياء كثيرة عن ملاحم الشـرق الكبرى، ويختلط فيها الحدثي الواقعي بالتخمين، ويتداخل فيها الإخبار بالإطناب والسـرد، لكنها تستند بالأسـاس إلى نزوع الفرس القديم إلى «تسـجيل» الذاكرة والتاريخ و«حفظهما»، وفي ذلك تداخـلات كثيرة. وتتضمن طبعـة الشـاهنامة العربيـة إشـارات عديـدة إلى تعـدد الآراء فـي تاريـخ الفرس وثقافتهم وسيرهم وعلاقاتهم بالشعوب الأخرى[28].

تعطـي الشـاهنامة المتلقي الكـردي (وغيـر الكـردي)، الثقة بـأن «التاريخ الكردي» ضارب في القدم، وأن الملاحم الكردية والفارسـية والشـرقية القديمة هي نتاج شـعوب وأقوام قوية وخَلّاقَـة، أو أنها نِتاج مخيلـة ترتبط بمعاش تلك الشـعوب وآمالها، وهي مخيلة خلّاقة أيضًا. وتنطوي الشـاهنامة على سـرديات كثيرة ذات صلـة بالثقافة الكرديـة، أصولها ومعاشـها وعلاقاتهـا، وأنماط القوة والسـلطة، وهي لـم تُكتب لمجـرد التسـلية أو الإخبار بـأن ثمة أشـياء حدثت، وليسـت سـجلًا أو كرونولوجيًا، وقـد لا تكون تغطيـة أدبية أو سـردية تعويضية لانتكاسات حادثة، لكنها ربما تهجس باستمرارية وجودية ما، وتأكيد رسالة من السابق إلى اللاحق، أو يُنظَرُ إليها على أنها كذلك.

تكون الشاهنامة قد حققت شـيئًا من «رسـالتها» عندما ذَكَّرَت الأقوام التي «تلقّتها» بأن الماضـي كان مختلفًا إلى حد كبير، كما أن «الانكسـار» اليوم ليس قدرًا، وله سـوابق، مثلمـا أن الانتصار هو أمر سـابق أيضًا، وهـذا من الأغراض

(27) الشـاهنامة أو كتاب الملوك، للشـاعر الفارسـي أبي القاسـم الفردوسـي (935– 1020م)، عدّهـا ابن الأثيـر «قرآنًا فارسـيًا». وهي الملحمـة الوطنية للفرس وإحـدى كلاسـيكيات الأدب العالمي، نص نثـري يضم صوغًـا لملاحم الفـرس الكبرى ويتضمـن تكوينًا من الحـوادث والحقائق والسـرديات والخرافات يعود أصل بعضها أو أكثرها إلى عام 1000 ق. م، وتضم 60 ألف بيت أو مقطوعة.

(28) أبو القاسـم منصور بن فخر فردوسـي، الشـاهنامة، ترجمها الفتح بن علي البنداري؛ تحقيق عبد الوهاب عزام، ج 1، ط 2 (الكويت؛ القاهرة: دار سعاد الصباح، 1993)، ص 23.

«الوعظيـة» وربما «الدعوية» لمن شـاء أن ينظر إلى الموضوع مـن هذه الزاوية. هكذا اسـتلهمت الـرؤى الكردية شـيئًا مـن مشـروعيتها أو مرجعيتهـا التاريخية والمعنوية من الشـاهنامة وغيرها، سـواء بالإحالة المباشـرة أم غير المباشرة، أم مجرد التأويل في النصوص أو عليها.

د – مروج الذهب وأبناء الشياطين

ذكـر المسـعودي (ت 956/ 7م) فـي مـروج الذهـب ومعـادن الجوهـر اختـلاف الآراء فـي أصل الكرد، فهم – علـى ما يقول – من أصـول عربية (من ربيعة بن نزار بن معـد بن عدنان، أو من مضر بن نزار، أو مـن أبناء كرد بن مرد بن صعصعـة من هوازن، أو أنهم مـن ربيعة ومضر)، كما يـورد أخبارًا عن قصة إماء النبي سـليمان، حيث وقع بهن الشـيطان وحملن منه ووضعـن، وعندما رد الله إلى سليمان المُلك قال: «أكردوهن إلى الجبال والأودية»، فرَبَّتهم أُمَّهَاتُهم، وتناكحوا وتناسلوا، فذلك بدء نسب الأكراد»[29].

كما يذكر المسعودي نسبتهم إلى قصة الملك الضحّاك الذي «خرج بكتفيه حيّـان، فكانتـا لا تُغذّيان إلا بأدمغـة الناس، فأفنـى خلقًا كثيـرًا. واجتمعت إلى حربه جماعة كثيرة وافاه [أتاه] أفريدون بهم، وقد شـالوا راية من الجنود تسميها الفرس درفش كاوان [درفش كاسـان]، فأخذ أفريـدون الضحّاك وقيّده في جبل دنباوند [نهاوند] على ما ذكرنا، وقد كان وزير الضحّاك في كل يوم يذبح كبشًـا ورجلًا ويخلط أدمغتهما، ويطعم تينك الحيتيـن اللتين كانتا في كتفي الضحّاك، ويطـرد من تخلص إلـى الجبال، فتوحشـوا وتناسـلوا في تلك الجبـال فهم بدء الأكـراد، وهؤلاء من نسـلهم، وتشـعبوا أفخـاذًا، ومـا ذكرناه من خبـر الضحاك فالفرس لا يتناكرونه، ولا أصحاب التواريخ القديمة ولا الحديثة»[30].

ذكر أبو القاسـم الفردوسـي في الشـاهنامة تلـك القصة، وأما سـعد الدين

---

(29) أبو الحسـن علي بن الحسـين المسـعودي، مروج الذهـب ومعادن الجوهـر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط 5 (بيروت: دار الفكر، 1973)، ج 2، ص 123.

(30) المصدر نفسه، ص 124.

خوجة (1537 - 1599م) الذي تولّى مشيخة الإسلام في السلطنة العثمانية فذكر في كتابه تاج التواريخ (باللغة التركية) أن الكرد ربما بقوا منقسمين ومشتتين سياسيًا ولغويًا ... وهو حالهم منذ القديم، لأسباب لا حول لهم حيالها، ويورد حادثة مفترضة، ولا نعلم إن كان ثمة من يأخذها على محمل الجد. يقول: «لما انبثق نور النبوّة المحمدية، وأخذت الشعوب تهرع إلى الرسول (ﷺ) وتدخل الإسلام، اختار أوغوز خان، أحد سلاطين تركستان، وجيهًا كورديًا [كرديًا] يدعى بغدوز، كريه المنظر قبيح الوجه حالك الخلقة، وأوفده «إلى مقام صاحب الرسالة» ليُعبّر عن انقياده للدين الإسلامي، فلما مثُل بين يدي «خير البشر» تنفّر من صورته وهيئته، وسأله عن القبيلة التي ينتمي إليها، فأجابه بغدوز: بأنه من الكورد، فقال الرسول «لا يوفق الله هذا الشعب للاتفاق بينهم، وإلا غلبوا على الأمم وأساءوا إلى العالم... «فمنذ ذلك اليوم لم يتيسر لهذه الأمة تأليف دولة وسلطنة كبرى»[31].

الواقع أن الحكاية ترد بصيغ مختلفة، وثمة من يذهب في تأويلها مذاهب شتى، بعضه يؤثّم[32]، وبعضه يكتفي بذكرها على نحو ما تذكر الحكايات والسرديات والأساطير.

3 - العامل/ التكوين الاجتماعي - الديني

أ - اليارسان

اليارسانيون (Yarsan) هم أحد التكوينات الدينية والهويات الفرعية، من حيث عدد السكان، في المجال الكردي، التي تتميز بأبعاد عميقة الصلة بتطور الموروث الثقافي والروحي للكرد. وكانت تجلّيات وجودهم أو حدثياته منطلقًا

---

(31) شرف خان البدليسي، شرفنامه، ترجمه إلى العربية محمد علي عوني؛ راجعه وقدم له يحيى الخشاب، 2 ج (دمشق: دار الزمان، 2006)، ج 1: في تاريخ الدول والإمارات الكردية، مقدمة المترجم، ص 62.

(32) انظر مثلًا: عبد الفتاح علي البوتاني، بدايات الشعور القومي الكوردي في التأريخ الحديث (أربيل: دار كاوا للنشر، 2005).

لكثير من الاضطهاد والتنكر، وكثير من القمع والتعدّي. وتشير الدراسات في شأن اليارسانية إلى أن تأسيسها يعود إلى السلطان إسحق (Soltan Sahak) في القرن الرابع عشر، لكنها تعتمد على تكوين مركب من العقائد والأفكار والقيم ذات الصلة بالميراث الروحي والثقافي للشرق ككل، وليس الكرد فحسب، وإن كانت هويتها الكردية بادية أكثر.

ترتبط اليارسانية باللغة أو اللهجة الغورانية التي كانت اللغة الرسمية لأجزاء واسعة من «كردستان». ويعتقد اليارسانيون (يُسمون أيضًا أهل الحق)، وربما شمل ذلك عقائد أخرى، أن الله منع عن عامة الناس أسرار الخلق والتكوين، إلا أنه أعطاها إلى خاصته من الكرد (اليارسانيين) باللغة الكردية، وهذا يخلع على الكردية طابع القداسة[33].

ب - البهائية

يُذكَر عن بهاء الله (1817 - 1892م)، مؤسس البهائية (Bahai)، أنه تَنَكَّرَ باسم مستعار (درويش محمد) وهيئة الدراويش خلال إقامته في جبال كردستان (1854 - 1856م). وذُكِرَ عنه قولُه إن اللغة الكردية هي لغة آدم، وهذا قول واسع الانتشار بين الأكراد، لكن ليس بوصفه مقولة بهائية[34].

ج - الإيزيدية (أو اليزيدية)

نجد في العقائد المنسوبة إلى الإيزيديين (أو اليزيديين) (Yazidis) شيئًا قريبًا من ذلك، إذ إنهم - وفق ما يُنسب إليهم - خُلِقوا من بذرة آدم الذي نزل في

---

(33) Haji Ne'matollah Mojrem, *Haqq al-haqayeq ou Shah-nama-ye Haqiqat (Le livre des rois de verite): Histoire traditionnelle des Ahl-e Haqq*, texte persan publié avec une introduction, une étude sur les Fideles de Vérité, des notes, des commentaires et un quintuple index par Mohammad Mokri (Paris: [s. n.], 1988), tome 1, pp. 202-3841.

ترد هذه الإحالة المرجعية في: نيكيتين، الكرد.

(34) Edward G. Browne, *Materials for the Study of the Bab'i Religion* (Cambridge: Cambridge University Press, 1961).

وردت الإشارة المرجعية في: «The History of Kurdish Language,» (Kurdish Academy of Language), on the Web: <http://www.kurdishacademy.org/?q=ku/node/37> (Accessed 12/2/2013).

مـكان ما في قرية لالـش (Laish) على قمـة جبل في منطقة شـيخان (Shekhan) – شـمال العـراق، وهـو جبـل مقـدّس لـدى الإيزيديـة، ويُقال إنـه كان المسـكن الأول لــ «اللـه»، ثم قضى بعد ذلك 3000 سـنة في سـفينة في البحـار، ويزور ذلـك المكان مـرة كل عام في موعـد هو الأربعـاء الأول من كل نيسـان/ أبريل (أصبح عيدًا رسـميًا في كردسـتان العراق) ليتباحث معهم ويطّلع على شؤونهم وشؤون العالم من هناك، وربما يعطيهم أخبار العالم للسنة الجديدة، والأهم أنه يخاطبهم باللغة الكردية[35].

د – دخول الإسلام إلى كردستان

يذكـر الكـرد أن دخـول الإسـلام إلـى كردسـتان مثّل نقطـة تحـوّل كبرى فـي تاريخهـم، إذ كانـت للكـرد لغتُهـم وألفباؤهـم وكتاباتهـم، لكـن السـلطة الجديدة بجيوشـها فرضـت واقعًا جديـدًا أدى إلـى إضعافها، ذلـك أن القيمين على السـلطات الجديدة «ألقوا [بحسـب تقديـرات كردية] العديد من الرسـائل والصحائف والمخطوطات في الأنهار بذريعة أنها مجوسـية وزرادشـتية، انتشل بعض منها وكانت على قسمين: القسم الأول ديني، دين الماديين [أو الميديين]، آويستا[36] زه ند[37] ووبين كورد ومواضيع أخرى عن الزرادشتية. والقسم الثاني مواضيع عن السياسـة والعادات والصحة والتعليم والأدب والتاريخ والأساطير والقصص وشـؤون إدارة الدولة، وبعضه عن قوانين الشـطرنج وفنون الفروسية ورمـي السـهام، وعـن الصناعـة والزراعـة والغابـات وعلـوم الأرض والفلـك والفلسـفة، وفي ما يلي أسـماء بعـض الكتب الكرديـة قبل الميـلاد وقبل ظهور

---

(35) انظر نظرة إجمالية عن عقائد الإيزيدية في: John S. Guest, *The Yezidis: A Study in Survival* (London; New York: KPI; New York, NY: Routledge and Kegan Paul, 1987), pp. 18 and 32.

(36) أفستا، هو كتاب لـ «زرادشت»، ويُعد الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية.

(37) زه ند أو زه ند أفسـتا، هو الكتاب الذي يتضمن شـرحًا لكتاب أفسـتا ويحدث الخلط أحيانًا بين أفسـتا الـذي يقدر ظهوره فـي الألـف الأول قبل الميلاد، وبيـن «الشـروح» أي زه ند التـي يقدر أنها ظهرت خلال العهد الساساني في القرن الثالث بعد الميلاد.

الإسـلام: ويين كورد[38]، داتسـتان دينيك[39]، أرده ويرافنامـه[40]، كارنامه ى ئه ردشـيري بابه كان، زريران[41]، خوسـره وكووتان[42]، وشتره نكنامه[43]، خوتاي نامه[44]، خوواي نامه[45]، روستم نامه[46] ... إلخ»[47].

يرد في الخطاب الكردي شـيء آخر قد «ينسخ» معنى الحكاية السابقة، إذ يعود الكردي ليتحـدث عن أن للكرد مكانة كبيرة في القرآن، وذلك في تفسـير الآية القرآنية ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾[48] وهؤلاء هم الأكراد ذوو البأس والهيبة. لكن الكاتب يُسـارع ليؤسـس لشـيءٍ آخر هو أن التعويل يكون على قوم ذوي جلال وقوة في الأرض، والأكراد لا يتوافرون على عناصر القوة الماديـة والمعنوية، فلا دولـة ولا موارد ولا جيـوش ويُبنى علـى ذلك مقتضاه وهـو الدعوة إلـى الوحدة. ويذكـر الكاتب الكـردي بقدر مفهوم مـن المبالغة: «كانت كردسـتان ذات السـلطة والعلم باللغة الكردية، فكانـت مهدًا للحضارة، ومنبعًـا لجميـع العلوم والفنـون، وأساسًـا للصناعـة والتجارة، وبذلـك قدّمت لجميـع أقـوام الكـرة الأرضية سـبل التحـرر والتقدم. لقـد اندثـرت الكثير من الآثـار والمعالم عبر العهود الغابرة، وانمحت بسـبب الكوارث الأرضية، إلا أن

---

(38) ويـين كورد، هـو كتاب آخر لـ «زرادشـت»، وهو من أقـدم الكتب الكرديـة المكتوبة باللغة البهلوية ولغة «اللور» و«الكلهور» الرعاة. وكتب على جلود 12000 جاموس.

(39) داتسـتـان أو داسـتان وتعنـي ملحمـة وهي تحكي عـن قصص البطـولات لشخصيـة تعـرف بـ «دينيـك».

(40) أرده ويرافنامه، وهي حكاية رحلة المؤيد الزرادشتي «أرده ويراف» إلى الجنة والجحيم.

(41) كارنامه ى ئه ردشـيري بابه كان، أي «سيرة أردشـير بابكان»، هو كتاب باللغة البهلوية (التي تنحدر منها اللغات الكردية والفارسـية). و«أردشـير بابكان» أو «أردشـير بن ساسـان»، هو بطل الكتاب، ومؤسس الدولة الساسـانية.

(42) خوسره وكووتان، هي على الأغلب قصة عشق مثل فرهاد وشيرين أو مم وزين.

(43) شتره نكنامه، أي «رسالة في الشطرنج».

(44) خوتاي نامه، أي «سير الملوك».

(45) خوواي نامه، أي «شاه نامه» التي يقدر الكرد أنها تُرجمت من البهلوية إلى الفارسية والعربية.

(46) روستم نامه وتحكي سيرة الملك «رستم»، وهي على غرار شاهنامه وخوواي نامه ... إلخ.

(47) كيـو موكريانـي، «تاريخ كتابـة اللغة الكرديـة خلال 5000 سـنة،» ترجمة م. رشـيد، أوراق كردية، العدد 7 (شـباط/ فبراير 2003)، على الموقع الإلكترونـي: <http://www.amude.net/ewraq/7/index.html> (Accessed 12/2/2013).

(48) القرآن الكريم، «سورة الفتح،» الآية 16.

الألـواح الحجرية ... الموجـودة في المتاحف الأجنبيـة (الخارجية) هي أعظم وأهـم الآثار الدالة على عظمة وجلال الأسـلاف ... [وقد كانت] مخطوطاتهم القديمة مكتوبة باللغة الكردية»[49].

يذكر الكرد أنهم كتبوا لغتهم بأحرف لاتينية، ومن اليسـار إلى اليمين، لكن ليس ثمة مؤشـرات وأسـانيد كثيرة يُعتدّ بها لهذا القول. وأما التعويل اليوم على «التطابـق» المفترض بين اللغة الكردية، منطقها وقواعدهـا وألفاظها، والألفبائية اللاتينية، فقد يقارب الصـواب في بعض أوجهه، إلا أنه قد يكون مدفوعًا – إلى حد ما – بالأيديولوجيا القوموية والانجذاب إلى الغرب، وربما محاكاة تجارب أخرى بهذا الصدد، كما في اللغة التركية مثلًا.

هذا الأمـر من المكونـات المُؤَسِّسَـة لصـورة اللغة عند الأكـراد، يضاف إليـه الاعتبـار العاطفـي والقومـوي، وجعـل اللغـة مدخـلًا للتعاضـد الإثنـي (والسياسـي)، حتى لـو خالف ذلك الاعتبـارُ البناءَ الإيمانـي والعقائدي لأكثر الأكـراد. غيـر أن التعاطي المركـب من العقائـد القوميـة والعقائـد الدينية هو أمر شـائع في لغة السياسـة، وقد يكون ذلك أحد هواجس الجماعة السياسـية والثقافية الكردية.

ثالثًا: «نظرية اللغة»

لا نتحـدث عن نظريـة في اللغـة، ما نريـده هنا هـو التفكير فـي اللغة، في بُعدهـا المتعلق بالهُوية، كما في الخطاب الكردي. إن التفكير في اللغة، أحوالها وتطوّرها، وسياسات الاحتواء اللغوي داخل الفضاء الكردي، ومواقف الأطراف الأخرى غير الكردية منها، وكذلك السياسـات العامة (لـدول المجال الكردي) هي هواجس وتحديات تتجاوز اللغة نفسـها لتمسـك بالموضوع الكردي برمّته تقريبًا.

---

(49) موكرياني، «تاريخ كتابة اللغة الكردية».

1 - البُعدان الوظيفي والاستعمالي

تكرر الدراسة الإشارة إلى أهمية اللغة في بُعدها الوظيفي، باعتبارها «نظامًا تمثليًا»، وهو ما تفعله الدراسات اللغوية منذ أفلاطون حتى اليوم. وقد توصل لودفيغ فيتغنشتين (Ludwig Wittgenstein) إلى «استحالة فصل التمثل عن التواصل، واستنتج أن اللغة شيء لا يزيد ولا ينقص عن الاستعمال الذي استمرت من أجله». وما يهمنا هنا أن ثمة علاقة غير متوازنة بين بُعدي اللغة الرئيسين أو قيمتيها (القيمة الاستعمالية أو الاتصالية، والقيمة المعرفية أو الرمزية).

ثنائية متلازمة، لكن طرفيها غير متوازنين، قد يزيد التواصل والاستعمال فيما يضعف التمثيل والتفكير، وقد تزيد القيمة الاستعمالية في المعيشة والأيديولوجيا، الأمر الذي يزيد من قيمتها الرمزية والثقافية والسيكولوجية، إنها علاقة طردية. وثمة استثناءات جديرة بالملاحظة وتتضح أكثر على المستوى الفرعي، وعلى هذا المستوى تصبح الثنائية الثانية «غير متوازنة» وتشبه في ذلك الثنائية الأولى. وهنا يمكن تكثيف العلاقات السابقة كما في الشكل (2-1). لكن أي بُعد من بُعدي اللغة أو وظيفتيها هو الأكثر ارتباطًا بالهُوية، أو لنقل أيهما أكثر تجلّيًا فيها؟

«إن قضية ارتباط عملية الهُوية اللغوية ارتباطًا وثيقًا بالتفاعل اللغوي بين الناس يجعل منها، على ما يبدو نوعًا متفرّعًا من التواصل. غير أن الهُويات الجماعية تشكل فئات من دون أدنى شك، وهي طرق تُفهم من خلالها علاقة الناس في ما بينهم. ويمكن أن ينطبق الأمر نفسه على الهويات الفردية التي تمثل، على الأقل جزئيًا، أدوار هذه الانتماءات الجماعية، وهذا في ما يبدو هو الذي يؤهّل الهُوية لأن تكون أحد فروع التمثل»[50].

لا تُميّز الهُوية اللغوية بين المُعطَيين أو البُعدين المذكورين آنفًا للغة، وهما مُعطيان تقليديان، وإذا أردنا أن نُبقي على التمييز بينهما فليس ممكنًا تحديد الوزن النوعي لحضور كل منهما في «الهُوية اللغوية» بشكل جماعي أو كلي.

---

(50) جوزيف، ص 36.

سوف يتعين علينا تقصي مكون آخر للبعد اللغوي في الهُوية، وهو الشعور الجمعي المتولد من اللغة، وهو أيضًا شعور إثني يحضر بكيفيات تتغلب أحيانًا على «أسبابه» نفسها؛ هنا نتحدث عن جانب سيكولوجي عاطفي ولا نستند إلى دراسات ميدانية أو تقصٍ علمي في المجال الكردي، وليس لدينا كثير من المرجعيات النظرية بهذا الخصوص[51].

إن «تدخل» السياق الإقليمي والدولي في المجال الكردي يجعل «اعتبار اللغة» أكثر حضورًا بالمعنى الرمزي، وتصبح اللغة الكردية «مقدسة» حتى بالنسبة إلى من لا يعرفها من الكرد، فهي ذات قيمة أصلية دلالية وطريق إلى «معنى» يريده الكردي، لكنه لا يُدركه عن طريق اللغة نفسها ... نوع من ارتباط بـ «شيء» يصعب «القبض عليه» و«تعيينه». وإذ يتغلب الجانب السيكولوجي والوجداني أو العاطفي على الجوانب والأبعاد الأخرى، فلا تُعَدُّ اللغة وسيلة للاتصال، بذاتها، أو لنقل إن حقل الدلالات والجوانب الرمزية للغة يزيد على كل ذلك إلى كونها موجودة بغض النظر عن شروطها، فهي «موجودة» لكن من دون «كيف»، أو أن ذلك ليس مهمًا كثيرًا هنا.

الشكل (2-1)

طبيعة تفاعلات الأبعاد الاستعمالية والمعرفية الرمزية للغة في الواقع الكردي

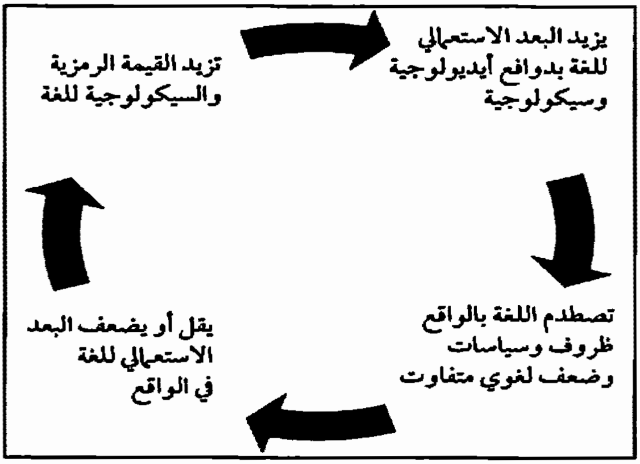

(51) انظر وقارن: المصدر نفسه، ص 36-37.

2 - التحديات الماثلة أمام اللغة

تتعزز الهُوية اللغويـة، وكذلك بعض وظائـف اللغة الأكثر حيوية بالنسـبة إلى الجماعات اللغوية المهددة، من خلال تضمينها في الخطاب السـيا - لغوي ومطالب الناس منها. هذا «ينقل سـؤال الوظيفة الأساسية للغة برمته من الفضاء الفلسـفي إلـى الفضـاء السياسـي»[52]. ويطـرح البنـاء اللغـوي للكـرد تحديات مفاهيمية وتطبيقية واسـعة النطـاق، وتمس المعنـى الراهن لوجودهـم القومي، وكذلك الفكر السياسي في الوقت الراهن:

- التحديـات الماثلـة فـي شـأن معنى الأمـة، وهل تشـكل اللغـة الواحدة (والتامة) شـرطًا اسـتباقيًا له أم أحد تجلياته؟ وهذا يحيل على الأفكار التقليدية عن الأمة والقومية.

- التحديـات الماثلـة في شـأن الارتبـاط بين اللغـة من جهـة والاجتماع الكردي من جهة أخرى، فهل ثمة علاقة ارتباط بين اللغة والكيانية الاجتماعية للجماعـة الإثنيـة؟[53] هنا، لا تكـون اللغـة بذاتها عامـلًا مؤسسًـا لهوية الأمة والقوميـة، بـل هي جـزء مـن ديناميـات سياسـية والتزامـات اجتماعيـة، ذلك أن معنـى اللغـة وشـكلها وألفباءهـا وطبيعـة اللهجـات الداخلية فيهـا والوزن الاجتماعي لمستخدميها سـواء أكان بالانتماء أم بالاسـتعمال أم بغيرهما، هي كما سـنرى لاحقًا موضـوعٌ للمنافسـات والصراعات الداخلية على المسـتوى الكردي.

- التحديات الماثلة أمام الدراسـات الكردية عـن التداعيات المحتملة في ما لو خلص النقاش إلى أن اللغة الموحّدة هي شـرط اسـتباقي أو شـرط مزامن لمعنـى الأمة، ومـن ثم هي شـرط القوميـة، وعليه فـإن التعدد اللغـوي أو عدم

---

(52) المصدر نفسه، ص 46.

(53) هـذه محاولـة للتوافـق مع النظريـات التـي طُرِحَت أخيرًا في شـأن الأمـة والقوميـة، بِعَدِّها مفاهيم لـ «سياسـات قصدية» تُحيل بدورها على نوع من ديناميات «افتراضية»، انظر: بندكت أندرسـون، الجماعات المتخيلة، ترجمة محمد الشرقاوي، ط 2 (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1999).

وجود لغة عامة هو - بهذا المعنى - عامل للفشل من جهة، وهو أحد تداعيات العجز عن تحقيق اشتراطات تكوين أمة من جهة أخرى؟

هذا ليس إشارة استباقية لما سيأتي لاحقًا، بل تعزيز لفكرة أن اللغة مقولة سياسية، وأن لغة بذاتها هي مقولة سياسية أيضًا، وهي ليست شرطًا مُؤَسِّسًا للمعنى القومي، إذ يمكن الحديث عن اللغة، أي لغة، حتى لو كانت «مستوردة» لتصبح الجماعة الإثنية «مستوفية» لاشتراطات البناء أو الوجود الإثني القابل للإدراج في قائمة التكوينات القومية، وسوف نأتي على ذكر ذلك في موضع آخر.

الفصل الثالث

الخريطة اللغوية

تعدّد اللغات وإشكالية اللهجات

يتشكل البناء اللغوي للكرد من خريطة واسعة من اللغات واللهجات الكردية، إضافة إلى اللغات العربية والتركية والفارسية وغيرها، والواقع أن خريطة (أو موزاييك) اللغات واللهجات كرديًا وإقليميًا متشعّبة ومتداخلة بكيفية يصعب معها الحصر والتعيين. وتأتي الصعوبة من أن التكوين واسع الطيف ومبعثر بصورة معقدة، ومن غياب المسوح اللغوية والبحوث العلمية بهذا الخصوص، فضلًا عن العوائق السياسية كرديًا وإقليميًا.

سوف نأتي على ذكر ذلك كله في موقعه، إلا أننا نبدأ هنا بواحدة من العقبات المعرفية والضميرية، حيث هناك تاريخ طويل من الدراسات اللغوية والجغرافية والأنثروبولوجية التي تتناول أحيانًا أدق التفاصيل في حياة الكرد، لكنها بالإجمال «تسكت» عن موضوع بالغ التأثير وهو القمع والتسلّط اللذان تعرضوا لهما[1].

نناقش في هذا الفصل «اللهجات الشمالية» و«اللهجات الجنوبية» و«اللهجات الفرعية» في الجنوب والشرق من المجال الجغرافي الكردي. ويُعد التكوين اللهجي إحدى إشكاليات الواقع الكردي الراهن، إذ يتفاوت التكوين اللغوي اللهجي قوة وتركيزًا بين منطقة وأخرى، وتتجاذبه اتجاهات متنازعة تنحو نحو تكوين هوية متميزة، من ثم لم يستطع الكرد الاستقرار ولا الاتفاق على لغة/ لهجة واحدة، كما لم يتمكنوا من تطوير لغة وسيطة قادرة على الجمع بين عدد من مكوّنات الاجتماع والبناء الثقافي الكردي،

---

(1) Amir Hassanpour, «The Politics of A-Political Linguistics: Linguists and Linguicide,» (Kurdish Academy of Language), on the Web: <http://www.kurdishacademy.org/?q=node/180> (Accessed 12/2/2013).

ولذلك أسباب عديدة تُعرَض في هذه الدراسة بأشكال شتى.

ليس لدى الكرد لغة واحدة، ثمة تكوينات لغوية عديدة تنطوي على تنويع مستمد من تشكيل متعدد، بعضه موروث، شفويًا أكان أم كتابيًا، وبعضه ناتج من التواصل والتفاعل والمثاقفة وغير ذلك، لكن المرجعية اللغوية المفترضة هي شجرة اللغات الإيرانية الحديثة، وأشرنا في موضع آخر إلى مسألة الأصول اللغوية ومصادرها الراهنة.

أولًا: تعدّد اللغات واللهجات

1 - اللهجات الشمالية

أ - الكرمانجية (Kurmanji): وهي الكرمانجية الشمالية التي تنتشر بين أكراد تركيا وسورية (والشتات)؛ والكرمانجية الجنوبية التي تُعرف في العراق بـ البهدينانية (Bahdini)، وتنتشر في شمال العراق وبعض مناطق شرق سورية، وفي كركوك وأجزاء من أربيل، وفي خراسان وشمال غرب إيران والقفقاس وجنوب تركمنستان أيضًا. هي أكثر اللهجات الكردية شيوعًا؛ يتحدث بها نحو 18 مليون كردي، أو ما يقارب نصف الكرد اليوم، كما كُتب بها أكثر النتاجات الكتابية في الثقافة الكردية.

رأى مينورسكي أن كلمة كرمانجية (Kurmanji) مكوّنة من كورت (Kurt) وماند (Mând) اللتين تعنيان معًا «Kurd Median». وقد يكون ذلك أقل معقولية من النظريات التي تقول إن الكرمانجية مكوّنة من كورت (Kurt) ومانّا (Manna)[2]، ومن ثم نكون أمام كرد منيين «Mannaean Kurd». ويُعتقد

(2) «الماند» أو «المادا» وهم الشعوب الميدية التي بدأت بالاستيطان (ثم سادت) في محيط بحيرة «أرومية» وإلى الجنوب منها. وجاء بعد ذلك شعب غامض يحمل اسم «ماناي» أو «المانيين» عرف حوالى (830 - 856 ق. م). و«اختلطوا بصورة كلية بالميديين». انظر: باسيلي نيكيتين، الكرد: دراسة سوسيولوجية وتاريخية، نقله من الفرنسية وعلق عليه نوري طالباني (أربيل: دار سبيريز، 2008)، ص 49-50.

أن موطن الكرمانجية الأسـاس كان منطقة هـكاري (Hakkâri) في الأناضول في تركيا (أو «كردستان الشمالية» بحسب التعبير الكردي).

ب - الزازائيـة (Zaza): وهـي بيـن أكـراد تركيـا، خصوصًـا فـي ديرسـيم وأرزنكان وأجزاء من بينغول وديار بكر، وتشـهد الزازائية تنازعًا متفاوت الشدة بين من يُعدّها إثنية متميزة بذاتها، ومن يُعدّها فرعًا من الهُوية أو الإثنية الكردية، لكـن من المؤكـد أن ثمة ميلًا يتزايـد لدى الزازائييـن إلى التعبير عـن هُوية أكثر تمايزًا ضمن المجال أو الفضاء الكردي(3).

ج - مجموعـة مـن اللهجـات الفرعيـة مثـل: الأديامانـي (Adyamani) أو المرعشـلي (Marashi)، البكرانـي (Bekrani) والبرجينـدي (Birjendi) والبوتانـي (Botani) والبيازيـدي (Bayezidi) والهكاري (Hekkari) والجوانشـيري (Jiwanshiri) والكوكانـي (Qocani) والسـنجاري (Senjari) والأورفـي (Urfi) واليانكي (Yuneki) أو الجوديكاني (Judikani) والسورش/ج/ي (Surci)، وثمة لهجات فرعية أخرى لدى الجماعات الكردية في جبال إلبورز (Elburz).

تُعَـدُّ الأخيرة من بين اللهجـات التي ينطق بها الكـرد، وكان يتكلّمها البدو الرحل في منطقة هكاري (Hekkari) ومحيط بحيرة أرومية (Urmiâ) أو (Wirmi).

لم تكن هذه اللهجة منتشـرة في أواسـط القرن الرابع عشر، لكنها شهدت توسـعًا كبيرًا أو انتشـارًا في منتصف القرن السادس عشـر، عندما مرت المنطقة بأزمة اقتصادية كبيـرة وأدّت الاضطرابات السياسـية والعسـكرية وانقطاع طرق التجـارة إلى هجرة السـكان إلـى خارج موطنهـم، ومن ثم «إقليمهـم اللغوي». وأدى انتقال الناس من هكاري إلى جهات «كردستان» الأخرى إلى نقل اللهجة إلى مناطق توطّنهم الجديدة، كما حملوا معهم المذهب الشافعي.

---

(3) انظر مثلًا: Martin Van Bruinessen, «The Ethnic Identity of the Kurds in Turkey,» in: Martin Van Bruinessen, *Kurdish Ethno-Nationalism Versus Nation-Building States: Collected Articles*, Analecta Isisiana; 47 (Istanbul: Isis Press, 2000).

د – انتقلت اللهجات الكرمانجية الشمالية من هكاري إلى بهدينان (Badínan) إلى الموصل (Mosul)، مُقسّمة كردستان إلى قسم شمالي دميلي (Dimilí)، وقسم جنوبي هورامي (Hewramí) ويسمى أيضًا غوراني (Goraní)[4]. وبمرور الوقت أصبحت اللهجة الكرمانجية الشمالية هي السائدة في شمال «كردستان» وغربها.

في بداية القرن الثامن عشر بدأ التوسع في منطقة الهورامية نتيجة الحراك الاجتماعي وعدم الاستقرار السياسي والأمني. هكذا بدأ الحراك الاجتماعي واللغوي (أو اللهجي) من منطقة سوران (Sorân) وهي منطقة أربيل – رواندوز (Arbil-Rewanduz) اليوم، إلى وسط «كردستان» وشرقها، بدلًا من الهورامانية أو الهورامية.

استمر توسع اللهجات الكردية الشمالية في المجال الكردي على حساب اللهجات الجنوبية، الأمر الذي حَدَّ نسبيًا من دائرة انتشار اللهجات الكردية الجنوبية، كما فُرض أحيانًا على الجماعات الاجتماعية واللغوية غير الكردية التي كانت على أطراف «كردستان»[5].

(4) تلتبس صورة الهورامية أو الغورانية في الكتابات الكردية، حيث عَدّ كتاب شرفنامة للبدليسي الغوران (Gorans) أحد المكونات الأربعة للشعب الكردي التي تختلف بعضها عن بعض بـ «اللغة والأساليب». وبعد ثلاثة قرون تقريبًا لم يرد ذكر الغوران في قصيدة تُمجّد الشخصيات الأدبية الكردية العظيمة للشاعر حاجي قدري كوي (Haji Qadiri Koyi) الذي عاش في الفترة 1817 – 1897م. وعاد الغوران إلى الظهور (بِعَدِّهم كردًا) في الكتابات والمطبوعات الكردية وفي الإعلام الكردي منذ القرن التاسع عشر.

(5) انظر مثلًا: Amir Hassanpour, *Nationalism and Language in Kurdistan, 1918-1985* (San Francisco: Mellen Research University Press, 1992), and «Northern Kurdish Dialects Group,» (Kurdish Academy of Language), on the Web: <www.kurdishacademy.org/?q=node/42> (Accessed 12/2/2013).

الخريطة (3-1)
توزع اللغات الكردية

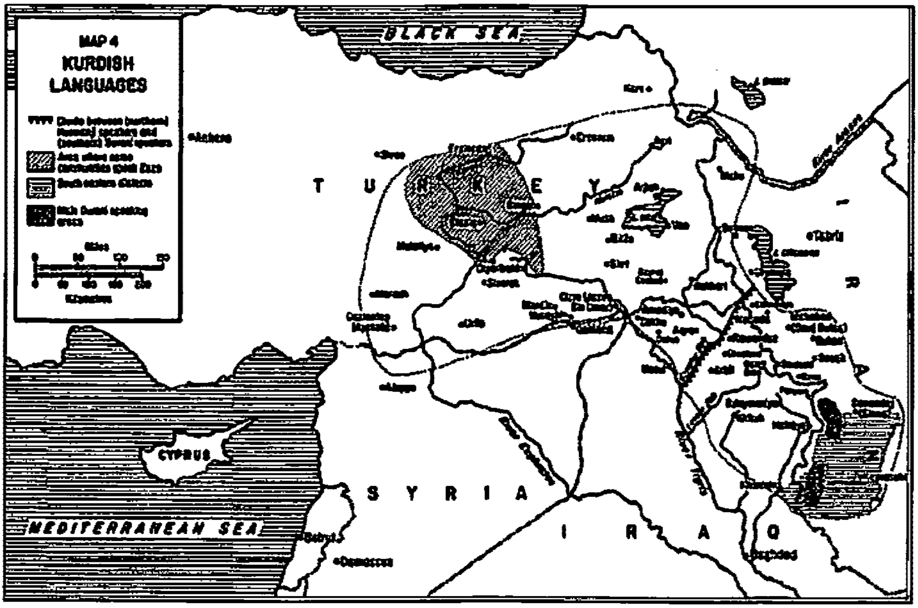

المصدر: David McDowall, *A Modern History of the Kurds*, 3rd Rev. and Updated ed. (London; New York: I. B. Tauris, 2004), p. xvi.

2 - اللهجات الجنوبية

تنتشر في جنوب كردستان، أي في العراق وإيران، مجموعات لغوية عديدة، بدءًا من شهريبان (Shehreban) إلى دنوير (Dínewer) وهمدان (Hemedan) وكرماشان (Kirmashan) وخانقين (Xanekin).

أ - السورانية (Sorani): تنتشر بين الكرد في وسط العراق، كما في السليمانية وأربيل وأجزاء من كركوك، وفي غرب إيران أيضًا، ويتحدث بها نحو 6 ملايين كردي. تستخدم الألفبائية العربية المُعدّلة، وتُعد أكثر اللغات أو اللهجات نضوجًا من حيث البناء اللغوي والقواعدي والمفردات والتراث الكتابي، وثمة من السوران من يعدّ السورانية بالنسبة إلى الكرد بمنزلة «لهجة قريش» في اللغة العربية.

ب – الفَيْليـة (Feyli): هـي لغـة شـفوية بالأسـاس لا كتابيـة، وإن كان ثمـة اتجاهات بين الفيليين إلى مراجعة واقعهم اللغوي. وتنسـب عمومًا إلى شـجرة اللغات الكردية، لكنها تختلف عنها بدرجة كبيرة، قريبة جدًا من الفارسية، وفيها كثير من العربية. تنتشـر بين الكـرد الفيليين الذين يتوزعون فـي العراق ومناطق التخوم المشـتركة مع إيـران. وينزع الفيليون إلى التشـكل بكيفية منفصلة نسـبيًا عن الخـط الكردي العـام، مدفوعين بعوامـل عديدة منها الفجوة السـيكولوجية والذاكرة السلبية في ما خص تجاربهم مع السلطات الكردية والعربية.

ج– جرت في الأعوام الأخيرة محاولات لوضـع «أبجدية فيلية» بالاعتماد على الحـروف العربية المعدلة، منها محاولات إسـماعيل قمنـدار، كذلك بتول ملكشـاهي التـي قامت باقتـراح أبجديـة للَّهجـة الفيلية تضـم 38 حرفًا، ونشـر المشروع كدروس في اللغة الفيلية عبر مواقع الإنترنت[6].

د – القصر شيرينية: تنتشر بين أكراد خانقين العراق وقصر شيرين إيران.

الجدول (3–1)

الأحرف الـ«38» للأبجدية الفيلية

ا ئـ ب پ ت ج چ ح خ د ذ ر ڕ ز ژ س ش ص ط ع غ ف ڤ ق ك گ ل ڵ م ن هـ و ۆ ي ێ يَ يْ

3 – الفروع اللغوية الجنوبية (الأخرى) والجنوبية الشرقية

الغورانيـة (Gurani) ويتكلّمهـا الكـرد قـرب بلوشسـتان (Baluchistan) أو الهوراميـة؛ والموكريـة[7] (Mukri) والكلهوريـة (Kalhori) أو (Kelhiri)، والناكيليـة

---

(6) بتول ملكشاهي، «اللغة الفيلية،» كتاب ميزوبوتاميا، العددان 17 – 18 (تموز/ يوليو 2009)، على الموقع الإلكتروني: <http://www.mesopot.com/default/index.php?option=com_content&view=frontpage&Itemid=53 (Accessed 12/2/2013).

(7) يذكر مهدي كاكه يي أن الموكريانيين في إقليم شرق كردستان ما زالوا يتحدثون باللغة الميدية التـي تحوّلـت بمرور الوقت مـن لغة تجمـع الميدين حولَهـا وتوحّدهم إلـى مجرد لهجة مـن اللهجات الكرديـة. انظر: مهدي كاكه يـي، «الفيليون: أصالة وعَراقـة وهموم وآمال (3)،» الحوار المتمدن (نشـرة إلكترونية)، 21/ 1/ 2007.

(Nankilí)، والكيندولية (Kendúley)، والسنجابية (Senjabí)، والكاكائية (Kakayí) أو الدرغازيني (Dargazini)، والكرماشيني (Kirmashaní)، والباجيلانية (Bajelaní). والفروع الجنوبية الشرقية في إيران مثل السينئية (سنندج) والكرمنشاهية والليكية. وهي أكثر من لهجات وربما أقل قليلًا من لغات، لا في استخداماتها الراهنة وتداخلها مع اللغات الأخرى فحسب، وإنما في أسسها اللغوية والقواعدية والبيانية أيضًا.

شهد عدد من اللهجات الجنوبية الرئيسة (والفروع الأخرى) انحسارًا كبيرًا نسبيًا في القرنين السابع عشر والثامن عشر أمام توسّع اللهجات الشمالية، بتأثير عوامل مختلفة، سياسية واجتماعية - اقتصادية. كما أن العديد من المراكز الحضرية والمدن والبلدات الكردية في الجنوب (العراق وإيران) هي تكوينات اجتماعية ثنائية أو متعددة اللغات واللهجات، لجهة تنوّع تلك التكوينات، قبليًا وجهويًا ومذهبيًا، ولجهة التواصل متعدد اللهجات للجماعة نفسها. وهناك تقديرات بأن عدد المتكلمين باللهجات الجنوبية يصل إلى نحو 1.5 مليون كردي[8].

الواقع أن الديموغرافيا اللغوية (اللهجات) غير واضحة تمامًا، كما لا تزال هناك بعض الجيوب أو التكوينات الكردية التي تتكلم اللهجة الغورانية الجنوبية في شمال كردستان (تركيا) كما في جوار هكاري، وكذلك في الموصل، والباجيلانيين (Bajelans) في شمال بغداد.

ثانيًا: إشكالية اللهجات

تُعدُّ اللغة في بعض الأحيان محورًا رئيسًا في الصراع بين الإثنيات (وداخل الجماعة الإثنية نفسها بخصوص اللهجات ونمطها الرسمي أو السائد)، ويجدر التشديد على أن المسألة اللغوية ليست نتيجة محتومة للتنوّع اللغوي. وعلى

(8) «Southern Dialects Group,» (Kurdish Academy of Language), on the Web: <http://www.kurdishacademy.org/?q=node/44> (Accessed 12/2/2013).

غرار القرابة والعرق والعوامل الأخرى، ليس من الضروري أن تكون اختلافات اللغة شفوية بوجه خاص[9].

1 - خريطة لغوية معقدة

يضم التكوين اللغوي للكرد «لهجات» أو «لغات» شفوية لم تُنظَّم بمعنى قوننتها وتقعيدها، وشفوية - كتابية، تُكتب بألفبائية عربية مُعدّلة أو لاتينية مُعدّلة، وثمة اختلافات وفروق عديدة بينها. وتبدو الحاجة إلى الترجمة النصية للكتابات الموجودة فيها، مؤشرًا ثقيلًا بالنسبة إلى أصحاب الأيديولوجيا اللغوية القومية، وواقعًا يصعب تجاوزه أو القفز فوقه أو مجرد تجاهله، كما يحدث أحيانًا.

قد تكون ترجمة كتابات كردية مثل شرفنامة لشرف خان البدليسي من الفارسية إلى اللهجات الكردية، وكذلك ترجمة مم وزين لأحمدي خاني من البهدينانية إلى لهجات أو لغات كردية أخرى، أمرًا مُقلِقًا ومُحرِجًا إلى حد بعيد، ويؤكد ما لم يعُد قابلًا للتجاهل أو النفي وهو أن الخريطة اللغوية متعددة، وتتجاوز بكيفية واضحة كونها لهجات أو تشكلات هامشية للغة أو لغات كردية كبرى.

إن التعدد اللغوي ظاهرة عالمية، فلو كانت ثمة لغة واحدة لجماعة إثنية أو معرفية فسيكون هناك تعدد لهجي واسع، أو تعدد في سياقات المعنى بالنسبة إلى المفردات والنصوص والشفويات، ذلك أن معنى اللغة مرتبط إلى حد كبير بالسياق الاجتماعي والثقافي للجماعة اللغوية نفسها. وإذا نظرنا إلى البناء اللغوي للكرد، فإننا نخلص إلى واقع متداخل وشديد التعقيد، وهو ما تتكرر الإشارة إليه:

- أشكال لغوية تتفاوت قوة وتركيزًا بين منطقة وأخرى، وجماعة وأخرى، وثمة لهجات أقرب ما تكون إلى لغات منها إلى لهجات للغة واحدة.

---

(9) انظر مثلًا: دانيال برومبرغ، التعدد وتحديات الاختلاف: المجتمعات المنقسمة وكيف تستقر؟، ترجمة عمر سعيد الأيوبي (بيروت: دار الساقي، 1997)، ص 51.

- جماعـات لغوية تتجاذبهـا اتجاهات متنازعة بين أن تُعـدَّ واقعها اللغوي أساسًـا لهويـة متميـزة أو مسـتقلة، وبين أن يكـون ذلـك الواقع نوعًا مـن تطور هامشـي وهوية فرعية، لكنه قابل للاندمـاج مجددًا في هوية لغويـة أكبر، أو في الهوية الإثنية الأكبر.

- لغات واسعة الانتشـار ولديها حامل اجتماعي كبير نسبيًا، وأخرى لديها حامـل اجتماعي أقل عددًا، لكنها قـد تكون أكمل قواعديًا وأكثـر قوة وحضورًا في المخزون الثقافي والكتابي وما يماثله.

- لهجـات محليـة أو ذات طابع مذهبـي أو قبلي أو جهـوي أو غير ذلك، الأمر الذي يجعل خريطة الكرد اللغوية معقدة وأشبه بـ «موزاييك».

2 - «التباس» العلاقة بين الاسم والمُسمى

ميزت الدراسـات الكردية والاستشـراقية أول الأمر بين التشكلات اللغوية وتعبيـرات الهُويـة، وهـذا يعنـي أنها أمـام تكوينـات لغويـة تعضدهـا عصبيات وهُويّـات تنـزع إلـى أن تكون مسـتقلة أو هي مسـتقلة فعـلًا. وذكر سيسـيل ج. إدمونـدز (Cecil J. Edmonds) مثـلًا أن الأوروبييـن عمومًـا لـم يعـدّوا الغورانيـة (الهورامية) لغـة كرديـة، ولم يعـدّوا المتحدثيـن بها أكـرادًا، مع أنهـم يعتبرون أنفسـهم أكرادًا[10]. وأمسى هذا الموقف - على حد تعبير أمير حسنبور - عنوانًا أو «كليشـيه» في الدراسـات الكردية، علـى الرغم من أن مجرد القـول إنهم من الكرد لا يعني كونهم كذلك فعلًا، أو أن انتماءهم «نهائي».

ربما كانت تسـمية الكرد بالنسـبة إلـى كثيرين «مظلة» أو «عنوانًا» قد يشـبه قول الفرنسـي مثلًا إنـه أوروبي. وهـذا التعريف متشـدد أو قاس نسـبيًا، إلا أنه يـدل جزئيًا علـى أن معنى الانتمـاء والهُوية لـدى الجماعات الكُرديـة ليس مما يمكن القطع فيـه. ويلاحظ مؤرخ كـردي: «اختلافًا عجيبًا في القبائل والعشـائر

(10) Amir Hassanpour, «The Identity of Hewrami Speakers: Reflections on the Theory and Ideology of Comparative Philology,» (Kurdish Academy of Language), on the Web: <http://kurdishacademy.org/?q=node/7> (Accessed 12/2/2013).

الكوردية، من حيث الأسماء واللهجات والديانات، فهناك عشائر يعتنق أفرادها ثلاث ديانات: الإسلام، المسيحية، الإيزيدية». ويضيف «إن انتساب العشيرة الكوردية إلى شخص واحد أو جد أعلى يخالف طبيعة المجتمع الكوردي، لأن الكوردي يرتبط بالمكان أو البقعة التي يعيش عليها وينسب نفسه إليها من الناحية العشائرية، أي إن العشيرة هي عشيرة أرض وليست عشيرة نسب (...) وأما ادعاء بعض العشائر، وبالذات رؤسائها، أو بعض الأسر المتنفذة والكبيرة التي تحوّلت بمرور الزمن إلى «عشيرة»، الأصل العربي أو الانتساب إلى العرب وصحابة الرسول (ﷺ)، فلا أساس تاريخيًا له»[11].

يأتي ذلك في سياق الرد على مقالات المستشرقين وبعض الكتّاب والمؤرخين في شأن انتماء القبائل الكردية وفرضية (أو زعم) أصلهم العربي وتحوّل بعضهم إلى العروبة، ومن ذلك مقالات مارك سايكس[12] (M. Sykes) نفسه في المقلب الغربي والمقالات التي تصدر عن الأيديولوجيا الرسمية العربية والتركية وغيرها[13].

3 - ديناميات التغير اللغوي

قد يشكل التفرع أو التمايز اللغوي حالةً ذات خصوصية داخل اللغة نفسها، وربما تتشكل لهجاتٌ فيها قدر كبير أو صغير من التمايز مع قدر من الارتباط باللغة «الأم» أو «الأصل». وبالنظر إلى اللغات الراهنة في أوروبا مثل الفرنسية والألمانية، فهي تطور للغات سابقة (فرنسية قديمة - فرنسية حديثة، ألمانية قديمة - ألمانية حديثة) مثلما أن تلك اللغات تعود إلى «لغة أصل» عُدَّت

---

(11) انظر تقديم النص التالي: مارك سايكس، القبائل الكردية في الإمبراطورية العثمانية، ترجمه عن الإنكليزية خليل علي مراد؛ تقديم ومراجعة وتعليق عبد الفتاح علي بوتاني (دمشق: دار الزمان، 2007)، ص 8-9.

(12) العقيد سير مارك سايكس (1879-1919) مستشار سياسي ودبلوماسي وعسكري ورحالة بريطاني، كان متخصصًا بشؤون الشرق الأوسط ومناطق سورية الطبيعية خلال فترة الحرب العالمية الأولى. وقّع في عام 1916 الاتفاقية التي سميت بـ «سايكس- بيكو» عن بريطانيا مع بيكو، عن فرنسا، لاقتسام مناطق النفوذ في أراضي الهلال الخصيب التابعة بمعظمها آنذاك للدولة العثمانية السابقة.

(13) انظر تقديم النص التالي: سايكس، ص 5- 18.

بدورها تطورًا للغات سابقة، فهل يمكن الكلام عن كرمانجية قديمة - كرمانجية حديثة، وسورانية قديمة - سورانية حديثة تعود إلى «لغة أصل» سابقة؟

قد يمثل تطور اللغة وتحوّلها مصدر خطر على الجماعة الإثنو - لغوية، أي الجماعة التي لديها لغة ملازمة لها. وما يُذكر أحيانًا عن تطور اللغة وانتشارها هو أمر طبيعي، سواء أكانت هي أم أحد تفريعاتها أم اللهجات الهجينة والمتطورة عنها، حتى لو كان ينطوي بذاته على «تهديد» بمعنى ما للهُوية اللغوية للجماعة الإثنية نفسها.

تتسع شجرة اللغات إلى تشكلات لهجية، ومن ثم لغوية في طريق «الاستقلال». وثمة وقائع في شأن العالم تُظهر تعدد التكوينات والتفريعات الآتية من لغة واحدة أو أكثر، وهكذا نجد عددًا من اللغات الأوروبية مقابل لغة لاتينية واحدة، وكذلك الحال بالنسبة إلى عدد كبير من اللهجات المتمايزة شفويًا ورمزيًا في مقابل لغة عربية فصحى واحدة.

هذا ما يؤدي بتعبير لويس كالفي إلى «خلاصتين اثنتين: أولاهما أن اللغات تميل إلى التعدد والازدياد، وثانيتهما أننا حين نمضي صُعُدًا من لغة إلى لغة أُم، فإننا سوف نصل تمامًا إلى اللغة الأصلية الأولى». غير أن كالفي يحكم بـ «أن الخلاصتين غير صحيحتين»[14]. وهذا يصح على الكرد بصورة معززة بمؤيدات واقعية. كيف؟

يرتبط التعدد اللهجي بالتوزع الديموغرافي والحراك السكاني والاجتماعي وتداعياته السياسية والثقافية، وهذا ما حدث مثلًا للغة اللاتينية التي تنوّعت مع توسّع الإمبراطورية الرومانية، الأمر الذي أدّى إلى انفجارها وتشظّيها، وكذلك اللغة الصينية التي أصبحت 7 لغات مع التوسع الكبير لإمبراطورية الهان (202 ق. م - 220م).

يمكن التحفظ على ذلك بالنسبة إلى الكرد من وجهين: الأول، أن المجال

(14) انظر وقارن: لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة حسن حمزة؛ مراجعة سلام بزي حمزة (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2008)، ص 53.

الكـردي لم يتسـع كثيـرًا، فالجماعـة الكرديـة بقيت عمومًـا - خلا اسـتثناءات معروفة - في حيز جغرافي يُعرَف بـ «كردسـتان»، وهو حيّز محدود قياسًـا على الجغرافيا المذكورة قبلًا بالنسـبة إلى الصين وأوروبا. والوجه الثاني، أن التوسع أو التشـظّي اللغوي يفترض أن يقابله «موت» أو «اندثـار» تفريعات أو تطوّرات لغوية أخرى.

يرتبط تعدد اللهجات أو اللغات بالتوسـع الجغرافي، وهو ما ذكرناه أعلاه، إلا أن التطور التقني ربما يشـكل عامل تأثير عكسـي، مع تعدد وسائط الاتصال وتزايدهـا وتأثيرها، الأمر الـذي يعني «تقريب» المسـافات والتطـورات الثقافية واللغويـة ومـا يماثلهـا، بكيفية تتجـاوز الجغرافيـا التقليديـة التي ذكرنـا تأثيرها السـابق. و«لئن كان مقدرًا أن تستمر اللغـات في التغير، بل فـي أن يحل بعضُ اللغات محل بعضها الآخر، فإن هناك أمورًا كثيرة تدفعنا إلى الاعتقاد بأن حركة التعدد والازديـاد الكبرى التي وسـمت التاريخ اللسـاني العالمي بميسـمها منذ عشرات القرون أوقفتها ظروف التواصل الحديثة»[15].

4 - التواصل اللغوي بين الكرد

يتواصل الكـرد على اختـلاف تكويناتهـم اللهجيـة أو اللغويـة، من خلال وسـائط الاتصـال المختلفـة، السـمعية والبصريـة ومحطـات البـث الفضائـي والإنترنـت وغيـر ذلك، وثمـة جهـد للتعليم من خـلال تلك التقنيـات، بصرف النظر عن مكان التواجد، في المنطقة أو الشـتات. وينبّه مثقفون أكراد إلى أهمية هذا التواصـل والتعليم بالكردية، ويشـيرون إلى «تطورات إيجابية ملموسـة في صفوف الشـتات الكردي في المهاجر، لا سـيما في مجال المواقـع الإلكترونية وتنشـيط اللغـة الكرديـة وإطلاق الفنـون، مثـالًا على ذلـك: العمل علـى تغيير شـكل النضـال القومي إلـى الدراسـات والبحـوث الأكاديميـة في إطار فلسـفة قومية، إضافـة إلى اسـتقلالية الثقافة وتأليـف قاموس كردي - كـردي من أجل

(15) المصدر نفسه، ص 54.

تجاوز الإشكاليات الثقافية واللغوية - القاموسية الموجودة بين الكرد»[16]. وتغير التوزع اللغوي في الجماعة الكردية خلال قرون عديدة[17]، والواقع أن الصراعين الداخلي (بين الأكراد) والإقليمي (على المنطقة الكردية) شكّلا أحد أهم عوامل التغيير في التوزع الديموغرافي للتكوينات اللغوية الكردية الرئيسة، أو إحدى أهم عناصره الفاعلة. ومن ثم لم يستطع الأكراد الاستقرار على لغة/ لهجة واحدة، كما لم يتمكنوا من تطوير لغة/ لهجة وسيطة قادرة على الجمع بين عدد من مكوّنات الاجتماع والبناء الثقافي الكردي، ولذلك أسباب عديدة تُعرَض في هذه الدراسة بأشكال شتى.

هكذا ليس ثمة لغة فصحى واحدة، ولا تعدد محدود للغات، وليس ثمة حتى الآن قابلية واضحة لأن تتشكل إحدى اللغات لغةً فصحى مقبولة لدى المجتمع السياسي والثقافي الكردي. وكان ثمة في الماضي محاولات من هذا النوع، نأتي على ذكر بعضها لاحقًا، ولم تكلل بالنجاح بسبب عدد من الظروف التي أشرنا إلى جانب منها. ويبدو أن واقع التعدد يفرض نفسه أحيانًا على الأيديولوجيا القومية، وقد يتفهم الكرد معضلة اللغة ويركزون على إرادة الانتماء إلى الهوية الكردية بدلًا من مزاولة مهمة شبه مستحيلة الآن تتمثل بالتوحيد اللغوي.

ثالثًا: في التفسير الديني لتعدّد اللغات/ اللهجات

تستند بعض المدارك في شأن التشتت أو التعدد اللغوي إلى رؤى دينية وأسطورية مفترضة تذهب بالعموم إلى أنه كانت للكرد لغة واحدة، لكن تَغَيَّرَ الحال لأسباب يختلف تعيينها بحسب كل رؤية أو حكاية أو أسطورة. ويقتصر حديثنا هنا على التوراة والقرآن.

---

(16) البيان الختامي لأعمال الحلقة الدراسية حول قضايا الحركة الكردية (10 - 13 شباط/ فبراير 2007)، في: هاوار الجديدة (أربيل)، العدد 27 (آذار/ مارس 2007).

(17) في شأن التعدد اللغوي واللهجات، انظر مثلًا: فؤاد حمه خورشيد، اللغة واللهجات الكوردية: دراسة جغرافية، سلسلة دار الثقافة والنشر الكردية (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 2005).

1 - التوراة: بلبلة اللسان

هـذا «يحاكـي» - بكيفية أو أخرى - ما يـورده العهد القديم مثلًا في سـفر التكوين «وَكَانَتِ الأَرْضُ كُلُّهَا لِسَانًا وَاحِدًا وَلُغَةً وَاحِدَةً ... وَقَالَ الرَّبُّ: ... هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَـانَهُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ. فَبَدَّدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، فَكَفُّوا عَنْ بُنْيَانِ الْمَدِينَةِ، لِذلِكَ دُعِيَ اسْـمُهَا «بَابِلَ» لأَنَّ الرَّبَّ هُنَاكَ بَلْبَلَ لِسَانَ كُلِّ الأَرْضِ»[18].

هكذا كانـت اللغـة واحدة ثـم «تبلبلـت» أو تعـددت بأمر إلهـي مفترض، ومثلمـا هناك ما قبـل بابل حيث كانت اللغة أو اللسـان واحدًا، ثمـة ما بعد بابل وهو التعدد أو البلبلة في اللغة واللسـان. ويتعلق ذلك بالإنسان واللغة بإطلاق، لكنه ينطبق على الكرد، على الرغم من أن ما ورد في التوراة بشـأن بلبلة اللسان هو أمر يختلف المفسرون على تأويله، فثمة من يكتفي بظاهر للنص، يحيل على عقـاب إلهي؛ وثمة من يُـؤَوِّل النـص ككل مفترضًا أن مقاصده تتجـاوز ظاهره، ليُمسي التعدد، «رحمة» و«بركة».

2 - الإسلام: شعوب وقبائل (وليس لغات)

ينطبق ذلك نسـبيًا علـى القصة المفترضة فـي الثقافة الشـفوية الكردية عن دعاء النبي محمد بن عبد الله على الكرد بألا يتوحدوا، مع فارق أساسـي، وهو أن الدعاء المفترض لـم يكن إشـارة البدء إلى «التشـظي» اللغـوي للكرد، وإنما إشـارة إلى «معناه»، أي إنه جاء تفسـيريًا، لكن زاد في الموضـوع أن الدعاء كان بمنزلة تأكيد على إرادة ميتافيزيقية لـ «تثبيت» ذلك الشقاق الكردي أو «تعزيزه»، لكن ليس في مسألة اللغة فحسـب. وهذه قراءة من نوع «ميثي» لواقع اجتماعي وثقافي مُحبَط، وقد تنطوي القصة المفترضة على تأكيد قدرية ما أو «اسـتحالة» أو «حتميـة» من نـوع ما تحكـم الجهد الكـردي الرامي إلـى التوحد والتشـكل الدولتي.

---

(18) الكتاب المقدس، «سفر التكوين،» الأصحاح 11، الآيات من 1-9.

لا يتحدث القرآن عن لغات، وإنما عن شعوب وقبائل وأقوام، باستثناء ما ورد في القرآن عن لغة القرآن نفسه ﴿إنا أنزلناه قرآنًا عربيًا﴾[19]. وكان ذلك كافيًا لخلع القداسة على اللغة العربية، حتى لو كانت القداسة - من منظور بعضهم - هي للقرآن بوصفه «كلام الله» وليس لـ «لغته». وهذه مسألة إشكالية فيها كثير من النقاش والسجال في علم الكلام والفلسفة واللغويات، وليس من أهداف الدراسة الخوض فيها، وما نتوخاه هو الإشارة إلى أن ارتباط الدين (أو التفسير الديني والميثولوجي) بالبناء الرمزي والعصبية الإثنية، هو مما يعرفه العالم، ومما ينتشر على نطاق واسع، ولا تتحرج الأيديولوجيا من الاشتغال على تسويق إثنو - لغوي باسم الدين، والأمر يتجاوز ما ذكرناه عن التوراة والقرآن على اختلاف مقاربتهما الموضوع (اللغة).

لم يرد في القرآن ما يشترط تعلّم اللغة العربية إلى جانب قواعد الإسلام المعروفة. وعلى الرغم من الحديث عن أن لغة آدم هي العربية، إلا أن المذاهب الدينية المعروفة لم تُعدّها (العربية) شرطًا دينيًا مباشرًا، ومع ذلك طالها شيء من القداسة التي أُسبغت بدورها على الألفبائية العربية، حتى أمست تُستخدم في اللغات الكردية والتركية والفارسية والأوردية وغيرها. وقد يساعد ذلك في تفهم جوانب من الجدل في شأن الألفبائية العربية في المجال الكردي، إضافة إلى مشروع ترجمة القرآن إلى اللغة الكردية، وهل يحيل ذلك على ارتباطٍ ما بين الدين ومتطلبات الهوية القومية؟

تتسم الظاهرة اللغوية بطابع الاجتماع والتاريخ، والسياسة الكردية في هذه المسألة متعددة وغائمة وملتبسة وغير محددة البداية ومجهولة المآل، بمعنى أن حركية التكوين اللغوي غير متعينة. ويثير التداخل بين اللغة(ات) الكردية ولغات الجوار (واللغات الأخرى) نقاشًا موسعًا، وربما سجالًا نشطًا من جهة الكرد في المقام الأول، فيما يقل اهتمام الجوار بذلك، وهذا أمر مفهوم من منظور الكرد، وما يقوم به هؤلاء منذ سنوات وربما عقود هو «الضغط» من أجل المزيد من الاهتمام باللغة والحقوق اللغوية والثقافية ومن التفاعل.

---

(19) القرآن الكريم، «سورة يوسف،» الآية 2.

يشكل التعدد اللغوي ومضي التكوينات اللغوية إلى التفرع والتمايز ظاهرةً ملازمـةً لكثير مـن الهُويـات والمجتمعـات اللغوية، وهـو ظاهـرة تاريخية تزيد تواترًا في الزمان العالمي الراهن، خصوصًا بالنسـبة إلى العودة النشـطة لظواهر متناقضة، مثل الهُويات الرئيسـة والهُويات الفرعية، النمو المفترض للمشتركات بين النـاس، وبروز واضح لعوامل التمايز والروابط والوشـائج «الأصلية» أيضًا، ويبـدو أن ذلك ملازم للوجود الكـردي المعاصر، بكيفية مفتوحة على مسـتقبل «لايقيني».

الفصل الرابع

جدل الألفبائية الكردية :
بين العربية واللاتينية

يشهد المجال الكردي نقاشًا متزايدًا ليس في شأن اللغة والتكوين اللغوي واللهجي فحسب، وإنما في الألفبائية أيضًا. وليس جدل الألفبائية جديدًا أو طارئًا، بل يعود إلى مراحل تاريخية وسياسية ولغوية مختلفة، ولم يتحقق تطور واضح ومستقر على هذا الصعيد. ونتحدث عن جدل وتجاذب وربما صراع ومنافسة بين المواقف والاتجاهات في شأن الموضوع، ومرّ ذلك بدورات صعود وهبوط، كما ارتبط بمنافسات داخلية مستمرة.

يدور هذا الفصل حول جدل الألفبائية الكردية: بين العربية واللاتينية، ويتناول تطوّر النظرة إلى الألفبائية، وما يُفتَرَض أنه ألفبائية كردية سابقة، ثم التحوّل إلى الألفبائية العربية بفعل التطورات السياسية وعوامل أخرى؛ وبروز مشاريع التحوّل نحو ألفبائية لاتينية معدّلة تأثّرًا بالحداثة الواردة إلى المنطقة، وكذلك بالمشروع التركي الكمالي والنماذج الحداثية المختلفة في العالم، وثمة مبررات تقنية وسياسية وأطر لغوية للتغيير أو التحول، مثلما أن هناك صعوبات تُعيق ذلك التحول.

هل يستمر جدل الألفبائية بين العربية المُعدّلة واللاتينية المُعدّلة إلى ما لا نهاية؟ أم يحسم الكرد الموضوع بالنسبة إلى «اللغات» الرئيسة، فيما يبقى الأمر بالنسبة إلى «اللغات» الفرعية أو «اللهجات»؟ وما هي دواعي التغيير، وهل تكون القوامة للاعتبارات اللغوية والتقنية أم للاعتبارات السياسية؟

يُنظر أحيانًا إلى موضوع الألفبائية بالنسبة إلى اللغة، أي لغة، باعتبارها مسألة تقنية، بمعنى أن الحروف ربما تكون منفصلة عن اللفظ والمعنى، ومن ثم هي ليست مسألة نهائية أو متلازمة بالضرورة مع اللغة، وليست تجليًا حصريًا لها. هكذا قد يكفي وجود خبراء في اللغويات أو الصوتيات ليدرسوا

اللغة الشفوية، ويقرروا نظام الكتابة والحروف المناسبة لها، وقد يصح ذلك أيضًا بالنسبة إلى لغة مكتوبة، فهذه أيضًا يمكن إعادة النظر في نظام الألفبائية والحروف القائمة فيها.

إن نظرة عامة إلى التكوين اللغوي والسياسات اللغوية في العالم تُبرز بوضوح أن موضوع الألفبائية والحروف ليس تقنيًا بإطلاق، ولربما كان موضوعًا لرهانات ومنافسات بل صراعات سياسية إن لم يكن موضوعًا لـ «حرب اللغات والسياسات اللغوية»[1]. ويشكل الجدل أو الصراع على الألفبائية للغة(ات) الكردية (بين العربية واللاتينية) أحد التجليات الجدية لرهانات السياسة ومنافساتها، خصوصًا داخل المجال الكردي نفسه.

أولًا: ألفبائية كردية قديمة

تتحدث الكتابات الكردية عن «أبجدية كردية» بقيت مستخدمة حتى أواخر التوسع أو الفتوحات الإسلامية في «كردستان»، أو ربما حتى أواخر الحكم العباسي. ونورد في فقرات لاحقة مقتطفات من الكلام بهذا الصدد، لكننا نركز هنا على ما يقال عن تلك الأبجدية.

1 - النبطي: رموز الأقلام

كتب أحمد بن وحشية النبطي في كتابه شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام[2] في عام 241 هجري، عما دعاه منافسة غير متكافئة بين الكرد والكلدانيين في العلوم والمعارف، وقال: «وأما الكلدانيين [الكلدانيون] فكانوا أعلم الناس في زمانهم بالعلوم والمعارف والحكم والصنايع وكان الأكراد في الأول يريدون مناظرتهم ومماثلتهم، ولكن شتان ما بين الثرى والثريا، وإنما

(1) انظر مثلًا: لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة حسن حمزة؛ مراجعة سلام بزي حمزة (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2008)، ص 303.

(2) انظر: أبو بكر أحمد بن علي بن وحشية، شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام، قدم له واعتنى بإخراجه إياد خالد الطباع (دمشق: دار الفكر، 2008).

كانت براعة الأكراد الأُوَل صناعة الفلاحة وخواص النبات يدعون أنهم من أولاد بينوشاد، وقد وصل إليهم سفر الفلاحة لآدم (عليه السلام) وسفر صفريث وسفر قوتامي، وعلى كل حال إنهم يدعون معرفة الأسفار السبعة ومصحف السيد دواناد، ويدّعون السحر والطلسم وليس كذلك بل ما وصلت لهم هذه العلوم والفنون إلا من الكلدانيين»[3].

يذكر النبطي شيئًا عما سمّاه القلم الكردي أو الأبجدية الكردية عارضًا رسمًا لبعض حروفها، فيقول: «صفة قلم من الأقلام القديمة وفيه حروف زايدة [زائدة] عن القواعد الحرفية تدّعي الأكراد وتزعم أن القلم الذي كتب به بينوشاد وماسي التوراتي جميع علومهما وفنونهما وكتبهما بهذا القلم وهذه صورته كما ترى».

الشكل (4-1)

القلم أو الأبجدية الكردية كما ترد في مخطوط للنبطي

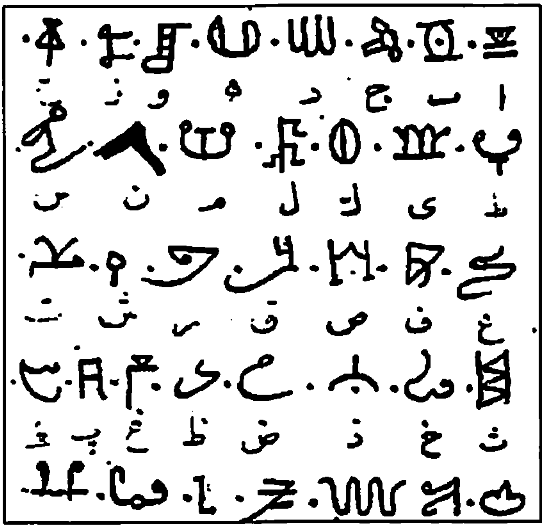

المصدر: أبو بكر أحمد بن علي بن وحشية، شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام، قدم له واعتنى بإخراجه إياد خالد الطباع (دمشق: دار الفكر، 2008)، ص 92.

يتابع النبطي قائلًا: «وباقي هذه الحروف لم وجدنا [نجد] لها تطبيقًا ولا مثالًا في لغة ولا قلمًا وهو من الأقلام العجيبة والرسوم الغريبة. وقد رأيت

(3) المصدر نفسه، ص 90 - 91.

في بغداد في ناووس من هذا الخط نحو ثلاثين كتابًا وكان عندي منها بالشام كتابين [كتابان]، كتاب في أفلاح الكرم والنخيل وكتاب في علل المياه وكيفية استخراجها واستنباطها من الأراضي المجهولة الأصل فترجمتها [فترجمتهما] من لسان الأكراد إلى اللسان العربي لينتفع به [بهما] أبناء البشر وكنت قبل ذلك هذا لم تتمه [كذا] فلما يسّر لي الله إتمامه في إحدى وعشرين ملفًا جاء بحمد الله وعونه في المراد والمقصود بعون الرب المعبود»(4).

2 - ألفبائيات «غير يقينية»

أ - ثمة ألفبائية أخرى مفترضة للغة الكردية تصدّرت مجلة الدراسات الكردية التي تصدر عن «المعهد الكردي بباريس»، العدد 9، نيسان/ أبريل 2008.

الشكل (4-2)
ألفبائية كردية

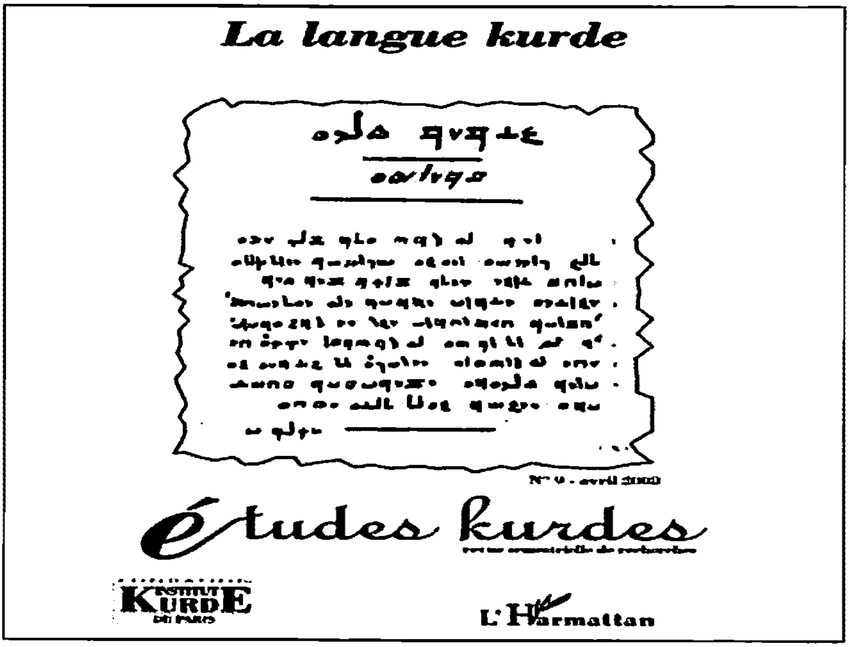

المصدر: ألفبائية كردية مفترضة كما في غلاف مجلة: دراسات كردية، العدد 9 (نيسان/ أبريل 2008).

(4) المصدر نفسه.

ب - يذكر مهـدي كاكه يي أن اللغة الميدية هي لغـة الكرد القديمة، أو أن الكردية هي لغة الميديين القدماء، و«كان الميديون يستعملون الخط المسماري فـي الكتابـة وأحيانًـا الهيروغليفيـة التـي تغيّـر شـكلها نسـبيًا بعـد أن أصبحت الزرادشـتية دين البلاد الرسـمي، إذ تم استخدام حروف مشـابهة للمسمارية في كتابة أفسـتا التي كانت تُسـمّى «اللغـة» (أو الكتابة) الآفسـتية. اللغـة التي كُتبت بها أفسـتا كانت موجودة منذ القدم في كوردسـتان وإيران الحالية، وعندما كتبوا الـ أفستا بتلك اللغة، سـمّوها لغة الـ أفسـتا، والتي كانت اللغة الرسمية في زمن الساسـانيين. وكان إقليـم شـرق كوردسـتان الحالـي مهـدًا للديانة الزرادشـتية، وبالتالـي موطنًـا للغة الأفسـتا. كمـا أن معظـم الكلمات التـي يقال إنهـا بهلوية محضة مثل: (سـه را، سـه ردار، سـويا، فـه رمان، سـه رهه نك، سـه رتيب ... إلخ) هي كلمـات لا زالت باقية في اللغـة الكوردية. هذه اللغـة والكتابة تحوّلتا في ما بعد إلى اللغة والكتابة البهلوية اللتين اسـتمر اسـتعمالهما من قِبل الكورد والفرس إلى أن وصل الدين الإسلامي إلى المنطقة»[5].

ج - يذكـر خليل الجنـدي أن ثمة محاولات فردية تُعنى بنشـر أو هندسـة أبجديـة كرديـة، وهو ما فعله مثـلًا محمد ملا كريم بالاسـتناد إلى مـا أورده ابن وحشية النبطي في الكتاب المذكور أعلاه، «ويُجمع الكتّاب الكورد على أن بداية الكتابة باللغة الكوردية تنطلق من نتاجات بابا طاهر الهمداني (935 - 1010م) وبعد ذلك من أشـعار علي الحريري وغيرهم من الشعراء الكورد الكلاسيكيين. ويضيـف الكاتـب إذا كان مـن الصعوبة اعتبـار الكتابيـن المقدسـين (مصحف رش والجلـوة) كأحد بدايات الأبجدية الكوردية في القـرن الـ (11) الميلادي، وذلك بسـبب عدم اطلاعنا على مضمونيهما الحقيقيين وبدون شكّ، فإن العالِم الجليل والمتصوف الكبير الشـيخ آدي وكذلك الشيخ حسن والشيخ فخر الدين والشـعراء وعلمـاء الديـن أمثال (بير رشـي حيـران ودرويـش قاتانـي ودرويش قطل وبابكر أومـرة وكوجك جم ودرويش تاج الدين وبابكر جزيري ومسـكينو

(5) مهـدي كاكه يـي، «الفيليـون: أصالـة وعَراقـة وهموم وآمـال (3)،» الحـوار المتمدن (نشـرة إلكترونية)، 21/ 1/ 2007.

زارو) الذين عاشـوا في القـرن الـ (11-12) رغـم أن أشـعارهـم لـم تصلنا بصفة مخطوطات أو كتب، إلاّ أنه مما لا شك فيه أنهم تركوا وراءهم إرثًا أدبيًا مكتوبًا، هذا إضافة إلى وجود (منشـورات الإيزيدية) على سـبيل المثال منشـور (خطي بسـي) المدوّنة بمزيج من اللغة العربية العاميـة والكوردية كما هو معروف، فإن الشـعراء والكتّاب الكورد علـى امتداد قرون طويلـة كتبوا أشـعارهم وأعمالهم بالحروف الأبجدية العربية وبالخط الفارسـي إلى أن تم إصدار جريدة كردستان لأول مرة عام 1898 في القاهرة»[6].

د - ثمـة أنماط أخرى من الألفبائية التي يعتقد بعض الكرد أن اسـتخدامها سبق في فترات غير محددة، كما نجد على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) أنماطًا مـن الألفبائية تختص بهوية فرعية أو أخرى، ومن ذلك الرسـوم والصور التـي هناك من يفترضهـا «ألفبائية إيزيديـة»، ومن غير الممكـن التأكد من ذلك، ولعـل الدراسـات الكردولوجيـة والتاريخيـة تزوّدنـا فـي المسـتقبل بمعلومات أوضح عن هذا الموضوع.

الشكل (4-3)

ألفبائية يفترض أن الإيزيدية استخدمتها سابقًا

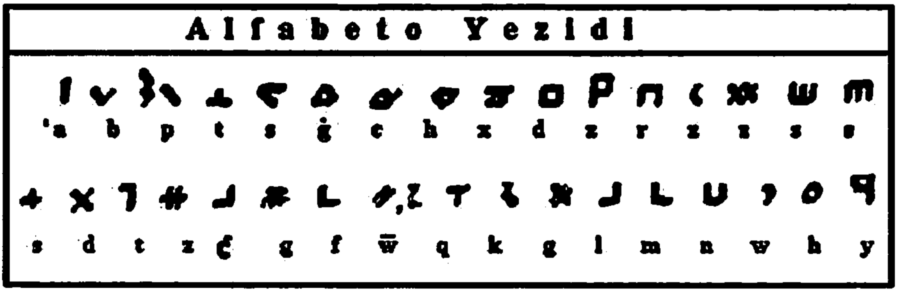

المصدر: <http://ezdixan.skyrock.com/2867982858-L-alphabet-Yezidi.html> (Accessed 10/10/2012).

(6) خليل الجنـدي، «الكردولوجيـا والإيزيدية،» (محاضـرة ألقيت في المهرجـان الثقافي لمركز لالش، دهوك، العـراق، 13-15 تموز/ يوليو 2006)، على الموقع الإلكترونـي: <http://www.sersal.de/modules.php?name=News&file=article&sid=63>.

ثانيًا: تعريب الألفبائية مثاقفة وتحوّل ذاتي أم سياسة قصدية؟

1 - ألفباء عربية: رأسمال رمزي للإسلام

يسود اعتقاد لدى بعض الكرد أن مناطق كردستان التاريخية تعرضت لعمليات تعريب (وتتريك وتفريس أيضًا) ممنهج، أخذت تنتشر ربما بصمت لكن بقوة وثبات. ويستند بعض ذلك الاعتقاد إلى كتابات مؤرخين عرب مثل ياقوت الحموي (1178 - 1228/ 1229؟م) الذي أشار في كتابه معجم البلدان إلى تعرُّب الكرد في مدينة أربيل، فقال: «ومع سعة هذه المدينة فبنيانها وطباعها بالقرى أشبه منها بالمدن، وأكثر أهلها أكراد قد استعربوا، وجميع رساتيقها وفلاحيها وما ينضاف إليها أكراد»[7].

يبدو أن «التعريب» و«التفريس» و«التتريك»، كانت - من منظور أيديولوجي - أحد مصادر التهديد للتكوين اللغوي والأبجدي للكرد في التاريخ اللاحق للمنطقة، خصوصًا في أعقاب السيطرة الفارسية والتركية (السلجوقية والعثمانية) على المجال المشرقي والإسلامي.

ليس ثمة كثير مما يمكن ملاحظته في ذلك التحول أو التغيير لدى الكرد من الكردية(ات) إلى لغات أخرى أو في تطور أدائهم اللغوي نحو التشكل لهجاتٍ وأشباه لغات. وقد يكون ذلك جزءًا من عمل ضروري كرديًا وإقليميًا يجب أن يوليه العلماء والمشتغلون بالبحث العلمي اهتمامًا جادًا. ووصل الحال بالكرد في القرن العشرين إلى الاعتقاد بأن اللغة الكردية هي لغة شفوية، أو أنها شفوية - كتابية (فرعية) ومتعددة وليست عامة وشاملة. وهذا يفسر نسبيًا افتقادهم أبجدية جامعة كردية أكانت أم عربية أم لاتينية. واستخدموا الألفبائية العربية والعربية - الفارسية بصورة مستقرة عمومًا، ولم يثر جدال يُذكر في شأن ذلك حتى نهايات القرن التاسع عشر عندما بدأت نذر الحداثة والاختراق الغربي والمرحلة الكولونيالية للمنطقة في إطار الدولة العثمانية (وبعدها).

---

(7) شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان (بيروت: دار صادر، 1977)، ص 138.

وعلى العموم استخدم الكرد ألفبائيات معدلة أخرى مثل العربية - التركية والروسية واللاتينية.

2 - ألفباء عربية معدّلة

كان استخدام الألفبائية العربية ملازمًا لبروز الثقافة العربية بوصفها ثقافة كبرى في المنطقة (والعالم) في لحظة تاريخية وسياسية ودينية سابقة. ولاحظ المؤرخون أن الأكراد كانوا يميلون إلى الثقافة العربية لأسباب عديدة، في مقدمها الدين الإسلامي حيث العربية لغة القرآن ولغة الاتصال والدعوة والتعبد، ذلك أن الكردي المسلم كان «منبهرًا» بالعربية لغة القرآن، ويُعدّها مقدسة وسبيلًا لمعرفة الدين فضلًا عن كونها لغة وسيطة في الدنيا (والآخرة). كما أن الكردي غير المسلم، ربما تأثر بالثقافة العربية كونها الثقافة «المسيطرة» أو «الرئيسة» في المنطقة خلال قرون عدة. ومن ثم فإن التعليم الديني والثقافة والشعر والملاحم والتجارة والأدب، فضلًا عن التجارة والسياسة والمعاملات، كانت تتوسل العربية لغةً إلى جانب الفارسية والتركية.

لكن الكرد لم يتوسلوا الألفبائية العربية على ما هي عليه، بل قاموا بإدخال تغييرات نسبية، وأدرجوا العديد من التكوينات الحروفية بغرض جعلها أكثر مواءمة مع «منطق» اللغة(ات) الكردية وصوتياتها (فونيماتها). وطرأت تغييرات عديدة على ذلك «التكييف» اللغوي الألفبائي، حتى عَدَّهَا بعض الكتّاب وربما التيارات الفكرية والسياسية نوعًا من الإبداع في التكوين الألفبائي. إذ «أصبحت الكتابة بها تفي بكل ما يحتاجه القارئ والكاتب، وباتت القراءة أسهل بكثير عما كان عليه الأمر سابقًا. بل يمكن القول إن الإملاء الكوردي الحديث قفز قفزات نوعية مهمة نحو الأمام، قلما تجد مثيلها في الأخريات من اللغات الإسلامية. ولن يتردد المُطّلع على لغات المنطقة من القول إن القراءة الكوردية الحالية تمتاز بسهولتها ومرونتها وعدم الحاجة كثيرًا إلى التردد في القراءة لتناسب المضمون وتوافق المعنى، لأن هنالك ما يعادل حركات الفتحة والكسرة

والضمـة من حـروف وعلامات مثلًا. وهـذا لا يعنـي بطبيعة الحـال خلوّها من الثغرات والمثالب وبلوغها الكمال»[8].

يشـكل ذلك مدخـلًا للاعتراض علـى «ليتنـة» الألفبائية الكرديـة في تركيا بكيفية ربما «أسـاءت» إلى اللغة الكردية بعدم التوافق بين المكتوب والمنطوق، ذلـك أن: «إسـقاط الظواهر الصوتيـة اللاتينية التركيـة على الحـروف الكوردية بفعل تمسّك بعض الكورد بالكتابة بها، أفقد الأصوات الكوردية أصالتها وطرد بعضها وهي موجودة، وأحدث انقلابًا لغويًا تركيًا على لغة شـعب ينتمي - على أقل تقديـر - إلى أرومـة لغوية أخرى، وآثـار هذا الانقلاب تبـدو واضحة على لحن قول كورد شمال كوردستان»[9].

ثمـة بالمقابل قدر من الحماسـة فـي تعاطي الكـرد مع موضـوع الألفبائية اللاتينيـة، وقـد يبالغون قليـلًا أو كثيرًا فـي التأثير السـلبي للألفبائيـة العربية في التواصـل اللغوي والكتابي بينهـم، وهناك من يعتبر أن الحـروف اللاتينية بلغت درجة الكمال في مواءمتها اللغة الكردية[10].

ينتقد الكـرد ملاحظات الآخر بخصوص لغتهـم، بوصفها محاولات للنيل مـن ثقافتهم وجدارتهـم القومية. ومن ذلك اعتراض كاتب كـردي - وقد يكون محقًـا في هـذا - على مـن يعتقـد أن «أهم مـا يجـب أن يبحثوا عنه هـو تطوير الحـرف العربي ليصبـح أقرب اسـتيعابًا لبعـض الألفـاظ الكردية واشـتقاقاتها، ووضع قواعد أساسية للقراءة والكتابة»[11].

---

(8) محسـن جوامير، «مـاذا قـال مصطفى البارزانـي عـن اللاتينيـة؟،» (باهـوز (Bahoz) (موقـع إلكترونـي)، 30/ 7/ 2007)، على الموقع الإلكترونـي: <http://bahoz.hostoi.com/mohsen_juwamer159.html> (Accessed 12/2/2013).

(9) المصدر نفسه.

(10) أحمد هبو، الأبجدية: نشـأة الكتابة وأشـكالها عند الشـعوب (اللاذقية، سـوريا؛ دمشق: دار الحوار، 1984).

(11) انظـر: خالد جميـل محمد، المجازفـة في الكلام: بحث فـي آراء بعض الكتـاب العرب في اللغة الكردية.

3 – بدرخان ونويل: «ليتنة» بالصدفة؟

يذكـر محمد أوزون في تقديمـه كتاب قواعد النحـو الكرمانجي لـجلادت بدرخان ملاحظة الأخير الفروق بين استخدام الألفبائية العربية واللاتينية فيقول: «في سـنة 1919 كنا في جبال ملاتيا، بين عشـيرة «رشـوان»، وكان برفقتنا أيضًا الميجر نويل، وهو إنكليزي، وكان الميجر يعرف اللهجة الوسطى، وكان يسعى إلى تعلم اللهجة الشمالية، وكان يدوّن لنفسه كل شيء. وأنا بدوري كنت أجمع بعض الأمثال والأغاني والقصص.

أحيانًـا كنا نعاود النظـر في كتاباتنـا، نقرؤها، ونُصححها، وكنـت أنتبه إلى الميجر الذي كان يقرأ مسـوّدته، بتلفظ أجنبي، دون صعوبة، أما أنا فكنت ألاقي مشـقة كبيرة في تمييز (Ù) من (Ò)، و(Ì)، من (È). لمـاذا؟ لأن الميجر كان يكتب بالأحرف اللاتينية، أما أنا فكنت أكتب بالأحرف العربية. وبناء على هذا بادرت فورًا إلى اتخاذ قرار بوضع ألفباء (كردية) لاتينية»[12].

تتخـذ هـذه الملاحظـة، وليـدة المصادفـة، فعـلًا يتجاوزهـا بكثيـر، حيث تحولت إلى «حدث» مؤسـس بالنسـبة إلى وعي الألفبائية ومشروعها المفترض عنـد بدرخـان (والمتأثريـن بـه)، وثمـة مشـروعات تنتظـر لفتـة أو مصادفـة أو حدثًـا «يبررها» أو «يحسـم» التفكيـر فيها. وأصبحـت «حادثة» بدرخـان ونويل سـردية نشـطة نسـبيًا، ويجتهد العديد من الكرد ممن تحـاورت معهم في صوغ سـيناريوات مماثلة «تسـرد» قصة اكتشـاف الواحد منهـم الفروق بيـن الألفبائية العربية والألفبائية اللاتينية.

مـا يذكر عن جـلادت بدرخـان ليس هو الصـورة كلهـا[13]، إنه جـزء منها فحسـب، ذلـك أن التجربـة الكماليـة كانـت سـابقة، وقـد تكـون فعلـت فعلها

---

(12) المصدر نفسه، ص 8.

(13) للاطلاع على تجربة جلادت بدرخان كما يعرضها هو نفسه، انظر: جلادت بدرخان وروجه لسكو، قواعد اللغة الكرديـة: اللهجة الكرمانجية، ترجمة ونشـر دلاور زنكي (دمشـق: دلاور زنكي، د. ت.). والنص حوالى 512 صفحة وهو متاح (على ما يظهر في النسـخة الإلكترونية لدى الكاتب) على الموقع الإلكتروني: <www.shanama.com>.

التحفيزي أو الإيحائي، إن لم تكن محاولة بدرخان نوعًا من المحاكاة لتلك التجربة التي انطلقت بقوة بعد سنوات من التردد. وبغض النظر عن تأثير النسخة الأصل أو النموذج الكمالي في التجربة الألفبائية لدى الكرد، فإن ما ينسب إلى الأمير جلادت بدرخان أصبح نموذجًا لـ «الإحياء» اللغوي الذي تصاغ وفقه أفكار الهوية والتحديث القومي للكرد.

4 - الإحياء اللغوي: خنجر اللغة ولغة الخنجر

يتحدث بدرخان عن هواجسه وجهده على هذا الصعيد في حوار متخيل بينه وبين «خنجره»، إذ يتحدث إليه الخنجر، وفي ذلك رمزية بالنسبة إلى التقاليد الكردية. يقول: «أعلم أنك اليوم مهووس بالكتابة واللغة الكردية، تشغل نفسك من الصباح حتى المساء، وأحيانًا حتى منتصف الليل، وأحيانًا أخرى حتى الفجر بكلمة أو نصف كلمة، أهي مؤنثة أم مذكرة، اسم أم ضمير. منفصلة أم متصلة. أو فيما إذا كانت في الأصل كردية أم دخيلة، تم تكريدها؛ وهكذا يشيب شعرك وشاربك ... في سنة تعيش عشر سنوات، وطوال عمرك، تجعل من ربيعه شتاءً ثلجيًا، ولكنك سعيد، وتقول في سرك إنني بهذه القراءة والكتابة، سوف أحيي شعبي، وإن شعبي سوف يصبح مالكًا للعلم والكتب وسوف يصبح مستقلًا ويحقق أمنيته ويسعد»[14].

على الرغم من أن مشروع جلادت بدرخان انكفأ نسبيًا بعد خروج الفرنسيين من سورية، وكذلك مع الضغط الكبير على الكرد خلال أكثر عقود القرن العشرين، فإن هوية لغوية أو ألفبائية استفادت كثيرًا من التجربة السابقة، كما أنها ربما «تمثلت» التجربة التركية، وتحفّزت بالتفوق الغربي والرغبة في الانتساب ليس إلى جذر مشترك مع الغرب فحسب، وإنما إلى مسار التجارب التي تخطو على خُطاه وتنهج نهجه التحديثي.

---

(14) فقرة مقتبسة من قصة بعنوان «عتاب خنجري» منشورة في كتاب عن أنطولوجيا القصة الكردية، الذي صدر باللغة الكردية في عام 2003 عن دار نودم، بإشراف الكاتب فرات جوري، وكانت قد نشرت في: هاوار (دمشق)، العدد 12 (1932)، ترجمها عن الكردية زين أمين، على الموقع الإلكتروني: <www.kurdmedya.com/vb/showthread.php?t=30384> (Accessed 12/2/2013).

ثالثًا: مشروع تغيير الألفبائية

إن الهدف المعلن لمشروع تغيير الألفبائية هو اختيار أحرف ورموز أكثر انسجامًا مع الكلمات والأصوات والقواعد في اللغة الكردية، وثمة في الواقع أهداف أخرى قد «تفصح» عنها مقالة بدرخان نفسه عن اللغة العبرية، من قبيل الرغبة في إقامة قطيعة رمزية ودلالية مع الأبجدية العربية المستخدمة آنذاك في الكتابة الكردية، بين اللغة والثقافة الكردية وبين اللغة والثقافة العربية، باعتبارها بيئة «مهيمنة» على الفضاء الثقافي والرمزي للمنطقة. وهذا القطع هو أول لبنة في معمار الثقافة والهوية الكرديتين اللتين تتمايزان بعد ذلك عن العربية في الجوانب الأخرى. وبما أن بدرخان، ونحن إذ نتخذه هنا «مثالًا»، لا نحمّل مشروعه أكثر مما يحتمل، كان يركز تفكيره على بناء الأمة الكردية، وكان وفق كتابته هو نفسه، «مأخوذًا» بالتجربة العبرية، فذلك يُعبر عن مدى الحلم أو الطموح الكردي.

1 - ألفبائية إنكليزية مُعدّلة

استكمالًا لما أوردناه سابقًا عن مواقف تتمسك بالألفبائية العربية المعدلة التي «وصلت حد الكمال»، فإن ثمة مواقف مغايرة، إذ يردّ الكاتب الكردي مهدي كاكه يي على ذلك، ويرى تفضيل أو لزوم اعتماد ألفبائية - إنكليزية معدّلة نسبيًا للتوافق مع الكردية، وأما العربية فلا يراها مناسبة. يقول: «إنّ الأبجدية العربية والحروف المستنبطة منها تفتقد إلى بعض الأصوات الكوردية والتي تتم كتابتها بحروف لا تتطابق أصواتها مع الأصوات الكوردية. كما أن الإملاء الكوردي بالحروف العربية يعاني من فوضى كبيرة، حيث إنه يُكتب بأشكال عديدة. من هنا نستنتج أنّ الحروف اللاتينية فيها الأصوات الكوردية التي تفتقر إليها الكتابة الكوردية بالحروف العربية وأن إملاء الكوردية بالكتابة اللاتينية سهل وموحد، بعكس الكتابة بالحروف العربية»[15].

---

(15) مهدي كاكه يي، «اللغة الكوردية الموحدة والأبجدية اللاتينية والعربية،» على الموقع الإلكتروني: <http://www.kord-can.com/vb/index.php> (Accessed 12/2/2013), and <http://www.semakurd.net/index_arabic.php?cont=ziman-d-mihdi-arabic> (Accessed 12/2/2013).

يذهب هذا الموقف إلى حد اعتبار التمسك بالألفبائية العربية المعدّلة هو نتيجة تضافر مجموعة من العوامل المؤثرة في الكرد، مثل: الدين الإسلامي، والعبء الرمزي للسيطرة التاريخية للسياسة والثقافة العربيتين (والفارسيتين والتركيتين)، وهنا تبرز الاتجاهات والقيم الثقافية التقليدية؛ ومنها أيضًا التيارات الدينية والإسلاموية التي تجعل من الألفبائية موضوعًا للصراع والمنافسة السياسية الداخلية. يقول كاكه يي: «يبدو واضحًا أنّ الإسلامويين الكورد يحاولون استغلال الرموز الكوردية والدين الإسلامي لفرض الأبجدية العربية على الشعب الكوردي وفرض الثقافة العربية عليه وربط الكورد بالعرب ... دون القيام بأي دراسة علمية للمقارنة بين مدى ملاءمة كل من الأبجدية العربية واللاتينية للنطق الكوردي ودون مراعاة المصلحة القومية الكوردية»[16].

إن ثمة عناصر فاعلة أخرى دفعت إلى تغيير الألفبائية إلى اللاتينية، ومن ذلك أسطورة (أو واقع؟) الأصل المشترك مع أوروبا وما لها من تأثير في هذا الصعيد، فيصبح الأمر كأنه «عودة إلى الأصل» أو تصحيح للمسار اللغوي الذي لن يجد الكرد صعوبة كبيرة في إلقاء اللوم في شأنه على العرب والجوار. وتقترح إحدى المنظمات الكردية أن تكون ألفبائية الكتابة باللاتينية تماشيًا مع تطور دراسة الإنكليزية ومع السياق العالمي، فضلًا عن كونها (الألفبائية المذكورة) هي التي تضمن الوحدة الأبجدية الكردية[17]. وذلك بهدف «ليس محو أو إلغاء الأدب الثري المكتوب بالأبجدية العربية، إنما الهدف من هذا هو تقدم وتحديث الآداب والعلوم في كوردستان كي يبقى شعبنا متقدمًا ومعاصرًا في زمن العولمة».

لكن المنافسة السياسية والثقافية ربما تجاوزت جانبًا من التحفّظات على تغيير الألفبائية، وأصبح استخدام ألفبائية معدلة هو المشروع الرئيس في الفضاء اللغوي للكرد، وانتقلت بعض المنافسات إلى داخل هذا الخيار، وركّزت على

---

(16) المصدر نفسه.

(17) بيان منظمة (Pen) الكردية: عفرين نت، 23/ 8/ 2006، على الموقع الإلكتروني: <http://www.efrin.net/cms/erebi/index.php?option=com_content&task=view&id=103&Itemid=28> (Accessed 12/2/2013).

مُعطيـات ألفبائية ومفـردات وأنماط قواعديـة معينة، وما هو المخـزون اللغوي المتوافـق مع اللاتينيـة المقترحة، وهـل إن التجربـة التركية أقـرب أم أن العودة إلـى اللاتينيـة - الإنكليزية مثلًا هـي الأقـرب، أم أن المطلوب هو الشـروع في «هندسـة» نظـام حروفي/ ألفبائي وصوتي جديـد يأخذ بالاعتبـار التعدد اللغوي واللهجي والتاريخي والثقافة الشفوية في الهويات وجهات الكرد كافة؟

2 - النقاط الرئيسة للمشروع

يمكن تركيز النقاط الرئيسة لمشروع تغيير الألفبائية من العربية إلى اللاتينية وفق ما يلي:

- اختيار ألفبائية تتواءم مع اللغات واللهجات الكردية، ذلك أن ثمة تفاوتًا فـي النظر إلـى الموضوع بحسـب كل لغة إن لجهـة بنائها الصوتـي والقواعدي ومفرداتهـا، أو لجهة المواقـف السياسـية والأيديولوجيا، أو تفضيـلات حاملها الاجتماعي.

- التأسـيس الرمزي للكتابـة والثقافة الكرديتين، وهو أمر يختلف بحسـب التكويـن اللغـوي والقبلـي والدينـي والجهـوي، ومـن ثم فـإن احتمـال وجود مرجعيـات رمزية وثقافيـة، واجتماعيـة ودينية مختلفـة أيضًا، هو أمـر يمكن أن يؤدي إلى خلق هويات متمايزة وربما متنازعة أو ذات قابلية توافق منخفضة.

- «تفكيك» المشـتركات الكتابية مع اللغة العربية من خلال إنهاء الارتباط الرمزي والفعلي بالألفبائية العربية. وهذا أمر تواجهه صعوبات كثيرة، وربما كان مستوحى في بعض جوانبه إن لم يكن أكثرها من التجربة الكمالية في تركيا، غير أن مآل تلـك التجربة في جانب الألفبائية، وإن اسـتمر، غير معروف فقد تشـهد نتائجه في ما يتعلـق بالهوية الثقافية والاتجاهـات الاجتماعية والرمزية تحديات أكبر نسبيًا، خصوصًا مع بروز الوجه الشرقي والإسلاموي في تركيا[18].

(18) انظـر بهذا الصدد: عقيل سـعيد محفوض، جدليـات المجتمع والدولة في تركيا: المؤسسـة العسكرية والسياسة العامة (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2008).

- خلق إطار توحيدي ما أمكن للهجات والكتابات الكردية من خلال نموذج قابل للتطور وفق «محاكاة» نسبية وإجرائية للتجارب اللغوية في تركيا وفي دول أخرى من العالم.

كثيرًا ما يتشبه المغلوب بالغالب، على حد تعبير ابن خلدون (1332 - 1409)، ومن ثم فقد وقع الأكراد تحت ضغط عاملين غالبين رئيسين: الغرب من جهة، ودول المنطقة من جهة أخرى. والواقع أن الشعور بثقل استخدام الألفبائية العربية أصاب - موقتًا - بعض مناطق العالم العربي، فبرزت دعوات هنا وهناك (كما في مصر ولبنان) إلى تغيير الألفبائية والتحول من العربية إلى اللاتينية. ونشطت محاولات الكرد للتغيير عن استخدام الألفبائية العربية والتحول إلى اللاتينية، وأخذت تستقر، وربما استقرت كليًا، لدى الأكراد في تركيا وسورية وبدرجة أقل في العراق[19].

3 - عوائق التحوّل الألفبائي

يندرج التشدد المتزايد في طرح الموضوع في سياق واقع يتغير تدريجًا لمصلحة مزيد من التجاذبات السياسية، ولا بأس في مناقشة تقنية لذلك التغيير، حتى لو كان لهذا الجانب التقني وزن نسبي قليل بالقياس إلى الوزن النسبي للعوامل السياسية والثقافية والنفسية. ويمكن تركيز عوائق التحول الألفبائي للغة الكردية في النقاط التالية:

- الصعوبات التقنية والتنفيذية.

- الصعوبات في القابلية الاجتماعية.

- الصعوبات الثقافية التي ارتبطت بـ «هيمنة» الثقافة العربية والفارسية والتركية.

---

(19) لا تزال الألفبائية العربية مستخدمة في مناطق عديدة من العالم، وتُكتَبُ بها اللغات: التترية والأوردية والكشميرية والبشتونية والطاجيكية والكردية والبهاسية (ماليزيا، إندونيسيا، بروناي) والملاوية والبلوشية والكازاخية والقرغيزية والأذرية والشيشانية.

- ارتباط الألفبائية العربية بالقرآن والدين الإسلامي.

- الرأسمال الثقافي والرمزي للعربية لدى الأكراد.

- السياسات الإقليمية التي لم تشجع (بالنسبة إلى الدول العربية وإيران) على التحول الألفبائي من العربية المعدلة إلى اللاتينية المعدلة.

- صعوبة التغيير لدى الجماعة الكردية على هذا المستوى الذي يتطلب تخصيص الكثير من الموارد المادية والمعنوية.

ثمة جوانب إشكالية عديدة لـ «اكتشاف» الكرد أهمية التغيير في الألفبائية من العربية إلى اللاتينية، منها ما يتعلق بتقويم المعنيين بالأمر ومؤيديه كيفية إدراك الأسلاف الكرد له ومدى فهمهم وتعاطيهم معه خلال قرون عدة، وهذا يتصل أيضًا باللغة(ات) واللهجات، فهل كان لديهم وعي بذلك؟ أم أن للأمر معنى آخر يتضمن «جهل» الأسلاف بهذا الموضوع أو «غفلتهم» عنه!؟ أم أنهم «سكتوا» عنه لأسباب سياسية مثلًا أو أسباب عاطفية ودينية؟ هذه نقاط تتطلب كثيرًا من التدقيق والتقصي، وهي - على أهميتها - خارج إطار هذه الدراسة.

4 - جدل الألفبائية: أي ألفبائية وأي لغة؟

لم يتوصل الكرد إلى توافق على الألفبائية، هل تكون عربية أم لاتينية، وإن كان ثمة تحول تدريجي لمصلحة الثانية. وأخذت الاعتبارات السياسية ومتطلبات الهُوية الإثنية تتغلب على الاعتبارات الثقافية ومتطلبات اللغة(ات) الكردية نفسها. ويندرج في هذا السياق «اكتشاف» بعض الكرد عدم مواءمة الألفبائية العربية للغة الكردية، وتَمَسُّك بعضهم بالألفبائية العربية لاعتبارات تاريخية ثقافية ودينية.

تحتدم المنافسة بين نمطين «غير أصيلين» أو لنقل «هجينين»: الأول هو الألفبائية العربية وتعديلاتها الكردية والفارسية (والعثمانية)؛ والثاني هو الألفبائية اللاتينية - الإنكليزية والتركية وتعديلاتهما الكردية أيضًا، ومن ثم فإن البحث عن ألفبائية لاتينية تتوافق مع اللغة الكردية (أي لغة أو لهجة؟) هو

من المهام الرئيسة أمام الكرد اليوم. إذ ليس ثمة «نمط» جاهز يمكن استيراده وتبنّيه كرديًا، وإنما على الكرد أن يجتهدوا في ما يمكن عَدّه «هندسة» تكوين لغوي مزدوج أو «صنعه»، أي لغة ومفردات من جهة وألفبائية من جهة أخرى، وهذه المهمة المزدوجة هي الأساس المفترض (أو المطلوب) للتكوين اللغوي الكردي المعاصر.

ركزت الثقافة الكردية على الألفبائية اللاتينية في الكتابة بتواتر أكبر، ربما تماشى مع تأثيرات العولمة والضغط اللغوي المرتبط بثورة المعلومات والاتصالات، وكذلك تطورات السياسة الإقليمية التي زادت في الرغبة بإدراج المفردات الإنكليزية في الاستخدام اللغوي، لكن المسألة تتعدى أي ألفبائية يمكن استخدامها؟ ذلك أن البناء اللغوي متعدد ومتفارق إلى درجة كبيرة، ويمكن القول إن العديد من «اللهجات» الكردية هو في الواقع أكثر من لهجة وأقل من لغة، وتلك «اللهجات» هي عمليًا «لغات» مستقرة لدى أهلها، كما أن الفروق بينها وبين غيرها مما يستخدمه الأكراد، تكون أحيانًا أكبر بكثير من مجرد تحول أو تغير نسبي يمكن أن يحدث لأي لغة يشهد حاملها الاجتماعي تأثيرات سياسية وبيئية وتاريخية.

هذا الحال «غير المتعين» بالنسبة إلى معايير «الاستقلال» أو «الاندماج» اللغوي في المجال الكردي يؤرق الجماعة الثقافية والسياسية الكردية، كما أنه يطرح تحديات جدية أمام بناء «إطار لغوي» جامع وقادر على أن يكون «وسيطًا» لغويًا واحدًا أو مركبًا، أي «لغة واحدة» أو « لغات عدة».

حتى الآن، ليس ثمة تصور عمومي للألفبائية المقترحة للغة القومية، خصوصًا في الظروف الراهنة للمجال الكردي، السياسية منها على وجه الخصوص. إلا أن ارتباط الكرد بـ «أمل» أو «طموح» اللغة والسياسة والهُوية هو ما يُعزّز جهدهم في هذا الصدد. وهو ما سنتناوله في موضع آخر من هذا الكتاب.

الفصل الخامس

التحدي أو التهديد اللغوي

يشـهد البنـاء اللغوي للكـرد تحديات واسـعة الطيـف ومتفاوتـة من حيث إداركهم لها، ومـن حيث تأثيرها المحتمل في هويتهم كمـا تتجلى في الخطاب الكردي الراهن. كما أن الإشـارات القليلة إلى التعدد والتشـتت اللغويين تُحيل الأسـباب عند التحليل على العوامـل الخارجية؛ أما العوامـل الداخلية المتمثلة بـالعوائق الاجتماعيـة والثقافية والاقتصادية فكثيرًا ما يتم تجاهلها و«السـكوت عنهـا»، وأحيانًـا تُعطـى وزنًـا نوعيًـا وتحليليًا أقـل، وقد تُعتبـر تبعـاتٍ أو نتائج للعوامل الخارجية إيّاها.

يتناول هذا الفصل التحـدي أو التهديد اللغوي للكرد الـذي يُعد أحد أبرز تحديات تكوينهم القومـي المعاصر، ذلك أن الكرد الذين يجدون صعوبات في التواصل اللغـوي تواجههم صعوبات أكبر في التواصل السياسـي. وعلى الرغم مـن العلاقة «الصوفيـة» بين الكـردي ولغتـه، إلا أن البناء اللغوي للكـرد يواجه تحديـات أو تهديـدات ذاتيـة وداخلية بالأسـاس، وإن كان لها بواعـث خارجية كما هو معلـوم. ويتخذ التحدي أو التهديد أبعادًا عديـدة مثل: «الحلول الكلي» للغات الجوارية محـل اللغة(ات) الكردية، و«الحلـول الجزئي» أو «القطاعي»، و«الحلـول الأداتـي» أي فـي ما يخـص جوانـب اسـتعمالية وتقنيـة، و«الحلول الرمـزي» ويرتبط بالبعد المعنـوي والتكوين الثقافي والهويـة للجماعة الكردية، كمـا يتخذ التهديـد وجوهًا عديـدة مثل: «الأصولـي – الحداثي»، «الشـفوي – الكتابي»، «اللهجات الكرديـة»، «الشتات».

تُشكّل السياسات العامة لدول المجال الكردي مصدر تهديد رئيس بالنسبة إلـى البناء اللغـوي للكرد مـن خـلال «التعريـب» و«التتريـك» و«التفريس» وما

يماثلها[1]، انطلاقًا من عَدِّهَا التكوين الكردي تطورًا ممنهجًا أو خارج السياق العام لثقافة الدولة أو الاجتماع السياسي المعني.

ينظر الكردي إلى اللغة نظرة وجدانية وعاطفية، وثمة شجون كثيرة في هذا الشأن، فالتمسّك باللغة هو أحد أوجه التمسّك بمعنى الكردية، فرديًا وجمعيًا، وهنا يمكن ملاحظة تمسّك الكرد بلغتهم، حتى لو لم يستخدموها كثيرًا، وهو أمر يحتاج إلى دراسة وتقصٍ جديين، وهذا يُذَكِّرُ بقول الشاعر بابا طاهر[2]:

«لو اقتلعوا عينيّ بالخنجر،

وقطَّعوا عظامي بالنار

وقطَّعوا أوصالي إربًا

على أن أتخلى عن حبيبتي الرحيمة،

ما فعلت».

هذا تعبير صوفي عن علاقة الكردي بما يُحب، وهو مما يسم تعبير الكردي وخطابه، وهو يتسلح بهذا النزوع الصوفي بمواجهة الضغط المتواتر للتخلي عن الهوية اللغوية أو الإثنية أو غيرها، وثمة العديد من مؤشرات الدفاع اللغوي في الشعر الكردي، وليس عن اللغة بما هي «كائن حي» فحسب، وإنما بما هي كائن كامل الأهلية للتعبير أيضًا. يقول الشاعر نالي (1797 - 1855) مدافعًا عن اللغة التي يمكن أن تنتج أدبًا راقيًا:

«ليس لأحد أن يقول إن ألفاظي كوردية،

مصنوعة محليًا،

---

(1) انظر من منظور كردي: غفور مخموري، تعريب كوردستان: التعريب، المخاطر، المواجهة، ترجمة عبد الله قرگەيی، السلسلة الثقافية (أربيل: ئاراس للنشر، 2006).

(2) طيب طاهر، «تأثير الشعر في بقاء اللغة الكوردية»، كولان العربي (كانون الثاني/ يناير 2002)، ص 4.

فليقرأ من كان ليس بجاهل ما بين سطورها،

كي يدرك معانيها»[3].

الواقع أن التعابير السابقة هي بمنزلة «ردود» على اتهامات، أو ربما شعور قائلها بضغط الواقع أو العجز اللغوي لجهة غلبة لغات أخرى واقعيًا وانحسار الكردية(ات) أمامها. وقد يكون ذلك التمسك الشعري والصوفي باللغة، نوعًا من كشف الغطاء عن قابليتها لأن تكون لغة قوية.

أولًا: معايير التهديد

يتجلّى التحدي في تهديد مستمر للكيانية الإثنية، حيث فقدَ الكرد الانسجام اللغوي واعتمدوا على لغات أخرى، وهم في الواقع يتوسّلون ما يشبه اللغات، ذلك أن اللغة الشفوية اليومية أحيانًا تكون خليطًا غير مُحدّد الملامح بين أكثر من لغة ولهجة، ومن ثم فإن لغة الآخر تحل محل ما يفترض أنه لغة كردية بأكثر من معنى، خصوصًا في بعدين: **الأول**، الحلول الأداتي محل اللغة الأم؛ والثاني، التغلغل في الأخيرة والدخول في مخزونها من المفردات. وكلا الحالين يُهيئ لغة الآخر للحلول في المعيشة اليومية وفي العلائق الثقافية والاقتصادية وربما السياسية، أو أنه يتماهى بها إلى درجة يصعب معها القول بوجود لغة متميزة بل إنه خليط لغوي لا هوية له، أو أن هويته مُركَّبة.

إن التعدد اللغوي عند الكرد يجعل من الضروري استخدام لغة الآخر وسيطًا للتواصل، الأمر الذي يُعزز ضرورة الآخر (وهو مصدر تهديد رئيس!) من أجل «تعديل» خطورة أخرى وهي الانقطاع وربما العجز عن التواصل بين التكوينات الاجتماعية والجهوية والقبائلية. وذكر ابن حزم في كتابه **الإحكام في أصول الأحكام**[4]، أن «اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ودخول

---

(3) المصدر نفسه.

(4) أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1980).

غيرهم في مساكنهم، أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم، فإنما يفيد لغة الأمة، وعلومها وأخبارها وقوة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم. وأما من تلفت دولتهم، وغلبت عليهم عددهم، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم، فمضمون منهم موت الخواطر، وربما كان ذلك سببًا لذهاب لغتهم، ونسيان أنسابهم وأخبارهم وبيود علومهم»[5].

هذا القول على أهميته وتناوله العديد من عوامل انهيار الأمم أو فشلها، يبقى مضمونه في الموضوع الكردي قاصرًا عن الذهاب مع ابن حزم إلى مقتضى مقولته المذكورة أعلاه، ذلك أن انقطاع المسار الدولتي عند الكرد لم يُلغ إحساسهم بالهوية وتمسّكهم باللغة، والأهم أن سعيهم إلى كيان سياسي/دولتي لا يزال مستمرًا، ويكتسب في كل مرحلة زمنية دفعًا ودينامية كبيرين، لكن من دون نتائج حاسمة على هذا الصعيد حتى الآن. ولعل الخطاب السياسي والثقافي يرتكز على عدد من المفردات المذكورة في الاقتباس السابق من كلام ابن حزم، ذلك أن مسألة الدولة تُعدُّ المقولة المركزية في الفكر السياسي والثقافة الكردية، ويمكن تقصّي ذلك في مراحل مختلفة من التاريخ. هكذا يركز الخطاب الكردي على تلازم أو ارتباطٍ بين البناء السياسي والبناء اللغوي، ومن ثم التكوين الدولتي. واستكمالًا لموضوع اللغة فإن الكلام عن «لغة كردية واحدة» و«تجاهل» التعدد اللغوي اللهجوي قد يكون من «مستلزمات» الأيديولوجيا التي «تنكر» أحيانًا الواقع لمصلحة نمط تفكير أو مأمول سياسي بعينه، وهذا من عوامل فشل السياسات اللغوية وغيرها، وهو إلى ذلك من سمات الخطاب الثقافي والسياسي الكردي البارزة خلال العقود الأخيرة.

1 - تحدٍ ذاتي

إن التحدي اللغوي الرئيس هو في المجتمع الكردي نفسه، ونحن لا نُقلل من عوامل البيئة المحيطة بالمجال الكردي أو التي تحكمه، ولا بعناصرها

---

(5) المصدر نفسه، واللغة، إعداد وترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، دفاتر فلسفية (نصوص مختارة)؛ 5، (الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال، 2010)، ص 48.

الفاعلة، لكننا نُعيد ترتيب أولويات النظر إلى اللغة والبناء اللغوي واعتبارات تحليل الواقع الثقافي الراهن، ذلك أن التشكل اللغوي واللهجي المتعدد (الموزاييك) سابق على الانقسام الجغرافي والدولتي والتوزع بين الكيانات السياسية الراهنة، ومن ثم قد يكون سببًا له، أو أحد أسبابه، وقد يكون نتيجة له أيضًا. ولا نعلم على وجه اليقين موقع أحدهما من الآخر، لكن من المهم النظر إلى الواقع الكردي برؤية تاريخية وعدم تسطيح المسألة بكيفية تُعيق النظر العقلي والتأمل المستقبلي.

يُذكَر أن أحمدي خاني استخدم في ملحمته مم وزين خليطًا لغويًا من العربية والفارسية والتركية، وعددًا من اللهجات الكردية مثل البوتانية، «وهي لهجة سيطرت على أدب الرواد الأوائل مثل [الملا أحمد] الجزري وكانت شائعة في منطقة كبيرة من كردستان، ولا بد أن خاني كان يعرف خفاياها، فقد قضى مدة من الزمن في بوتان واطّلع على قصائد شعرائها، واللهجة الثانية هي المهمدية ويقول أمين عثمان إنها لهجة أحمدي خاني، أما اللهجة الأخيرة في اللغة «الخانية» فهي اللهجة السليفية وهي لهجة إحدى القبائل الشهيرة القاطنة في نواحي موش من كردستان الشمالية»(6).

إن استخدام لهجات كردية عدة (ولغات أخرى) ينطوي على دلالات متعاكسة نسبيًا، فهو نوع من الغنى والتنوّع والقدرة على التواصل الاجتماعي والثقافي، وهو «إقرار» أيضًا باستحالة البناء على لغة/ لهجة كردية واحدة لصعوبة القيام بذلك، وربما لاستحالة تحقيق الغرض من السردية المعنية.

لا نتحدث هنا عن عوامل إكراهات مادية بسيطة أو عوامل قاهرة موضوعيًا، ذلك أن مدارك المؤلف أو الكاتب أو الراوي ربما اقتضت القيام بـ «توليف» لغوي باعتباره شكلًا من الالتزام الذاتي من جهة والموضوعي من جهة أخرى.

يزيد الشعور بالتهديد اللغوي مع تزايد احتكاك الكرد بالعالم، ذلك أن

---

(6) جان دوست، الدر الثمين في شرح مم وزين (أربيل: دار سبيريز للنشر، 2006)، ص 41.

الفرص القليلة أو الحديثة نسبيًا للعمل على تأطير اللغة/ اللغات وتقنينها وتنظيمها زادت في إدراكهم طبيعة «الضعف» و«التهديد» اللغويين. وأخذ العامل الذاتي يبرز أكثر في تحليل ضعف أو وهن التطور اللغوي، وثمة شعور متزايد بأن السياسة الكردية لم تَجتهد كفايةً في معالجة هذا الوضع. وربما لم ينل الموضوع الثقافي واللغوي اهتمامًا كبيرًا في سياسات الإقليم الكردي في شمال العراق مثلًا، وقد يكون احتل موقعًا أقل في سُلَّم أولويات حكومة الإقليم.

تتحدث صحفية كردية عن العديد من المعوّقات في الكتابة والنشر والقراءة وغيرها، لعل أبرزها مسألة الطباعة والتوزيع وتدخُّل السلطات في هذا المجال، وثمة «مشكلة أخرى جذرية تختص بها كردستان واللغة الكردية بالذات دون اللغات هي تعدد اللهجات وعدم وجود لغة كردية فصحى موحدة تعتمدها هذه الكتب والمؤلفات، إذ إن اللغة الكردية متعددة اللهجات بحسب المنطقة والتبعية. وهذا ما لمسته أيضًا من خلال حديثي مع أدباء وشعراء كرد تطرقوا إلى نفس المشكلة...»(7).

قد يكون من المناسب هنا التركيز على دور الأحزاب والجمعيات السياسية وغيرها، لأنها تستعيد أحيانًا السياسات الدولتية القائمة، خصوصًا لجهة تأسيس منابر ثقافية وإعلامية خاصة بها أو مقربة منها، أو تأطير عمل المؤسسات القائمة وإلزامها (وثمة وسائل تأثير كثيرة) بنهج سياسة معينة في التعاطي مع قضايا الثقافة والشأن العام.

يبدو أن الأمر يتعلق بجذر الرؤية الرسمية الرئيس للشأن الثقافي واللغوي، إذ تعدّه السلطات غالبًا مسألة «أمن قومي» فـ «تضع اليد» عليه. ومن ثم فإن السلطات ربما تتوجس من وجود نشاط ثقافي وجهد لغوي «مستقل» عن إرادتها وتوجيهاتها السياسية. ويذكر مدير إحدى دور النشر في الإقليم الكردي

(7) سهام البابلي، «دور النشر في كردستان: غلال وافرة وترجمات قلقة،» الصباح الجديد (بغداد)، 6/ 10/ 2008، ص 8.

- شـمال العراق أن بعـض الإصـدارات وأكثرها باللغـة(ات) الكرديـة يتراجع بسـبب الفقر وتدني مسـتوى المعيشـة ومن ثم العجز عن متابعة الشـأن الثقافي واللغوي، وضعف التمويل الرسمي، و«الضغوط السياسية من القيادات الكردية إلى حد توقفنا عن إصدار المجلة (...) ولا نسـتطيع اسـتئناف إصدارها مجددًا لأن الوضع لم يتغير على الصعيد السياسي، بل العكس، إن الوضع أصبح أسوأ مما كان»[8]. وإذا كان وضع الثقافة ذا شـجون، ويصعب على الشـريحة المثقفة أن تكـون راضية تمامًا عـن طبيعة العمل السياسـي، فـإن ثمة أوضاعًـا تؤكد ما ذهبت إليه الأفكار السـابقة بصدد الوضع اللغوي والتعليمـي. ونحن نركز على الإقليم الكردي - شـمال العـراق، لأنه المجـال الرئيس الذي أمكـن للكرد أن يمارسـوا فيه سياسـاتهم اليومية ومباشـرة قضايا الشـأن العام بعيـدًا من الضغط المباشر لدول المجال الكردي في المنطقة.

«فـي إقليم كردسـتان العـراق الذي خـرج عن سـيطرة النظام السـابق منذ عـام 1991 يجري التعليـم الآن بأربع لغات هـي: الكردية والعربية والسـريانية والإنكليزيـة، وبلهجتيـن كرديتيـن همـا اللهجـة الشـمالية (باديانيـة) والجنوبية (سـورانية). هـذا التنوّع فـي اللغـات، أشـاع ردود فعل متباينـة بيـن التربويين، وأوجد بعض التشتت وعدم التركيز لدى التلاميذ الصغار الذين يشكون صعوبة الاستيعاب في ظل هذا التنوع اللغوي»[9].

يقول أحـد المسـؤولين التربويين إن لدى السـلطات أهدافًـا «إدماجية» أو توحيديـة» على الصعيـد الكردي لجهـة اللغة والتعليـم، و«لـوزارة التربية خطة تعتمد على تطعيم اللهجة السورانية بالباديانية والعكس بالعكس كي تتوحد لغة كردستان»[10].

(8) بدران أحمد حبيب، مدير دار ئاراس للنشر، في: المصدر نفسه، ص 8.

(9) لينا سـياوش، «لغـات ولهجـات التدريس في كردسـتان،» الحيـاة (بيـروت)، 9/ 1/ 2008. وهناك مدارس تدرس باللغة التركية. انظر: لينا سياوش، «التعدد لغوي في كردستان والتعددية السياسية،» الحياة، 21/ 9/ 2006.

(10) ذكر في: سياوش، «لغات ولهجات التدريس».

قد تكون سياسة التعليم بلغات متعددة نتيجة توازنات سياسية - اجتماعية معينة، ونتيجة نوع من «التسوية» لمشكلات لغوية وثقافية وقَبَلية وجهوية، جزءًا مكونًا من الإقليم الكردي، لا يمكن تجاهله، لكنه قد يربك النظام التعليمي الذي يجب أن يكون - من منظور البعض - عامًا و«توحيديًا» بالمعنى القومي، وربما أدى إلى نتائج تعاكس ما تريده السلطات التربوية والسياسية. والواقع أن تَوَلِّي الكرد أمر السياسات اللغوية منذ عام 1990، لكن بصورة أعمق منذ عام 2003، قد لا يكون من المدد والآجال الزمنية الكافية للتعاطي مع واقع إثني ولغوي معقد إلى درجة يصعب معها تخطيط سياسات «إحيائية» وتوحيدية» فاعلة وتنفيذها.

2 - الخوف والاستهداف

لدى الكرد شعور عميق بأنهم مستهدفون، ويكابدون واقعًا ماديًا ومعنويًا صعبًا، وعندما تحتدم الأمور وتصل إلى حد الاقتتال والحروب بالمعنى المادي المباشر، يكررون المقولة أو الاستعارة الشهيرة والأثيرة لديهم «لا أصدقاء سوى الجبال» التي تُعبّر عن ظاهرة سيكولوجية وربما إيكو - سياسية، وهي من لوازم تحليل الظاهرة الكردية، كما تساعد في تحليل المدارك وربما السلوكيات السياسية والثقافية للكرد في عالم اليوم[11].

غير أن طبيعة التفاعلات بين الكرد ودول «المجال الكردي» وشعوبها توحي بأن المدارك والصور النمطية في السرديات الشفوية والكتابية عن الآخر، هي جزء من محددات الوعي والإدراك أكثر منها محددات مباشرة لتفاعلاتهم معه، إذ إن السياسة الكردية لا تعكس تلك المدارك والصور السلبية والمتوترة في الثقافة الكردية عن الآخر. وهذا من الأمور «الملتبسة» في الوعي والفعل السياسي لديهم. وهو ما يتطلّب المزيد من التقصي والتدقيق.

---

(11) يتناول الكاتب بعض جوانب ما يسميه «إيكولوجيا السياسة» لدى الكرد في دراسة أخرى.

يكتب صحافي وأديب كردي عن «الشكوى الأبدية من إجحاف لازَمَ المصير منذ البدء. إجحاف المكان وإجحاف ساكني المكان. ... (و) الحال أن الثقافات التي تحيط بالثقافة الكردية من جهاتها تنكر عليها الحق في أن تحيا وتستقل بحالها»[12]. ويقول: إن «الثقافة الكردية شخص غير مرغوب به في هذه الأرجاء. وقد يكون هذا ما جعلها مهووسة بالضراوة ومحكومة بالخشونة تفوح منها رائحة الدم والبارود»[13]. لكن ذلك لا ينعكس بالتمام في التفاعلات القائمة بين الكرد والشعوب الأخرى في دول «المجال الكردي».

ثانيًا: أبعاد التهديد

يرى الكرد أن التهديد اللغوي هو جزء من تهديد يطال وجودهم بالمعنى الثقافي والسياسي، ويتدرّج بين الحلول الكلي للغات أخرى محل اللغة والثقافة الكرديتين. ويدور الكلام على: «الحلول الكلي»، و«الحلول الجزئي»، و«الحلول الأداتي»، و«الحلول القيمي» و«الثقافي».

1 - الحلول الكلي

هو أكبر عوامل التهديد للغة التي يمكن أن «تزول» من الوجود باعتبارها لغةً إثنية لها حامل اجتماعي أو كتلة اجتماعية ذات وزن وتأثير سياسيين. ويحدث أن تبقى اللغة في هذه الحالة، لكن من دون قابلية للتنشيط السياسي والتفعيل على المستوى الكردي ككل[14].

(12) نزار آغري، «تمزق الثقافة الكردية يتواصل على خريطة عربية - فارسية - تركية،» الحياة، 2007/12/11.

(13) المصدر نفسه.

(14) يعدّ تقريرٌ للمجموعة الدولية لحقوق الأقليات الكردَ جماعة لغوية مهددة، ويتعرضون للتمييز ضدهم في الدول التي تستهدفهم بالاحتواء اللغوي والسياسي، كما أنهم يعانون أشكالًا من التخلف الاجتماعي والثقافي التي تنعكس على مستويات التعليم العام والتعليم بالكردية، انظر: Preti Taneja, ed., *State of the World's Minorities and Indigenous Peoples 2009: Events of 2008* (London: Minority Rights Group, 2009).

ثمة عوامل عدة تشكل تهديدًا لعدد كبير من اللغات في العالم. وحدث في التاريخ أن تحوّلت قوميات عدة، بضغط من الواقع أو المصالح الذاتية والبيئة الموضوعية إلى لغات أخرى، سواء أكان التحوّل كليًا، كما حدث - مثلًا - في أميركا اللاتينية، عندما اعتمدت شعوبها اللغات الإسبانية والبرتغالية، أم جزئيًا كما في الهند التي اختارت الإنكليزية لغة وسيطة ورسمية لشعوب تتحدث عشرات بل مئات اللغات.

يرى الكرد أنهم تعرضوا لـ «استعمار لغوي» في دول «المجال الكردي»، والواقع أن مجرد «عدم الاعتراف» باللغة/ اللغات الكردية أو حق الكرد بأن تكون لهم هوية لغوية، يُعد - من منظورهم - نوعًا من «الاستعمار» حتى لو أن كثيرين منهم اعتمدوا باختيارهم أو للضرورة الحياتية المحض لغات أخرى. ويتحدث إسماعيل بيشكجي عن موضوع اللغة والهوية اللغوية للكرد في تركيا، ويقول: «إن الكرد في تركيا يستطيعون التمتع بحقوقهم الإنسانية بمقدار ما يتبرؤون من جوهرهم الخاص وانتمائهم القومي، وهذا يتناقض مع جوهر حقوق الإنسان ... تمارس الكمالية جهودًا كبيرة للقضاء على الثقافة واللغة الكرديتين، ولأجل ضمان مساهمة الكرد في النشاطات الثقافية تضع الكمالية شرط التنكر لانتمائهم القومي، وللغتهم وثقافتهم الخاصة، وهذا منهج عنصري وكولونيالي. إنها إمبريالية ثقافية»[15].

إذا كان حال الجماعة الكردية في العراق أكثر استقرارًا منذ أوائل تسعينيات القرن العشرين، فإن حال الجماعة الكردية في إيران لا يبدو مستقرًا، بل إن ثمة استمرارية لسياسات الاحتواء اللغوي في التعليم والإعلام والنشر وغيرها، وذلك في إطار سياسات الإدماج القومي تحت عنوان «التفريس»[16]، أو

(15) انظر النص التالي إسماعيل بيشكجي وهو تقرير أرسله كاتبه إلى اليونسكو ردًا على احتفالية المنظمة المذكورة بمصطفى كمال أتاتورك. انظر: إسماعيل بيشكجي، دفاعًا عن الأمة الكردية المستبعدة: رسالة إلى اليونسكو ([د. م.]: مركز عامودا للثقافة الكردية، 2003)، ص 37.

(16) انظر مثلًا: Taneja, ed., p. 205.

«الأسلمة». وينطبق شيء من ذلك على وضع الكرد في سورية الذين يتعرّضون لسياسات مشابهة من حيث النوع، لكنها مختلفة من حيث الدرجة. هكذا فإن التطور اللغوي لم يشهد تقدّمًا مهمًا بما يؤسس للهوية الكردية الكبرى[17]. وحدث أن «تحول» كثيرون من الكرد عن لغاتهم إلى العربية أو التركية أو الفارسية أو الأرمنية، لكن بقي لدى أغلبية هؤلاء أيضًا انتماؤهم ووعيهم بـ «كرديتهم».

2 - الحلول الجزئي

الحلول الكلي هو من الحالات النادرة الحدوث، وقد لا يترافق مع تحوّل في الهوية، غير أن الحالات الأكثر انتشارًا هي الحلول الجزئي، وهنا يمكن أن تنجح السياسات القصدية للدول في تهيئة الظروف للتأثير اللغوي في الجماعة الكردية بحيث تتوسل الأخيرة لغات الآخر (مثل لغة ثانية مثلًا، وربما لغة أولى) في التواصل الاجتماعي والحياة العامة والعمل الثقافي، ولا يكون ذلك الحلول مدفوعًا دومًا بسياسات قصدية أو كيدية، وقد يحدث أن يميل أبناء الجماعة اللغوية إلى استخدام لغة أخرى في تفاعلاتهم البينية ومع الآخر[18]. وهذا النمط من السلوك اللغوي المتمثل بـ «التخلي» عن اللغة الأم أو اعتماد ثنائية لغوية هو مما يحدث طبيعيًا ومثاقفةً، ومن ثم لا نستطيع إعادته دومًا إلى تأثير سياسات قصدية.

أدت التطورات السياسية بخصوص اللغة في كردستان تركيا إلى توسيع

---

(17) كانت البداية الجدية الأولى لتعليم اللغة الكردية خلال الفترة القصيرة جدًا لجمهورية مهاباد (أقل من عام 1945/ 1946) معتمدة على الكتب المدرسية «المستوردة» من الإقليم الكردي - شمال العراق. وشهد الوضع اللغوي تغيرات عديدة كان أبرزها خلال الجمهورية الإسلامية. انظر مثلًا: Amir Hassanpour, «Kurdish Language Policy of Iran,» (Kurdish Academy of Language, 8/5/2008), on the Web: <www.kurdishacademy.org/?q=node/6>.

(18) ستيفان وورم، «أي مستقبل للغات الأقلية واللغات المهددة،» في: جيروم بيندي، محرر، مفاتيح القرن الحادي والعشرين، تقديم كويشيرو ماتسورا؛ تعريب حمادي الساحلي، عبد الرزاق الحليوي وسعاد التريكي، سلسلة الترجمات الكبرى؛ الكتاب 7 (تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، 2003)، ص 295.

الخيار في توسل اللغة الأصلية واللغة الثانية بالنسبة إلى الجميع[19]. وهكذا أظهرت نتائج استطلاع للرأي أجراه أحد مراكز البحوث والدراسات في تركيا أن 79 في المئة من الكرد يستخدمون اللغة التركية في المنزل والحياة الخاصة، و3.8 في المئة منهم يستخدمون اللغة العربية، و3.2 في المئة يستخدمون اللغة الزازائية؛ في حين أن 20.7 في المئة من الأتراك يستخدمون الكردية، و3.2 في المئة يستخدمون العربية، و1.9 في المئة يستخدمون الزازائية. وهذا يتطلب المزيد من التقصي والتدقيق.

الجدول (5-1)

استخدام اللغة الثانية (في المنزل) - جنوب شرق تركيا

استخدام اللغة الثانية في جنوب شرق تركيا					
اللغة الأصلية	لا يستخدمون اللغة الثانية في المنزل	الكردية	الزازائية	العربية	التركية
الكردية	19.1	-	3.2	3.8	79
الزازائية	7.6	25.4	-	1.1	86.2
العربية	10.6	29.1	0.5	-	84
التركية	72.3	20.7	1.9	3.2	-

المصدر: Salih Akyürek, «What Are Kurds and Zazas Thinking About?: A Look to the Shared Values and Symbols,» (Report; no. 26, Bilge Adamlar Stratejik Araştırmalar Merkezi, Istanbul, January 2011), p. 5.

نحن لا نتحدث عن كون الجماعة ككل ثنائية اللغة، فثنائية اللغة في هذه الحالات ليست تخليًا لغويًا، كما أن أحادية اللغة، على عكس المزاعم الأيديولوجية الشائعة، ليست هي السائدة، والواقع أن 50 في المئة من اللغات الموجودة على الأرض يتكلمها أناس ثنائيو أو متعددو اللسان. ففي كليدونيا

(19) Salih Akyürek, «What Are Kurds and Zazas Thinking About?: A Look to the Shared Values and Symbols,» (Report; no. 26, Bilge Adamlar Stratejik Araştırmalar Merkezi, Istanbul, January 2011).

الجديدة، وغينيا الجديدة، والفيليبين والهند، وسويسرا وأوزبكستان وآسيا الوسطى، على سبيل المثال لا الحصر، السكان متعددو اللغات[20].

3 - الحلول الأداتي

هو شكل مخفف نسبيًا من التهديد اللغوي، يحدث بين اللغات ضعيفة الانتشار أو ضعيفة الحامل الاجتماعي، ويحدث أن تحل محلها اللغات القوية خصوصًا في عالم السياسة والأعمال والاقتصاد وأحيانًا الثقافة. والتخلي (أو الحلول) الأداتي هو مما تواجهه لغات كثيرة، ولا سيما في العالم النامي. ويستخدم الكرد اللغات العربية والتركية والفارسية وغيرها في العمل العام والاقتصاد والثقافة، أو في أحد الجوانب المهنية، فيما تبقى «اللغة الأم» هي لغة التواصل والتفاعل الاجتماعيين. ويعدّ كثيرون من الكرد أن توسل لغات غير كردية هو من نوع «الحلول» الأداتي، ويعطون القوامة للغة الكردية. وقد يتأسس ذلك على اعتبارات عاطفية ونفسية وتربوية، أكثر منه اعتبارات لغوية.

4 - الحلول الثقافي

قد يكون الحلول الثقافي جزءًا من الحلول الأداتي مثلًا، إلا أنه قد يتجاوزه لجهة رغبة الكردي في أن يستخدم لغة أخرى أو اضطراره إليها في مجالات العمل الإبداعي والثقافي، أو الاتصال الإعلامي أو تسويق نفسه أو إنتاجه أو أفكاره. وهو يشترك هنا مع الاستخدام الأداتي وربما الأشكال السابقة، لجهة أن البيئة الموضوعية والإجهاد اللغوي الذاتي (الفردي والجماعي) يتطلّبان استخدام لغة الآخر التي ربما كانت محل استنكار أو تحفظ سياسي وإثني. ويتساءل كاتب وأديب كردي: «ألهذا فضّل المبدعون من الكرد أن ينأوا بأنفسهم عن ساحة الدار؟ أن يكتبوا بلغة غير الكردية ويتنفسوا هواء الكتابة في باحات أخرى؟ أمن ذلك كتب ياشار كمال بالتركية وعلي أشرف درويشيان بالفارسية وسليم بركات بالعربية؟»[21].

---

(20) وورم، ص 296.

(21) آغري، «تمزق الثقافة الكردية».

تشكل اللغات غير الكردية في المنطقة وسيلة «إلزامية» تقريبًا لا بد للجماعة الثقافية والسياسية الكردية من استخدامها حتى في الترويج والتسويق السياسيين وبناء فكرة الأمة نفسها. وتُعد اللغة التركية والمؤسسات مثل المدارس ووسائل الاتصال والخدمة العامة أهم وسائل الاتصال والبناء الثقافي والوعي السياسي للحركة الكردية في تركيا، ذلك أن اللغة التركية هي اللغة الرسمية أو شبه الرسمية لـ «حزب العمال الكردستاني» مثلًا، لأسباب موضوعية، منها أن الجماعة الكردية في تركيا متعددة اللهجات واللغات، الأمر الذي يتطلب استخدام التركية «لغة وسيطة» بين أكراد تركيا أنفسهم، وبينهم وبين الأتراك وغيرهم. وهذا ينطبق بكيفية أو أخرى على المنظمات الكردية في الدول الأخرى.

5 - الحلول الرمزي

هو وثيق الصلة بالمعنى السابق، لكنه يرتبط بالبعد المعنوي والتكوين الثقافي والهوية للجماعة الإثنية أو حتى للأفراد. وعندما تتفوق ثقافة على أخرى (أو سياسة على أخرى) فإن ذلك يطال نسبيًا الجوانب الأخرى، ومنها أنماط العيش والاستهلاك واللغة. والواقع أن الحلول الرمزي ربما يكون أساس التحول اللغوي، وقد يكون الأدب والفن الكرديان باللغات غير الكردية شكلًا من أشكال الاستمرارية التاريخية للتفاوت الرمزي بين الأكراد وجيرانهم. فاللغات تتهدد طبيعيًا عندما تعيش الجماعة اللغوية أوضاعًا اقتصادية وثقافية «غير متكافئة» مع جماعة لغوية أخرى. هكذا فإن التعايش بين لغتين أو أكثر يمكن أن يهدد اللغة أو اللغات ذات الوضع الاجتماعي الأقل قوة وحضورًا اقتصاديًا وثقافيًا.

هذا جانب من جوانب الإجهاد أو الضعف اللغوي، أما الجوانب الأخرى أو التهديد المحكوم بعوامل «قصدية» أو «غير طبيعية» فمنها مثلًا الوضع السياسي والدولتي المُهَدِّد بصورة مباشرة أو غير مباشرة اللغات غير الرسمية أو التي لا تعترف بها السلطات. وهذا يُعد، من وجهة نظر الأكراد، أحد أهم

المصـادر أو العوامـل الموضوعيـة للتهديـد اللغوي. أمـا المصـادر أو العوامل الذاتية فكثيرة هي الأخرى، وتخص اختلاف اللهجات والسياسات اللغوية لدى الجماعة الكردية.

هذا يذكِّـر بالكلام عن اللغة الفصحى في فرنسـا القرن الثامن عشـر، حين كانت لغة البلاط والتجارة والأدب. وفي عام 1789 كان نحو 50 في المئة من الفرنسـيين يتكلمون الفرنسـية، و12 – 13 في المئة فقط من هـؤلاء الـ 50 في المئة يتكلمونها بشكل صحيح، أما الباقون فكانوا يتكلمون لهجة عامية مختلفة. وكذلـك الحال فـي إيطاليـا، ففـي عـام 1860 كان حوالـى 2.5 فـي المئة من السـكان يسـتخدمون الإيطالية للأغراض اليومية، وحتى ضمن هؤلاء كان عدد قليـل من القـادة الوطنيين «يتقـن» اللغة «الوطنيـة»[22]. وعلى الرغم من انتشـار اللغة الفرنسـية خارج فرنسـا، إلا أنها لم تكن أبدًا «لغة الحياة العامة» ولا تعبيرًا عن «قوة» المجتمع والتواصل الإنساني. وقد يكون «من التفاؤل بمكان افتراض عالميتها فـي وقت لم تكن فيـه لغةَ الأكثرية في فرنسـا نفسـها»[23]. وهنا يمكن العودة إلى تقرير قدّمه الأب غريغوار أمام الجمعية التأسيسـية في فرنسـا (أيار/مايـو 1794) يقول: «يمكن أن نؤكد دون مبالغة أن سـتة ملايين على الأقل من الفرنسـيين، ولا سـيما في الأرياف، لا يعرفـون لغتهم الوطنيـة، وأن عدد الذين يحسنونها في نهاية المطاف كتابة صحيحة أقل من ذلك أيضًا»[24].

هذا قليل جـدًا ليس للغة «عالمية» بل للغة «وطنيـة» أو «فصحى»، على ما يُزعم للغات في زمن الدولة الوطنية. وليس هدفنا من الكلام عن اللغة الفرنسية فـي القرن الثامن عشـر التحول عن موضوعنـا في ما يخص اللغــة الكردية، بل

---

(22) Eric J. Hobsbawm, *Nations and Nationalism since 1780: Programme, Myth, Reality*, Wiles Lectures (Cambridge, [England]; New York: Cambridge University Press, 1990), pp. 60-61.

وانظـر الترجمـة العربية: إريك ج. هوبسـباوم، الأمـم والنزعـة القومية منـذ 1780، ترجمة عدنان حسـن؛ مراجعة وتحرير مجيد الراضي (دمشق: دار المدى، 1999).

(23) لويس جان كالفي، حرب اللغات والسـياسـات اللغوية، ترجمة حسـن حمزة؛ مراجعة سلام بزي حمزة (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2008)، ص 113.

(24) المصدر نفسه، ص 114.

الإشـارة إلى أن ما يسمى التكوين اللغوي الرسمي أو الكتابي أو اللغة الفصحى ليـس هو علة الوجـود الإثني أو القومي، وربما ليس شـرطًا (أو قـدرًا) بالمعنى الذي يشار إليه في الدراسات الإثنية والقومية.

ثالثًا: جهات التهديد

لعـل عوامـل التهديـد اللغـوي ومخـاوف الهويـة ترتبـط بالمعنـى العميق للسياسـة في المنطقة، مـن جهة العلاقة بالثقافـة والتكوينات الإثنيـة، ومن جهة توسـل القوة والعنف المادي والرمزي، تجاه ما يُعتبـر تهديدًا. وهذا ينطبق على حال الكرد، خصوصًا في ما يتعلق باللغة، إذ تشـكل الأخيرة ساحة من ساحات المواجهة الرمزيـة والمادية على امتداد المنطقـة، وإن بدرجات متفاوتة، واقترن ذلك أحيانًا بعقوبات لردع مسـتخدمي لغات غير مُعتَرَف بها أو غير مُصرَّح بها، وثمة من يعدّ توسـل لغـة أخرى بمنزلة فعـل خيانة لـ «الأمـة». واعتبر الكرد أن وضعهم اللغوي هو نتيجة مركبة للوضع السياسي في المنطقة والعالم، مثلما أن السياسـات التي تتبعهـا دول المجال الكردي تعتبر الكرد مصـدر تهديد محتمل أو وشـيك لزعـم أو أيديولوجيا البنـاء اللغوي القومـي. يقول الكاتـب الكردي الإيراني أمير حسـنبور: «بقـي علماء اللغويات ودارسـو اللغـة الكردية صامتين تجاه القتل المتعمد لـ «موضوع» أبحاثهم من سـلطات عدد من الدول في تركيا وإيران وسـورية. وإن سياسـة الإبادة اللغوية (Linguicide) المشرعنة في الدساتير والقوانيـن لم تنكر حقوق الأكراد اللغوية فحسـب، وإنما انتهكت حرية تعليمها أكاديميًـا في كل مـكان ... (و) ليس مـن الصعب رؤية أن هذا الصمت يسـمح لآليات الإبادة اللغوية أن تشتغل بحرية في حقولها القاتلة»[25].

1 - «الاستعمار» اللغوي

يعتبر الكرد أن السياسات الدولتية القائمة تسـعى إلى احتواء اللغة الكردية

---

(25) Amir Hassanpour, «The Politics of A-Political Linguistics: Linguists and Linguicide,» (Kurdish Academy of Language), on the Web: <http://www.kurdishacademy.org/?q=node/180> (Accessed 12/2/2013).

من أجل إعـادة تكوين الهوية الكرديـة أو إجراء تغييرات علـى مضامينها الإثنية والسياسـية وتحويلهـا – ما أمكن – إلـى تنويع أنثروبولوجـي وفولكلوري على هامش اللغـات والهويـات السـائدة أو المعتـرف بها رسـميًا. واعتبـر الكرد أن التدخل في اللغة الكردية هو شـكل من أشـكال «الاسـتعمار» ضد أعمق وأدق دواخل الجماعة الكردية.

تركـز السياسـات القائمـة على «تجفيـف» مصـادر الحيوية والإمـداد للغة المسـتهدفة، من خلال منـع اسـتخدامها والتفكير فيهـا أو التضييـق على ذلك، وحصره في أضيـق الحدود، وهـذا ما يجعلهـا ضعيفة. وقد تصبـح أقل جاذبية للمرء، وتتحول تدريجًا إلى «عبء»، فضلًا عن كونها « مصدرًا للعقاب».

إن الضغط اللغوي والسياسـي على الهوية الكردية مبعـث قلق كبير للكرد والمهتميـن بالتنـوع والتعـدد الثقافي فـي المنطقة. وينـزع الكرد علـى أي حال إلـى تأكيد الهويـة اللغوية باسـتخدام لغـة محلية أو باسـتخدام لغة أخـرى (لغة ناقلة أو وسـيطة)، ويتعزز إصرارهم على تسـمية المواليد والمحلات والشوارع والسـاحات بمسـميات كرديـة، وهو نـوع من التأكيـد الرمـزي والثقافـي لهوية يشـعرون أنها مهددة. وهو نوع من الإصرار على دلالاتها الإثنية – السياسية في «المواجهة» أو «المقاومة» الرمزية لسياسـات الهويـة التي تتّبعها الدول أو النظم القائمة.

2 – الأصولي – الحداثي

ثمـة شـكل أو مسـتوى آخـر يتمثـل بتهديـد المخـزون اللغـوي للجماعة الكردية، وإحلال أنماط أو مفردات ليسـت من أصل التجربة والمعيشة والهوية الكردية. ويبدو أن هذا التهديد لا يخص الكرد فحسب، بل هو ظاهرة عالمية، إذ تشهد اللغات والثقافات صراعًا بين التراث والحداثة، بين الأصالة والمعاصرة، على جري العادة أو دارج الخطاب في الثقافة العربية مثلًا.

إن الكلام عن التهديد الأصولي – الحداثي، هو من الأمور الإشـكالية في المجال الكردي، ذلك أن معنى «الأصولي» في اللغة(ات) أو اللهجات الكردية

غير محدد، وهـو أحيانًا غير مبرر كثيرًا لجهة التباس الكلام عن «أصول لغوية»، أو بالأحرى «حالة أصوليـة» في اللغة، طالما أن الكرديـة الفصحى و«المقوننة» غير موجودة بصورة مسـتقرة أو غيـر معترف بها، ومن ثم فـإن الكلام أيضًا عن «الحداثي» في اللغة هو الآخر غير محدد، وأحيانًا غير مبرر، للسبب نفسه، وهو التباس الكلام عن تأثيرات حداثية تقع علـى الجانب اللغوي والأداتي من اللغة أو اللهجات الكردية.

هنا تعاني اللغة/ اللغات الكردية سـوء الاستخدام، بمعنى الانقطاع النسبي (الكبيـر أحيانًا) بين مسـتوى الكتابة ومسـتوى الكلام، أو لنقل مسـتوى الحفظ والتدويـن والقوننـة وجمـع المفـردات، وبيـن الاسـتخدام فـي الحيـاة اليوميـة والمعيشـة والفنون، الأمر الذي يعنـي «انفلات» اللغة مـن أي تقويم معياري أو ضوابط قاموسية أو نحوية حازمة.

إن من مصادر التهديد علـى هذا الصعيد «تجميد» التكوين اللغوي وتثبيت الـدلالات أو الحفاظ علـى «اللغة» بالحـد الأدنى، أي الحفاظ علـى المفردات اللغوية والتعابير اللهجوية، مخافـة التغيير في اللغة أو دخول مفردات من لغات أخـرى، وهو تهديـد يقارب إلى درجـة كبيرة دخـول تغييرات وتطـورات لغوية نتيجة التطور الطبيعي أو القسري.

ثمة وجه آخر للتهديد يتمثل بظاهرة «الفقد اللغوي» بتأثير عاملين رئيسين، الأول هـو التطور «الجيلـي» للحامل الاجتماعي، والثاني هو جدلية الشـفوي - الكتابي بمعنى أن الأجيال المتقدمة في السن هي التي تملك المخزون الشفوي لغويًـا وثقافيًـا، ويفترض أنها أقـل تأثرًا بالحداثـة والتداخل اللغـوي مع الآخر، وهي تشهد تناقصًا بسبب من التناقص البيولوجي والعمري لحاملها الاجتماعي.

أ - الحامل الاجتماعي

يشـكل ذلـك تهديدًا كبيـرًا للغـة «الأصلية» التي تُسـتخدم بالأسـاس على نطاق محدود: المنزل والقرية والحي ودائرة النشاط الديني (الشعبي) والطقوس الجماعية (الموسمية أو الطارئة) وبيئة العمل غير الرسمية، وإذا أخذنا بالاعتبار

أن الفئة العمرية الشابة هي الغالبة بين الشرائح الكردية في مجتمعات المنطقة نفهم دلالة هذا التهديد الماثل أمام المخزون الثقافي واللغوي/ الشفوي لدى الكرد أو أمام طبيعته «الكردية». وتذكر إحدى الدراسات عن اللغات المهددة أن ثمة «منحنيات للتدني لاستخدام اللغة المتحولة وفقدانها»، وأن تناقص الحامل الاجتماعي للغة وانحدار الأداء الجيلي أو الاستخدام اليومي ربما تقلل كلها من كفاءة اللغة وتُضعف ثقة «أهلها» بها، الأمر الذي قد يدفعهم إلى توسل لغة أو لغات أخرى[26].

لكن التهديد ربما يطال اللغات التي تستخدمها جماعة صغيرة أو اللغات قليلة الاستخدام، فيما حال الكرد مختلف من حيث الدرجة والنوع، ذلك أن الجماعة الكردية ليست من جماعات «الأقلية» سكانيًا وثقافيًا وتاريخيًا، حتى لو درج توصيفها كذلك. كما أن مبرر كلامنا عن تهديد لا يتصل بالكتلة العددية وإنما بمعايير أخرى مثل: كفاءة الاستخدام اللغوي مقارنة باللغات الأخرى، ووجود لغة معيارية مكتملة من حيث التكوين والبنية، والعلاقة بين اللغة المستخدمة وما يُعد لغة أصلية أو فصحى. وإذا أكملنا ما ذكرناه سابقًا عن التطور الجيلي من المهم الإشارة إلى ما يلي[27]:

- الناطقون باللغة من كبار السن الفصحاء، وذوي المهارة والاقتدار اللغوي.

- الناطقون باللغة الأصغر سنًا الفصحاء اللسان، وهم الناطقون باللغة الذين يشذّون نسبيًا عن قواعد ومعايير الناطقين باللغة الفصحاء من ذوي السن الأكبر.

- أشباه (أو أنصاف) الناطقين باللغة، وهم ناطقون بلغة ذات شكل متحول يختلف بكيفية أو أخرى عن أشكال اللغة القديمة.

---

(26) انظر وقارن: Annette Schmidt, *The Loss of Australia's Aboriginal Language Heritage*, Institute Report Series (Canberra: Aboriginal Studies Press, 1990), pp. 20-21.

(27) انظر وقارن: ماتياس برنزينجر، «لغات الأقلية تراث ثقافي»، ديوجين، العدد 161 (1997)، ص 9-8.

- أشباه ناطقين باللغة وهم على درجة كبيرة من الضعف.

- أشخاص فاقدون معرفة عملية بـ «اللغة الأم»، لكنهم غير منقطعي الصلة بها، وجدانيًا على الأقل.

لا بد من الإشارة إلى أن ملاحظاتنا عن التطور الجيلي للغة الكردية لم تتأسس على دراسات ميدانية وأنثروبولوجية، ففي ذلك مشقة تصل إلى درجة الاستحالة، لكنها تعتمد على تأملٍ وتقصٍ معمق للظاهرة الكردية التي تتطلب مقاربات من منظار البحث اللغوي وعِلم اللغة الاجتماعي والأنثروبولوجيا وغير ذلك.

ب - الشفوي - الكتابي

ينطبق ذلك على وجه آخر للتهديد هو جدلية الشفوي - الكتابي، إذ كيف يكون التحول من الشفوية إلى الكتابية، وأي شفوية أو عامية هي القابلة لذلك التحول، وكيف تنظر الكتابية المفترضة إلى الشفويات الراهنة، وإذا كان ثمة صعوبات على هذا الصعيد، فما هي ديناميات التعاطي الكردي معها، وما هو تأثيرها في المجتمع والثقافة الكرديين؟

عندما يشعر الكردي أن لغته مُهددة ومُحاصرة يتمسك بها من دون تركيز كبير على تقنياتها وقواعدها، ومن ثم تميل اللغة بحكم الاستخدام اليومي إلى البعد الشفوي والاتصالي اليومي الذي يتعزز، فينعكس هذا على مستوى اللغة نفسه، ويُعيق التحوّل الكتابي ويؤثر في الثقافة الكردية عمومًا. إنه يتداخل ويتماهى مع هويته وجماعته الإثنية واللغوية، وهذا ما يجعله يكابد نوعًا من الألم المستدام، وربما الفصام بين التفرد والمهارة اللغوية والمدارك من جهة، والاندماج بالجماعة والهوية من جهة أخرى.

3 - تهديد اللهجات الكردية

يتصل ذلك بجملة اللهجات والتنويعات الكبيرة في المعطى اللغوي، ذلك أن التعدد المذكور مثلما يشكل مصدر غنى، يشكل مصدر تهديد، لأنه يربط

التطور اللغوي بالبناء الاجتماعي، ومن ثم فإن من الصعوبة التعاطي مع كل من التعدد اللهجي والتوحيد اللغوي إلا بخسارة أحدهما على حساب الآخر، والأمر القريب الحدوث هو قوامة اللهجات على أي اعتبار لغوي توحيدي آخر، أو ربما غلبة لهجتين أو أكثر بِعَدِّهَما لغات للكرد. يقول كاتب كردي: «إذا بقي الحال هكذا، فإن اللهجات الكردية الأربعة سوف تتحول إما إلى أربع لغات، أو إلى لغتين كرديتين: الكرمانجية والسورانية في أحسن الأحوال. أما اللهجات الأخرى فسوف تنقرض شيئًا فشيئًا ... والتاريخ يُبيّن لنا هذه القضية بجلاء، وذلك من خلال تجربة اللغات اللاتينية الخمسة في الوقت الحالي، والتي كانت في الأصل لهجات للغة واحدة... لو نظرنا إلى البنية النحوية للهجات الكردية، نلاحظ أن الاختلاف الموجود بين الزازاكية واللهجات الأخرى يصل إلى درجة الاستقلال الواضح بحيث يمكن أن نعد الزازاكية لغة مستقلة تنحدر عن الكردية. وعلى الرغم من أوجه التقارب والتوافق بين الكثير من العناصر اللغوية في اللهجتين الرئيسيتين، إلا أننا في نفس الوقت نواجه معضلة لغوية تتعلق بالاختلاف الصارخ بينهما»[(28)].

ويعبّر كاتب كردي آخر عن همومه اللغوية فيقول: «كلما التقيت كرديًا، كلما جرى لقاء ما، بيني وبين كردي، وصار حوار، وكانت اللغة هي الوسيلة، وكان الكردي فينا محكومًا بجهة ممزَّقة فيه، وكانت الحدود الداخلية: اللهجات الكردية مختومة بالقهر التابع لحدود اللغات: العلامات السائدة المميَّزة بعنفها، والقهر النابع من القهر الأكبر: قهر المتحكّم بالكردي: قيمةً ولغةً وثقافة... بعد جهد جهيد، أبصرت منتظري ... وجاء السلام في الإثر، جاءت اللغة. ظهر الكردي بنصف لسان في كل منا، وأنا أسلم عليه، وهو يرد على سلامي بسلام مماثل، إنما اللغة بدأ توازنها يختل.

لم يكن يجيد الكردية المطلوبة، على الأقل في ما هو ضروري، سألني

---

(28) برزو محمود، «التعدد اللهجوي وضرورة ايجاد اللغة الكردية المشتركة،» (موقع كلكامش للأبحاث والدراسات الكوردية، 12/ 10/ 2007): <http://www.gilgamish.org/viewarticle.php?id=language-20071101-5141> (Accessed 12/12/2012).

في ما [إن] كنت أعرف التركية: لقد حدد جهته الممزقة، نوع الكردي الممزَّق فيه، لخص الكثير مما يكونه الكردي في الجهة الشمالية من الوطن الممزَّق، لم أسأله فيما إذا كان يعرف العربية، وكأني أدخل معه بمقايضة، ربما لأنني أدركت سلفًا أنه يجهلها، سألته بالفرنسية مضطرًا: أتعرف الفرنسية، أجاب على الفور: نعم ... هنا تدخلت اللغات: البعيدة، لتقربنا من بعضنا بعضًا، يا للمفارقة!»[29].

إن غلبة اللغة اليومية أو اللهجة المحلية على اللغة الأكثر قوة وانتشارًا، هو أمر يرتبط بالتنشئة الاجتماعية والبيئة اللصيقة، وهو عامل مؤكد لنمط من التضامن الاجتماعي. هنا تشكل اللهجة دالة ارتباط وعامل انتماء بين أعضاء الجماعة الصغيرة أو الكبيرة، ومن ثم فإن غلبتها أو التمسك بها لا تكون بسبب صعوبة تعلّم لغة أخرى أو التكيف مع لغة أو لهجة أخرى فحسب، وإنما أيضًا بسبب معنى الانتماء والارتباط مع الجماعة الأصلية أو المحلية أو القبلية أو غيرها.

4 - تهديد الشتات

شكلت المَهَاجِرُ، خصوصًا خارج المنطقة، فضاءً للعيش والعمل والتفاعل بين الكرد و«العالم» في إطار من الحرية الثقافية والسياسية، في البعد اللغوي والهوياتي على نحو خاص، وبالأخص في توسل اللغة، لغـ(ا)تهم أو لغة الآخر، من دون ضغط أو اعتبارات سياسية. كما أن الشتات الاضطراري في البداية ثم الاختياري لاحقًا ربما أعطى الكرد فرصةً للتأمل في موضوع الهوية والتفاعل مع العالم، ورؤية حال الكرد «من بعيد»، والمقارنة مع «الآخر» الذي «أنجز» أهدافه القومية واللغوية والدولتية، بل «تجاوزها» بكيفية ربما تبعث على الاحباط من «أمل قومي» عز على الكرد تحقيقه في حين أن الآخر (الغرب مثلًا) حققه وهو بصدد «تجاوزه»، إن لم

(29) إبراهيم محمود، «مرايا اليقين الكردي: الكردي بنصف لسان،» (عفرين نت، 17/7/2006).

يكن قد تجاوزه فعلًا، في مسار بدأ قبل أن يتلمس الكرد (والعرب والترك، وغيرهم) هذه الطريق.

هنا يكون الشتات مصدرًا للتوتر في فهم «الذات»، ونحن هنا أمام مستويين أو نمطين عامين من «الشتات»، الأول في البيئة القريبة أو الجوار بهوياته ولغاته وسياساته متأثرًا بالغرب وربما متحالفًا معه أو تابعًا له، والثاني في البيئة البعيدة نسبيًا خصوصًا في الغرب بـ «تجاوزه» الحداثي وما بعد الحداثي للهوية واللغة والسياسة.

يشكل «الشتات» بهذا المعنى تحديًا لمعنى أو مفهوم الهوية، وهنا يبرز التساؤل عن معنى ولادة الكردي في ألمانيا مثلًا لأبوين كرديين (أو مختلفي الهوية القومية) ونشوئه وتطوره أو مواصلة عيشه في البلد نفسه، وعن تداعيات ذلك أو انعكاساته على الهوية؟ وهل إن وعي الكردي نفسه بهويته، لكن من دون لغة كردية، يجعله أقل كردية ممن تعلم اللغة أو اللهجة؟ فما إذًا هو الوزن النسبي لمكوّن اللغة في معنى كون المرء كرديًا؟

هذا يطرح إشكاليات عديدة على معنى الكردية، وقد يكون تحديًا للمفهوم التقليدي للقومية (أو الإثنية) والهوية التي كانت تعتبر العالم مقسّمًا بصورة قطعية تقريبًا إلى أمم وقوميات. وهكذا فإن تَعَلُّمَ المرء الكردية يُقَرِّبه من معنى الهوية الإثنية، لكن ذلك لا ينطبق على من تعلّم الكردية من غير الأكراد. وهنا يمكن النظر في معاني الأمة والقومية التي ارتبطت باللغة مثل الألمانية في ألمانيا النازية. وطال ذلك البوهيمية والنمساوية والبروسية وغيرها من اللغات التي عُدَّت من منظور النازية فروعًا من أصل اللغة الألمانية، ومن ثم شملها الخطابُ والهمُّ السياسيان لألمانيا النازية. وليس في ما نقول مقاربة سياسية وإنما معرفية، ذلك أن مشكلة اللغة الأصل واللغات أو اللهجات الفرعية، هي إحدى المشكلات الرئيسة الراهنة في الفضاء الكردي اليوم.

إذا كان تحدي الهوية اللغوية يفرض على الكردي «الملازمة» بين لغته وكونه كرديًا، فإن وجوده في فضاء مختلف ربما يزحزح تلك الدينامية («الملازمة») لمصلحة استخدام لغة بلد الاستقبال أو أي لغة أخرى. والواقع

أن الكـردي هنـا قد يسـتخدم اللغـة بصـورة أداتية أساسًـا لا انطلاقًا مـن دوافع عاطفية أو هوياتية.

إن الاضطـرار إلى اسـتخدام لغة وسـيطة أو عمليـة، ربما يسـاعد الكردي فـي النظر إلى وجوده في الشـتات على أنه «موقت»، وأن اللغـة التي يتعلمها أو يتوسـلها هي لغة وسـيطة لا «لغة احتلال»، على الرغم مما في ذلك من شـعور بـ «الاغتراب»، لكن ليس من النوع القابل للتحول إلى موقف أو حالة سياسية.

علـى العكس من ذلـك، قد يسـاعد «الاغتـراب» و«الشـتات» فـي التطور اللغوي، ذلك أن ثمة فضاء في بعض الشـتات يدفع رسـميًا (أو أهليًا) أو بحكم طبيعته نحو المحافظة علـى الهويات والثقافات الأصلية أو الفرعية للمهاجرين، وهذا على إيجابياته بالنسـبة إلى التطـور اللغوي، قد يشـكل عامل ضغط لجهة التمسك بالتكوين اللغوي أو اللهجي بالمنحى الاتجاهي أو الفرعي، وهذا بذاته مصدر من مصادر التهديد لوجود لغة قومية.

الفصل السادس

التجارب اللغوية :
توفيق وهبي وعرب شمو وجلادت بدرخان والاستشراق

يبدو أن الصعوبات والمواجهات التي خاضها الكرد من أجل «الاستقلال» في بدايات القرن العشرين شغلتهم عن الاهتمام بجوانب عديدة، خصوصًا في ما يتعلق بالهوية اللغوية والألفبائية. وأدّت السيطرة الاستعمارية الأوروبية على المنطقة، التي أعقبت التفكك العثماني، إلى تحريك الأمور باتجاه التعليم والكتابة والنشر بالكردية، حيث شرع الكرد في الاهتمام بما عُدَّ آنذاك شرطًا من الشروط التقليدية للهوية القومية والتكوين الدولتي مثل الإحياء اللغوي وتحديث الألفبائية وغيرهما من خلال «مشروعات» و«تجارب لغوية» عديدة.

يدور هذا الفصل حول تجارب الكرد اللغوية، وتأتي في هذا السياق مشروعات التحديث الألفبائي، وهندسة ألفبائية لاتينية مُعدّلة بالاعتماد على التجارب الإقليمية والدولية، وهو ما قام به عرب شمو في أرمينيا، وتوفيق وهبي في العراق، وجلادت بدرخان في سورية، إضافة إلى مشروعات المستشرقين والمستكردين، وثمة مشروعات عديدة على مستوى التحديث و«القوننة» و«التقعيد» في ما يخص عددًا من اللغات واللهجات الفرعية والجهوية.

أولًا: بدايات التجارب اللغوية

كان هاجس الكرد الرئيس هو الأمن ومواجهة السلطات (وربما الفقر والأمراض والأوبئة)، ومن ثم كانت البيئة العامة منشغلة بما هو أهم من التعليم أو التعبير الثقافي باللغة الكردية؛ ومع ذلك كانت تجليات الكرد اللغوية تتعزز

بصـورة تدريجية، لكن مـن دون أن تكـون هدفًا بذاتهـا، هكـذا كان التعبير عن مطلب الهوية يحدث غالبًا باللغات العربية والفارسية والتركية.

1 - اللغة ليست أولوية

اهتـم الكـرد بالتعبير عـن هويتهـم، كليًـا أو جزئيًـا، من خلال الوسـائط والمنابر الثقافية في المنطقة التي كانت تتوسّل أيضًا اللغة التركية والعربية (إلى جانب الفارسـية). هكذا نجد مثلًا أن قائد ثـورة آغري (1926) في الأناضول إحسـان نوري باشـا كتب مذكّراته عن الثـورة باللغـة الفارسـية[1]. وربما كان الساسـة والمثقفـون الكـرد، آنـذاك، يعون بصـورة مباشـرة مـدى الصعوبات اللغويـة، ومن المحتمل أن بعضهـم فَضَّلَ «تأجيل» النظر فـي الأبعاد التقليدية لمعنى الهويـة بانتظار ظـروف أفضل، خصوصًـا أن تحقيق التكوين السـيادي يشـكل - في منظور البعض - «حجر الأسـاس» لأي مشـروع قومـوي وكياني قابل للاستمرار.

2 - الإنكليز والفرنسيون: «تدبير» أم «تأثير»؟

سـبق للتجربة اللغوية للكرد في العراق أن نمت وتطـورت في بدايات القـرن العشـرين عندمـا تمكّنـوا فـي فتـرة الحكـم البريطانـي مـن تأسـيس المـدارس. ويُذكَـرُ أن الضابطيـن الإنكليزييـن نويـل وسـون كانـا قد نشـرا الكتابـات النحويـة الكرديـة «الأولى» فـي العراق، كمـا شـجع البريطانيون نشـر الصحف وبناء المـدارس والتعليـم والنشـر باللغة الكرديـة. ولـم يكن

---

(1) إحسـان نوري باشـا، جنرال سابق في الجيش العثماني، من مؤسسـي جمعية خويبون الكردية (1927) التي عملت على تنظيـم الثورة الكردية في آرارات (جبل آغري) بعدما اندلعت في عام 1926، وكلّفتـه الجمعيـة قيـادة العمليات العسـكرية للثـورة، فيمـا كلّفت إبراهيم حسـكير باشـا القيـادة المدنية والإدارية. ولجأ الجنرال إحسـان نوري باشـا إلى إيران بعد فشـل الثـورة أمام القـوات التركية (1930). انظر: إحسان نوري باشـا، مذكرات إحسـان نوري باشا، ترجمة عبد الستار قاسـم كلهور (أربيل: مؤسسة موكرياني، 2008)، ص 3.

ذلك لارتباط معنوي بالكـرد أو بالثقافة الكردية بل كان جزءًا من «توافق موضوعي» بين تيار رئيس لـدى أكـراد العـراق وبريطانيا[2]، على تأسيس سلطة قبلية وعشائرية وإلى حد ما إثنية، وليس دولتية حداثية بالضرورة، تحت السيطرة البريطانية[3].

ينطبق ذلك على السياسة الفرنسية في سورية تحت الانتداب التي شجّعت الكرد على المشاركة في السياسة على اعتبار أن التكوينات الإثنية تشكل عنصر «تـوازن» فـي البنـاء الاجتماعي والسياسـي. ومـن ثم نشـطت تدريجًا الحركة الثقافية والسياسـية للكرد، من خلال اتجـاه النخبة المثقفة وأحيانًـا الأعيان إلى التعبير الثقافي عن هوية كردية في إطار الهوية الوطنية السورية.

في بدايـة عام 1920 صدر فـي العراق عن دائـرة التعليم في بغـداد كُتيب صغير عن القـراءة باللغـة الكردية كتبه مدرّسـان كرديان من السـليمانية: محمد زكي أفنـدي (Muhammad Zaki Efiendi) وميرزا محمد باشـكا (Mirza Muhammad Bashka)، وسـاعدهما فـي ذلك كلٌّ مـن الرائد إيلي بانيسـتر سـون (Ely Banister Soane) (1881–1923)[4] والنقيـب و. ج. فاريـل (W. J. Farrel)، وعـرض الكُتيّب النموذجين التركي والفارسي.

في عام 1928 كتب الملا سعيد صدقي (Sa'id Sidqi) بالكردية كتابًا اعتمدته وزارة التربية في بغـداد للصفين الرابع والخامس الابتدائي (التعليم الأساسـي)، ويعتمد الألفبائية العربية مضافًا إليها أحرف من الفارسية بصورة تتوافق مع اللفظ

(2) شاكرو خدو محوي، المسألة الكوردية في العراق المعاصر، ترجمة عبدي حاجي (أربيل: دار سبيريز، 2008)، ص 13 وما بعد.

(3) انظر عرضًا لعدد من الوثائق البريطانية الخاصة بالكرد في شمال العراق خلال تلك الفترة، التي تتضمن مواقف الطرفين الكردي والبريطاني من تأسـيس كيان أو تكوين كردي في شمال العراق، في: وليد حمدي، الكرد في الوثائق البريطانية: دراسة تاريخية وثائقية ([د. م.: د. ن.]، 1992)، الفصول 3-5.

(4) كتب الضابط إيلي سون عن تجربته في شـمال العراق في الكتاب التالي الذي صدرت طبعته الأولى فـي عـام 1912، انظـر: Ely Bannister Soane, *To Mesopotamia and Kurdistan in Disguise* (New York: Cosimo Classics, 2007).

الكـردي. ثم أضاف أحمـد عزيز آغـا (Ahmad-i-Aziz Agha) تعديـلات أخرى في كتابه أ ب الكردية الذي صدرت طبعته الثانية في بغداد في عام 1929[5].

ثانيًا: توفيق وهبي (1891 - 1984)

قدّم الضابـط الكردي في الجيش العراقي توفيق وهبـي (Tawfiq Wehbi) في آب/ أغسطس 1929 مشـروعه عن نظام اللفظ والكتابة الكردية من خلال رؤية مقارنة للألفبائية اللاتينية والعربية، لكن بالتركيز على اسـتخدام اللاتينية أساسًـا للكتابة الكردية[6].

لم تكتمل محاولاته لأسـباب عديدة، منها صعوبات في «تفضيل» الحرف اللاتينـي على الحرف العربي، بسـبب شـعور الناس بـ «قدسـية» الأخير، كونه الحرف الـذي كتب فيه القـرآن، على الرغم مـن أن الألفبائية العربيـة المذكورة سـابقة للإسـلام والقـرآن، وهـي مشـتقة مـن الآراميـة القديمـة، ومـن ثـم فإن «القداسـة» المذكـورة تخص القـرآن وليس الحـروف والألفبائيـة بذاتها. وهذه مسألة خلافية على أي حال.

(5) مـن أجل نظرة إجمالية إلى بدايات التحول من الألفبائية العربية إلى الألفبائية اللاتينية، انظر: Cecil John Edmonds, «Suggestions for the Use of Latin Character in the Writing of Kurdish,» *Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland* (London), no. 1 (January 1931), pp. 27-48. On the Web: <http://www.kurdishacademy.org/?q=node/137> (Accessed 12/2/2013).

(6) ولد توفيـق وهبي في عام 1891 في مدينة السـليمانية. وخاض معـارك الحرب العالمية الأولـى ضابطًا في الجيـش العثماني. انخـرط في عام 1919 فـي صفوف القيادة العسـكرية لحركة الشـيخ محمود الحفيـد حتى عام 1925. عيّـن آمرًا للكلية العسـكرية في عـام 1929 قبل أن ينتقل إلـى الخدمة المدنية متصرفًا للواء السـليمانية في السـنة نفسـها، ثم تـدرّج في المناصـب الحكومية حتـى أصبح وزيـرًا للاقتصاد فـي وزارة حمـدي الباججـي الثانية في عـام 1944. وكان مـن أوائل أعضـاء المجمـع العلمـي العراقـي منذ تأسيسـه في عـام 1948. اهتـم بالتاريـخ واللغـة الكرديـن. وصـدرت مجموعة بحوثه ومقالاتـه في مجلدين عن مؤسسـة «زين» في السـليمانية. انظر: المدى، 2011/7/31.

الصورة (6-1)
توفيق وهبي (1891 - 1984)

لم يستطع وهبي حشد التأييد اللازم لمشروعه عن «الألفبائية الكردية - اللاتينية» على الرغم من أنه تولى مناصب كبيرة في الجيش، وشغل مواقع وزارية في الدولة الناشئة في العراق. ويبدو أنه اعتمد بصورة متزايدة على الأبجدية اللاتينية بطبعتها الإنكليزية القريبة (كان العراق تحت الاحتلال البريطاني)[7].

يُفهَم من المُحَاجَّات المرافقة لمشروع «توفيق وهبي»، أنها عبارة عن منافسات ذات طابع ديني أحيانًا، وقد يكون ذلك غطاءً لمنافسات أيديولوجية أو ردات أفعال ناشئة عن مخاوف من التحديث اللغوي لدى جماعة إثنية ضعيفة ومهددة. حتى الألفبائية الكردية - العربية التي توسلها الكرد في الكتابة حديثة وتعود إلى خمسينيات القرن العشرين، وهي شكل معدل نسبيًا ومضاف إليه أنماط كتابية وصوتية «تتواءم» إلى حد ما مع اللغة/ اللغات الكردية كما كان الحال سابقًا في شمال العراق.

لعل أسباب التخوّف المذكورة، سواء أكان بالنسبة إلى الحداثة وهواجس

(7) انظر الملحق (6)، ص 253 من هذا الكتاب.

المستقبل أم بالنسبة إلى العلاقة بين الألفبائية العربية والدين الإسلامي، كانت في مقدمة العوامل التي عرقلت مشروع وهبي بهذا الصدد، ومن ثم أدّت إلى عدم الاتفاق على النموذج المقترح، بين الكرد أنفسهم كما بينهم وبين الدولة (العراق الملكي). ويبدو أن الأمر يتجاوز دوائر الخوف إلى واقع التعدد اللغوي واختلاف المرجعيات الثقافية والبناء القبلي وتنازع الأولويات وغير ذلك.

ثالثًا: عرب شمو (1897-1978)[8]

عمل عرب شمو أو عرب شمس الدين شامل، وهو من الكرد الذين قطنوا أرمينيا خلال الفترة السوفياتية، على رسم الخطوط الأولى للبناء الثقافي للكرد في جنوب القفقاس. وكانت روسيا القيصرية قد أبدت اهتمامًا بهم، انطلاقًا من هواجسها ومصالحها في الأقاليم المجاورة لها، وسياستها المشرقية وتنافسها مع الدولة العثمانية والغرب.

يقول خليل الجندي: «منذ منتصف القرن التاسع عشر جرت محاولة في روسيا القيصرية لوضع أبجدية باللغة الكردية بالحروف الأرمنية نتيجة تواجد عدد غير قليل من الكرد فيها، لكنها لم تنجح بسبب عدم ملاءمة (فونتيكا) حروف اللغة الأرمنية مع الكردية. (و) رأى البروفسور ب. ليرخ الذي يُعد من الكردولوجيين الأوائل بروسيا، أنه من الأهمية بمكان وضع أبجدية لاتينية للغة الكردية، إلا أن محاولته لم تنجح أيضًا لأن النظام القيصري لم يعر تلك الأهمية

(8) عرب شمو (Ereb Schemo) هو أحد أعلام الثقافة الكردية في جنوب القفقاس والمجال السوفياتي (السابق - أرمينيا). وُلِد في عام 1897، في قرية «سوسز» الواقعة في مقاطعة «قارس» في جنوب شرق تركيا. ينتمي إلى أسرة أحد شيوخ الإيزيدية. بدأ حياته العملية راعيًا للماشية عند الأغوات الكرد والأثرياء الأرمن والأتراك ثم عمل أجيرًا في أحد المعامل. وربما كان أول ماركسي كردي في صفوف الحزب البلشفي الروسي.

التحق بمعهد لازاريف للغات الشرقية في موسكو وتخرج منه في عام 1924، وعاد بعدها إلى يريفان وسرعان ما أصبح منسق النشاط المتعدد الجوانب بين الكرد. وأنيطت به مسؤوليات سياسية وثقافية وإدارية واسعة. وأجرى مسوحًا ميدانية ونشر مقالات ونصوصًا ومقترحات بصدد تحسين المجتمع الكردي في ما وراء القفقاس وتطويره.

للكرد القاطنين داخل حدودها، عكس اهتمامها بالكرد خارج حدودها»(9).

قام عرب شمو بعمل «مُؤَسِّس» للكتابة الكردية في الاتحاد السوفياتي (السابق). وأتاح له السوفيات أن يتم في الفترة بين عامي 1927 و1929 عملًا كان قد شغله سنوات عدة هو الأبجدية اللاتينية الكردية لاستخدامها بدلًا من الأبجدية التي كان يتوسّلها الكرد، التي صممها اللغوي الأرمني لازو بالاعتماد على الأبجدية الأرمنية.

الصورة (6-2)

عرب شمو (عرب شمس الدين شامل) (1897-1978)

خرج شمو بأبجدية حصلت على موافقة المراجع العلمية ومباركة المستشرق البارز أوربيلي الذي قدّم له عونًا علميًا كبيرًا. ويذكر شمو قصة تلك الأبجدية في سيرته الروائية **طريق السعادة** التي صدرت في موسكو عام 1971.

(9) خليل الجندي، «الكردولوجيا والإيزيدية،» (محاضرة ألقيت في المهرجان الثقافي لمركز لالش، دهوك، العراق، 13-15 تموز/ يوليو 2006)، على الموقع الإلكتروني: <http://www.sersal.de/modules.php?name=News&file=article&sid=63> (Accessed 12/2/2013).

واستُخدمت «أبجديته» في ما بعد في مجالات التعليم والثقافة والإعلام وغيرها. وأصدرت الحكومة الأرمينية جريدة ريا تازة، أي «الطريق الجديدة»، وأنشأت أول معهد كردي لإعداد المعلمين في أرمينيا. وكان شمو أول رئيس للجريدة المذكورة وأول رئيس للمعهد الذي تخرج منه مئات المعلمين الكرد من المناطق الكردية كافة في ما وراء القفقاس. وكتب شمو أولى رواياته الراعي الكردي باستخدام الأبجدية الجديدة[10].

رابعًا: جلادت بدرخان (1897 - 1951)[11]

هو سليل عائلة كردية لها حضور قوي في الفترة العثمانية. تَنَقَّلَ والده في مواقع عمل عديدة في السلطنة، وهذا ما هيأ بدرخان للتواصل مع اللغات والثقافات ومستجدات الحداثة والنزعة الإثنية التي كانت تتزايد تأثيرًا في المنطقة، آتية من أوروبا.

يذكر بدرخان نفسه أن هواجسه اللغوية برزت عندما كان تلميذًا في المدارس الابتدائية، إذ كان يسأل نفسه عن وجود حروف تلفظ ولا تُكتب في العربية فيما يختلف الحال مع اللاتينية. ويبدو أنه بدأ عمله مع اللغة وأسئلته الأولى في مرحلة دراسية وعمرية مبكرة. ويذكر أنه توصل إلى «تصور أولي» عن ألفبائية مكونة من 36 حرفًا مستقلًا.

(10) عرب شمو، الراعي الكردي، ترجمة توفيق الحسيني؛ مراجعة وتقديم عزيز داود (دمشق: دار الكتاب العربي، 1988).

(11) ولد جلادت بدرخان في اسطنبول في عام 1897 ودرس فيها. توصّل وهو في المرحلة الثانوية إلى إعداد «ألف باء» من 36 حرفًا مستقلًا. درس الحقوق في جامعة لايبزغ - ألمانيا وتخرج في عام 1925. أقام في القاهرة وبيروت، واستقر في دمشق منذ عام 1932. نشر مشروعه اللغوي في الأعداد الأولى من مجلة هاوار في دمشق. عمل مدرّسًا في مدرسة الصناعة بدمشق (1935)، ومحاميًا (1939)، وتوفي فيها عام 1951. له مؤلفات عديدة، لعل أهمها: قواعد الألف باء الكردية (دمشق: 1932)، صفحات من الألف باء (دمشق: 1932)، صلوات الإيزيديين، رسالة إلى مصطفى كمال باشا (طبع في دمشق بالتركية)، المسألة الكردية (بالفرنسية 1934)، القواعد الكردية (بالفرنسية 1943).

الصورة (3-6)

جلادت بدرخان (1897 - 1951)

بعد سنوات من الترحال والعمل بين أوروبا وتركيا وسورية والعراق ومصر، استقر به المقام في دمشق، ونشر مشروعه النهائي للأبجدية المكوّن من 31 حرفًا في عام 1932 في مجلة **هاوار** التي أصدرها في دمشق، كما صدر له كتاب **قواعد الألفباء الكردية** في دمشق عام 1932 [12]. ويبدو أن بدرخان حاول المواءمة بين التجربتين الفرنسية والتركية، ويُذكر أنه قدم مشروعه متأثرًا بالأبجدية التي قدمها عرب شمو[13].

كان بدرخان قد أجاب عن تساؤل قراء مجلة **هاوار** هل ثمة جهد مشترك للتوافق على ألفبائية موحدة، وهل كان للجهد المشترك - لو تم - أن يحقق للكرد أبجدية أفضل؟ فقال: «نحن ندرك أن اللغوي البارز توفيق وهبي اقترح أبجدية تستند إلى الألفبائية اللاتينية أيضًا، وقد اجتمعنا مرّة في دمشق، وقدّمَ كل

---

(12) انظر: جلادت بدرخان وروجه لسكو، **قواعد اللغة الكردية: اللهجة الكرمانجية**، ترجمة ونشر دلاور زنكي ([دمشق: دلاور زنكي، د. ت.]). والنص نحو 512 صفحة وهو متاح (على ما يظهر في النسخة الإلكترونية لدى الكاتب) على الموقع الإلكتروني: <www.shanama.com>.

(13) جودت هوشيار، «أول أبجدية لاتينية متكاملة للغة الكردية،» على الموقع الإلكتروني: <http://iraq.iraq.ir/vb/showthread.php?t=67614> (Accessed 2/12/2012).

منا الأبجدية التي اقترحها للآخر، وقارناهما معًا. كان هناك بَعْض الاختلافاتِ بينهما. وكلانا اهتم بتوحيد الألفبائية ونشر نسخة واحدة منها، لكن في ذلك الوقت أَخي المحبوب العزيز [توفيق وهبي] أشارَ إلى أن أبجديته لم تكن جاهزة، وأنها تحتاج إلى وقت آخر لاستكمالها. ولذلك تأخر توحيد الألفبائيتين». وأضاف «بعد ذلك عاد توفيق وهبي إلى العراق، وأنتم تعلمون الأحداث المؤسفة التي حدثت هناك. وبالرغم من كل الصعوبات أرسلتُ له عدة رسائل، لكنني لم أتلقَّ منه أي جواب، ولاحقًا علمتُ أن رسائلي لم تصل إليه»[14].

لم يظهر الكثير من مؤشرات «التوافق» بين المجتهدين الكرد في شأن اللغة، وربما كان للمستشرقين دور في تحفيز الجهد نحو «تقنين» اللهجات الكردية وجعلها «لغات» بالمعنى القاموسي أو النحوي، ويلاحظ أن جهد كلٍّ من الضابط إيلي ب سون (Ely.b. Soane) والمستكرد روجيه ليسكو (Roger Lescot)، وكذلك تأثُّر توفيق وهبي وبدرخان بالتجربة الكولونيالية الحديثة، الأول مع الاحتلال البريطاني للعراق والثاني مع الاحتلال الفرنسي لسورية، كان له بتعدده تأثير متأخر نسبيًا في الفضاء الثقافي وربما السياسي للكرد. كما لم تظهر دراسات جادة تتقصى الجهد اللغوي والخبرة الذاتية للكرد في البناء النحوي والألفبائية، ومن ثم فإن جواب بدرخان المذكور أعلاه بدا إشارة منقطعة عن مطلب أو هاجس كردي بالتواصل والبناء اللغوي الموحد. ويذكر خليل الجندي شيئًا عن تضافر الجهد اللغوي للدارسين الكرد والمستشرقين من أجل ألفبائية كردية، يقول: «يُعرف العلامة توفيق وهبي (1891-1984) بصفته مبادر ومؤسس الأبجدية الكردية، وقام الأستاذ المذكور سوية مع آل بدرخان والبروفسور ماكينزي والبروفسورة جويس بلاو بوضع الأبجدية الكردية»[15].

كان قانون اللغات المحلية في العراق الملكي، القانون (74) تاريخ 23 أيار/ مايو 1931، قد سمح بتنظيم لغة المراسلات والقضاء والتدريب والتعليم

---

(14) Dilan Roshani, «Taufiq Wahby (1891-1984),» (Kurdish Academy of Language), on the Web: <http://www.kurdishacademy.org/?q=node/88> (Accessed 2/12/2012).

(15) الجندي، «الكردولوجيا والإيزيدية».

في مناطق الأكراد، والمناطق المتعددة الإثنيات التي يعيش فيها العرب والكرد والترك، لكنه لم يُطبّق على نطاق واسع، كما أن السياسات العامة والاضطرابات والظروف الخاصة بالأكراد لم تساعد في التعليم والتدريب والنشر، ذلك أن الجدال الكردي - الكردي، والكردي - العربي (العراق) حال في ذلك الوقت دون إقرار ألفبائية لاتينية للكتابة الكردية.

كذلك فعلت إيران في فترة حكم الشاه، لكن الأمور أخذت تتسم بطابع «الأسلمة» النسبية للمعطى القومي (الفارسي) على حساب القومية الكردية، من دون تغيير في الألفبائية العربية. أما أكراد تركيا فوجدوا أنفسهم يتعاطون مع اللغة بتوسل أبجدية لاتينية متأثرين بالتجربة التركية الكمالية، وحذا حذوهم أكراد سورية، على الرغم من أن تجربة، بالأحرى فكرة، الألفبائية قد تكون نشأت في سورية في فترة سابقة، إذ إن جلادت بدرخان ربما كان أول من طوَّر النموذج المعروف حاليًا لدى الأكراد باللغة الكرمانجية الشمالية والغربية.

أدت تجربة بدرخان مع المستشرقين والرحالة والعسكر الأوروبيين دورًا في تأكيد أو تعزيز الجانب التطبيقي من أفكاره. وينطوي نشره كتاب **قواعد اللغة الكردية: اللهجة الكرمانجية** بالمشاركة مع روجيه ليسكو على جوانب سيكولوجية، وقد يحيل على ارتباط النزعة اللاتينية في اختيار الألفبائية بالتأثير الكولونيالي المباشر أو غير المباشر[16]. وكان بدرخان قد جَمَعَ المفردات الكردية، كما صَنَّفَ قاموسًا للكردية[17]. وأعقب ذلك دراسات عديدة لمستشرقين من البلدان الأوروبية المختلفة، لكن التركيز الفعلي والأثر الميداني كانا على ما يبدو للعسكريين الإنكليز الذين شجعوا عمليًا الاهتمام باللغة الكردية، وكان لهم جهد كبير على هذا الصعيد.

---

(16) بدرخان ولسكو، **قواعد اللغة الكردية**.

(17) بدرخان السندي، **المجتمع الكردي في المنظور الاستشراقي** (أربيل: دار ئاراس، 2002)، ص 425.

خامسًا: الاستشراق

شَكَّلَ الاستشراق (أو الاستكراد) مدخلًا مهمًا للمعرفة بالشؤون الكردية. وأثَّرَ الاستشراق بمدارك الهوية إلى حد كبير، خصوصًا من خلال تأثر الكرد أنفسهم (وكذلك الغرب) بالنظر إلى الموضوع الكردي عبر مفاهيم ومدارك استشراقية، قد لا تكون دقيقة، أو أن سياقها ربما لا يخدم الشأن الكردي أو الإقليمي حتى لو حصل تحت عناوين أو تغطيات علمية.

لا يعني تدقيق المعطى الاستشراقي تقليلًا من الجهد المعرفي والخبرات المتحصلة، كما لا يقلل منهما أن جهد المستشرقين ركز على إدراج المجال الكردي في قلب تصورات الغرب ومداركه للمنطقة، ومن ثم فإن الكتابات والمعارف الاستشراقية قد تكون مَهَّدَت بشكل أو بآخر للحظة الكولونيالية في المنطقة، لكنها لم تكن سببًا، خصوصًا الجهد العلمي المعمق، لأي تبعات سياسية مباشرة لما يحدث في المجال الكردي اليوم. وهذا على أي حال موضوع يثير الكثير من الجدل.

1 - تدشين الجهد اللغوي

من الملاحظ أن أهم الكتابات عن الكرد، حتى الآن، من فعل «الاستشراق»، حتى لو تبيّن في ما بعد أن ثمة كتابات للكرد أنفسهم ربما تكون أفضل لجهة «أصالتها» وارتباطها بالموضوع وتعبيرها عنه. وكان لكتابات المستشرقين دور «أولي» أو «ابتدائي» للاهتمام باللغة والألفبائية الكردية. ويذكر كاتب كردي أن أولى تلك الدراسات كان كتاب **قواعد اللغة الكردية** للقس الإيطالي ماوريتزيو غارزوني في عام 1887، وسبقت الإشارة إليه. وكَتَبَ بالاس في العام نفسه قاموسًا مقارنًا متعدد اللغات، وكتب فون هامر دراسة عن اللغة الكردية ولهجاتها (1814)[18]. ثم جاءت كتابات أخرى عديدة

(18) المصدر نفسه، ص 425.

ركزت على الموضوع الكردي أو تناولت الكرد أو أحد مفرداتهم في إطار أوسع جغرافيًا أو لغويًا أو أنثروبولوجيًا أو ثقافيًا، وأهم الكتابات المعروفة كرديًا وإقليميًا تعود إلى باسيل نيكيتين (1885-1960)، وفلاديمير مينورسكي (1877 - 1966).

ركز عدد من المستشرقين على وجود لغات أو «استقلال» لهجات كردية بصفة عامة. فيما اعتبر مينورسكي أنه على الرغم من وجود تعدد في اللهجات تظل هناك مظلة لغوية ذات كيانية خاصة، تختلف كثيرًا أو قليلًا عن اللغة الفارسية وغيرها من اللغات[19]. وعرض باسيل نيكيتين عددًا من الآراء بهذا الشأن[20]. فقال: «بالرغم من أن اللغة الكردية تتشعب منها لهجات عديدة، إلا أن لها خصائصَ ثابتة وقوية، وتنتمي، من دون أدنى شك، لمجموعة اللغات الإيرانية الشمالية - الغربية. (و) إن الاختلافات التي نلاحظها بين اللغتين الكردية والفارسية، نجدها في جميع اللهجات». ويخلص مينورسكي إلى القول، بحق، أنه توجد في أساس اللغة الكردية لغة مجموعات مهمة، وتكونت خصائصها العامة قبل نزوح الكرد وانتشارهم فيما بين الجبال[21].

لكن أكثر التأكيدات على «الاستقلال اللغوي» هنا لم تُشر إلى لغة أو لهجة كردية محددة. وهذا ما يجب التنبه له في الدراسات الكردية المعاصرة التي تهتم بالتحليل الثقافي واللغوي. ولعل أبرز مؤشر على التكوين اللغوي أو الثقافي هو الروح الملحمية في الثقافة الكردية. وعد مينورسكي ملحمة مم وزين لأحمدي خاني من دلائل الإنجاز اللغوي بالغ الأهمية للثقافة الكردية[22].

(19) باسيلي نيكيتين، الكرد: دراسة سوسيولوجية وتاريخية، نقله من الفرنسية وعلق عليه نوري طالباني (أربيل: دار سبيريز، 2008)، ص 49.

(20) المصدر نفسه، ص 41 وما بعد.

(21) المصدر نفسه، ص 49.

(22) السندي، ص 426.

الصورة (6-4)

الشاعر أحمدي خاني (1650 - 1707)

لاحظ سون أن مدينة أورفا متعددة الأعراق والثقافات، إلا أن أكثر سكانها يعرفون الكردية، بوصفها لغة ذات حيوية وقوة، وهذا أمر يمكن تفهمه، فيما كانت اللغة الأكثر شيوعًا في مدينة السليمانية وأكثرها من الأكراد، هي - بحسب سون نفسه - اللغة الفارسية! وأن الأكراد في المدينة يميلون إلى التعاطي مع الفارسية أكثر من الكردية الشمالية والشرقية[23]. وفي سياق الكلام عن التأثير الاستشراقي في التكوين اللغوي للكرد، كَتَبَ محمد أمين زكي (1880 - 1948)[24] عن دور كتابات مينورسكي في تحفيزه هو نفسه لكتابة **تاريخ الكرد وكردستان**[25].

---

(23) المصدر نفسه، ص 428، و Ely Bannister Soane, *Grammar of the Kurmanji or Kurdish Language*, Luzac's Oriental Grammars Series; vi (London: Luzac and co., 1931).

النص قديم يعود إلى بدايات القرن العشرين (1913)، وهو متاح على موقع المعهد الكردي - باريس على الموقع الإلكتروني: <http://www.institutkurde.org/en> (Accessed 8/12/2012).

(24) محمد أمين زكي (1880 - 1948) مؤرخ كردي عراقي يُعد أول مؤرخ كردي في العصر الحديث، كتب خلاصة تاريخ الكرد وكردستان في (آذار/ مارس 1931)، وصدرت الطبعة الأولى منه في القاهرة عن دار السعادة عام 1939.

(25) محمد أمين زكي، **خلاصة تاريخ الكرد وكردستان: تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي**، ترجمه وعلق عليه وراجعه محمد علي عوني، ج 2 (بيروت: الجمعية الكردية اللبنانية الخيرية، 2003).

2 – من «الاستشراق» إلى «السياسة»

نكمـل ما ذكرنـاه آنفًا عن الارتبـاط أو التفاعـل بين الاستشـراق والظاهرة الكرديـة، حيث برز نـوع من التحول فـي طبيعة المهتمين بالدراسـات الشـرقية والإسـلامية مـن المتخصصيـن بالأديـان واللغـات والتاريـخ والأنثروبولوجيـا إلـى المتخصصيـن بالسياسـة والإعـلام[26]. وهـذا مـا يزيد فـي التبـاس الرؤية الاستشـراقية للمنطقة. ونفتـرض أن الأمر يزيد فـي المجال الكـردي، نظرًا إلى عده، حتى من منظور المستشرقين، موضوعًا على هامش دوائر الاهتمام الرئيس المتمثلة – حتى الآن – بـالعربية والفارسية والتركية.

يدخـل في ذلك الكتابـات الصحافية والتقارير المصورة لشـبكات التلفزة، خصوصًا في بداية التسعينيات في أعقاب حرب الخليج الثانية (1990 –1991) التي شـكلت «نقطة تحول» في رؤية الغرب للمنطقة، وللموضوع الكردي على نحو خـاص، ومن ثم فقـد تزايد تنـاول الظاهـرة الكردية فـي الكتابة السياسـية والصور الإعلامية، بكيفية أكثر مباشرة ووضوحًا.

تحدث الكاتـب الصحفي جوناثان راندل، في كتابه **أمة في شـقاق**[27]، عن ذلك التطـور أو التحول فـي «تغطيـة» الموضوع الكـردي. وراندل هو مراسـل صحيفة الـواشنطن بوسـت، وركز اهتمامه على كردستان، وكتب كتابه المذكور بعد جولة ومعايشـة طويلة في مناطـق الكرد، وتمكّن من إقامـة صلات وإجراء مقابـلات مـع القـادة والمثقفيـن والمقاتليـن والنـاس العاديين مـن الاتجاهات المختلفة في «كردستان» العراق.

يأتي في هذا السـياق أيضًا كتاب جون بلوج وهارفـي موريس، لا أصدقاء

(26) انظر: محمد أركون، **الفكر الأصولي واسـتحالة التأصيل: نحو تاريخ آخر للفكر الإسـلامي**، ترجمة وتعليق هاشم صالح (بيروت: دار الساقي، 1999)، ص 296 – 297.

(27) جوناثان راندل، **أمة في شـقاق: دروب كردستان كما سلكتها**، ترجمة فادي حمود (بيروت: دار النهار، 1997).

سـوى الجبال: التاريخ المأسـاوي للكرد[28] الذي صدر في الفترة نفسها تقريبًا، لكنه يدخل أكثر في تفاصيل المنافسـات الأيديولوجية بين الكرد أنفسهم. وهذا ما جعله أقل حضورًا.

تكتسـب الكتابات والتغطيـات السياسـية والميدانية أهمية كبيـرة نظرًا إلى أن الاجتمـاع الكـردي تَغَيَّـرَ بصورة كبيـرة عما كان عليـه الحال في تسـعينيات القرن العشـرين وما قبلها، وأصبح لكتب راندل وبلوج وموريس وبروينسن[29]، ومكدول[30]، وغيرهـم قيمة «توثيقية» لأحـوال أصبحت من الماضي، أو لتثبيت لحظات وحوادث شـديدة الوطأة، مثل حوادث حلبجة وحملـة الأنفال ووقائع حرب 1991 وغيرها، مـع صعوبة تقديم رؤية محايدة أو موضوعية عنها، الأمر الذي يعطـي الكتابات الصحافيـة وتقارير منظمات حقوق الإنسـان ميزة نسـبية لدى من يريد تناول الظاهرة الكردية.

مَثَّلَ العنـف في المشهد الكردي عاملًا مُضافًا إلى «هندسة» السياسة الغربية تجاه الكرد، مثلما أن مواقف الغرب كانت على ما يبدو أحد محددات الموقف الكردي المؤيد، بصورة عامـة، لـ «اندفاعة» الغرب اللاحقة نحو العراق وصولًا إلى الاحتلال الأميركي له (نيسـان/ أبريل 2003). أما اللغة(ات) أو السياسات اللغوية لـدول المجال الكـردي فقد تكون شـهدت تطورات نسـبية، وهي على أهميتها، لا تزال قليلة التأثير في الوضع اللغوي للكرد عمومًا.

قد تكون السياسـات اللغوية فـي العراق (بعد الاحتـلال الأميركي في عام 2003) أعطت الكرد فسـحة كبيرة للتطور اللغوي (لكـن ليس التوحيد اللغوي

(28) جـون بلوج وهارفي موريس، لا أصدقاء سـوى الجبـال: التاريخ المأسـاوي للكرد، ترجمة راج آل محمـد (بيروت: باران كومبيوتر، [د. ت.])؛ ديفيد مكـدول، تاريخ الأكراد الحديث، ترجمة راج آل محمـد (بيـروت: دار الفارابـي، 2004)، وملاحظات مارتن فان بروينسـن في: مارتن فان بروينسـن، الأغا والشـيخ والدولـة: البنى الاجتماعية والسياسـية لكردسـتان، ترجمة أمجد حسـين (بغـداد؛ بيروت؛ لندن: مركز الدراسات الاستراتيجية، 2007)، ص 5-17.

(29) بروينسن، الآغا والشيخ والدولة.

(30) مكدول، تاريخ الأكراد الحديث.

حتى الآن)، خصوصًا في التعليم والإعلام والنشر، لكن التطور الأهم هو على الصعيد النفسي والعاطفي لعلاقة الكرد باللغة (اللهجة). وسوف نتناول السياسات اللغوية الكردية في موضع آخر من هذا الكتاب.

3 - الواقع والأيديولوجيا

لا تتشكل الخريطة اللغوية للكرد على معايير الاستشراق، ولا على تصور الكرد أنفسهم أو الجوار للموضوع؛ وما أكثر التنوع في معيشة الكردي من تداخل للمفردات والاستخدام العملي للغة، على اعتبار أن الكردي يتفاعل مع البيئة بكيفيات متفاوتة، ويميل إلى الأخذ من القاموس اللغوي واللغات الشفوية، ذلك أن العامل الأهم لديه هو «التواصل» في البيئة المحيطة به أكثر من «تأكيد» قاموس لغوي قد لا يعرف أكثر الأكراد إن كان موجودًا فعليًا أو افتراضيًا، أو إن كان الأمر يحتاج إلى تأسيس سياسي وإرادة مسبقة لـ «تقنينه» و«هندسته» على غرار القاموس التركي الأتاتوركي مثلًا! وهذا لا يقلل من المبادرات والجهد الفردي لوضع قواميس للغات واللهجات الكردية المختلفة.

إن استخدام الكردي للغة أو لغات البيئة التي يعيش فيها يجعل المخزون اللغوي واسع الطيف، وغنيًا بمفردات كثيرة من لغات عديدة، ما يعني وجود حمولة لغوية كبيرة. ففي المنطقة العربية تكتسب اللغة أو اللهجة الكردية الكثير من المفردات العربية، وكذلك الأمر في المنطقة الفارسية أو التركية ومثلما تزداد الحصيلة اللغوية غنىً فإنها تطرح تحدي التوافق والانتظام الداخلي والهوية مقابل اللغات «المستعار منها».

إن الحصيلة اللغوية والكتابية لدى الكرد (بالكردية) هي أقل بكثير مما هو متوقع من جماعة إثنية لغوية كبيرة. ويُذَكِّر ذلك بتقرير كتبه توماس بابنغتون ماكولاي بعنوان «مذكرة عن التعليم في الهند» في عام 1835 كتبرير لجعل اللغة الإنكليزية هي اللغة الرسمية للتعليم في الهند خلال الحكم البريطاني. وعبّر ماكولاي عن واقع التعدد اللغوي والتنوع الكبير في الخريطة اللغوية واللهجات بين الجماعات الثقافية واللغوية والجهوية والدينية، الأمر الذي

شكل موزاييكًا شـديد التنوع لكنه غير مبدع، غير توحيدي، قال: «إن رفًا واحدًا من مكتبـة أوروبية جيدة كان يعادل جميع النتاج الأدبـي المحلي للهند والوطن العربـي». ويضيف: «في الحقيقة فإن التفوق الجوهري للثقافة الغربية مُعتَرَف به كامـل الاعتراف من قبل أعضاء تلـك اللجنة الذين يدعمـون الخطة الموضوعة في التعليم»[31].

يساعد هذا الاقتباس في توضيح الرؤى الكولونيالية والاستشراقية للمناطق المسـيطر عليها، كما أن مقارنة بسـيطة بين واقـع اللغتين العربية والسنسـكريتية التـي يذكرهـا التقريـر، واللغـة(ات) الكردية يجعـل الرؤيـة أكثر صعوبةً بشـأن مستقبل المشروع اللغوي لدى الأكراد.

(31) كارل إيرنسـت، علـى نهـج محمـد صلـى الله عليـه وسـلم: إعـادة التفكير في الإسـلام في العالم المعاصر، ترجمـة حمزة الحلايقة؛ مراجعة وتحرير مركز التعريـب والترجمة، الدار العربية للعلوم (بيـروت: الـدار العربيـة للعلـوم ناشـرون، 2008)، ص 46، وانظر النـص الكامل للتقرير علـى الموقع الإلكتروني: <www.tc.umn.edu/~raley/research/english/macaulay.html> (Accessed 3/11/2012).

الفصل السابع

السياسات اللغوية لدول «المجال الكردي»:
«احتواء» اللغة الكردية

يُعبّر الكرد عن معاناة مستمرة من السياسات اللغوية للنظم السياسية في الدول التي تحكم «المجال الكردي»، والتي تحاول «احتواءهم» من خلال «احتواء» لغتهم وثقافتهم. والواقع أن تلك السياسات قامت على فرض لغة «رسمية» أو تعميمها على أنها لغة «وطنية» أو «قومية»، فيما تركت التكوينات اللغوية الأخرى في حيز المعيشة والفضاء غير الرسمي وقمعت أحيانًا محاولات تنشيطها أو ربطها بمشروع هوية إثنية اعتبرت أنها تتناقض مع الهوية المعلنة رسميًا أو تهددها[1].

يدور هذ الفصل حول السياسات التي تنهجها دول المنطقة وتطبقها تجاه «أكرادها» بخصوص الهوية في بُعدها اللغوي والثقافي، وتركز في ذلك على الانحسار التدريجي للغة والثقافة الكرديتين في تاريخ المنطقة، و«أدلجة اللغة أو الربط بين اللغة والهوية القومية، وسياسات الاحتواء اللغوي للكرد، ومكاسب الكرد من التحولات السياسية في المنطقة. وسوف نأتي على معالجة ردة الفعل الكردية أو السياسات اللغوية التي يتبعها الكرد في حيز آخر.

أولًا: الانكسار اللغوي والثقافي

ليس ثمة تاريخ معروف للمسألة اللغوية لدى الأكراد، لكن ثمة إشارات ودراسات تسجل أن التراجع على المستويين الثقافي واللغوي كان مع إدراجهم

(1) انظر بكيفية عامة: عقيل سعيد محفوض، جدليات المجتمع والدولة في تركيا: المؤسسة العسكرية والسياسة العامة (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2008).

«القلق» أو «غير المستقر» في الإمبراطورية الإسلامية[2]. ومع أن تشخيص «الانكسار» يركز على وقائع تاريخية معينة، إلا أنه غالبًا ما يتم بقدر كبير أو قليل من الأدلجة. لكننا لا نقع على مؤشرات محددة بهذا الخصوص. وما نجده في هذا المقام هو عبارة عن انطباعات وتقديرات لا تستند إلى واقع تاريخي يمكن التحقق منه. وهذه دعوة ليتقصّى علماء التاريخ ودارسو تاريخ اللغويات وعلم الاجتماع اللغوي والأنثروبولوجيا الموضوع تقصيًا علميًا.

1 - «أسلمة» السياسة أو «تعريبها»

يذكر الكرد أن اللغة الكردية بقيت لغة الدواوين حتى فترة متأخرة من الحكم العباسي، ويوردون حوادث عديدة عن تراجع اللغة بفعل السلطات القائمة والمتابعة، ويذكر كيو موكرياني مثلًا أن الكردية كانت لغة التواصل بين الدولة الأموية والمناطق الكردية خلال حكم الحجاج الثقفي. ومن ذلك أن رجلًا كرديًا اسمه زادا نمه رروخ كان هو صاحب الدواوين الرسمية، وربما وسيطًا بين السلطة والكرد، لكن الوشاية والمنافسة بين الكرد من جهة والعرب المعينين في مناطق الكرد من جهة أخرى كانت السبب في تغيير موقف الأمويين من استخدام اللغة الكردية، ومن ثم حدث التحول الكبير والخطير على صعيد اللغة، فمال كثيرون من الرجال والأعيان والملالي الكرد إلى استخدام العربية بدلًا من الكردية تحت عناوين الدين والتجارة والأدب والسياسة[3].

كان الكرد خلال فترة طويلة نسبيًا، حتى بعد دخولهم التدريجي في

(2) إشكالية العلاقة بين القومية والدين هي واحدة من إشكاليات الفكر الكردي المعاصر، وكذلك الفكر العربي والتركي، انظر بصدد الكرد النصوص المقترحة التالية: Martin Van Bruinessen, «The Kurds and Islam,» (Islamic Area Studies Working Paper; 13, Islamic Area Studies Project, Tokyo, 1999).

وانظر: تهامي العبدولي، إسلام الأكراد: أنموذجًا لإسلام الأقليات (قراءة في تداخل الديني والقبلي والقومي)، الإسلام واحدًا ومتعددًا (بيروت: دار الطليعة، 2007).

(3) كيو موكرياني، «تاريخ كتابة اللغة الكردية خلال 5000 سنة،» ترجمة م. رشيد، أوراق كردية، العدد 7 (شباط/ فبراير 2003). ونذكر في هذه الدراسة قصصًا وإحالات كردية كثيرة، وذلك من باب التأكيد على معناها ودورها حتى لو لم تكن أحداثًا فعلية.

الإسلام، من الشرائح الخارجة على السلطة المركزية[4]. وكانت علاقاتهم غير المستقرة بالسلطات المركزية من عوامل «تهميش» المجتمع الكردي في التكوين التاريخي للمنطقة. ولا يشكل بروز قادة كبار من الكرد أو إمارات وسلطنات كردية خروجًا حاسمًا على السياق التاريخي للواقع الكردي، في ما يخص اللغة والثقافة الكرديتين وكذلك السياسة والتكوين السيادي على اختلاف درجاته.

يمكن القول - بشيء من التعميم - إن الانخراط في الإسلام، كان مدخلًا أو عاملًا «مؤهبًا» لسيطرة اللغة العربية ومن ثم الفارسية على المجتمع الكردي، مع تأثيرات نسبية للهجات واللغات الكردية المحلية، الأمر الذي جعل اللغة العربية والفارسية (والتركية لاحقًا) هي الغالبة، فيما تراجعت اللغات الكردية واقتصر استخدامها على التواصل والمعاملات المحلية (غير الرسمية) والحياة اليومية والمعيشة. ولم تظهر إشارات كبيرة إلى «المقاومة» اللغوية أو التمسك باللغة باعتبارها جزءًا من وعي الهوية لدى الكرد.

2 - حضور العربية والفارسية والتركية التاريخي

إن طبيعة الحضور اللغوي العربي والفارسي لدى الأكراد هو مما يصعُب كثيرًا توضيح ملامحه أو تلمّس حدوده، ومن ثم تخطيط طرائق لـ «احتوائه»، أو النحو باللغة الكردية بعيدًا منه. وكانت الفارسية ولا تزال حاضرة بقوة في اللغة الكردية، فضلًا عن الثقافة الشفوية الكردية، وبقيت لفترة طويلة هي لغة السياسة والثقافة والأدب والتجارة في المجال المشرقي (غير العربي) العثماني والكردي، ومن ثم فإن التداخل الكبير أو لنقُل الاستخدام الواسع للفارسية

(4) انظر مثلًا: جان دوست، «اللاهوت الكردي بين أسلمة الكرد و تكريد الإسلام،» بحزاني (*bahzani*)، 7/ 3/ 2007، على الموقع الإلكتروني: <http://www.bahzani.net/services/forum/showthread.php?t=12914> (Accessed 12/2/2013).

يُعد انتشار الإسلام من الإشكاليات المفتوحة في الثقافة الإسلامية، ومن ذلك مسألة الفتوحات ودور الدعاة والتجار والجيوش والسلطات في الأسلمة في العالم. انظر مثلًا: فيليب فارج ويوسف كرباج، المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي، ترجمة بشير السباعي (القاهرة: سيناء للنشر، 1994).

(وكذلك العربية) لدى الأكراد جعل الكتّاب والمؤرخين يذهبون إلى القول إن اللغة الكردية هي إما تكوين تدخله الفارسية بصورة كبيرة وقد يصعب الفك بين اللغتين، وإما أنها فرع من اللغة الفارسية أو تطور لها.

لا نعلم أيًا من الرأيين كانت له الغلبة في الماضي، لكننا نعرف مدى «التحفّظ» الكردي عليهما اليوم، كما أن القول بـ «استقلال» اللغة الكردية عنهما، بمعنى أن لها جذورًا وتطورًا وهيئة سابقة مختلفة عنهما، هو أمر ممكن، وقد يكون مؤكدًا بدرجة أو أخرى، إلا أن الحديث عن «الاستقلال» بمعنى الفصل والقطع من حيث الجذور أو التطور اللاحق، فهذا مما يصعب إثباته. أما إن كانت لهذا الحديث دواعٍ أيديولوجية فذلك موضوع آخر.

3 – أحمدي خاني: هواجس كردية

لاحظ الشاعر الكردي أحمدي خاني في ملحمته مم وزين (*Mam-Zin*) أن الأكراد يتوسّلون لغات غير كردية، ووصفَهم بـ «الأيتام» الذين أهملوا لغتهم. ويبدو أن خسرانهم استقلالهم السياسي أو حيّزهم الجغرافي والسيادي جعل لغتهم في وضع ضعيف، حتى إنهم فضّلوا التعاطي مع اللغات الأخرى، وثمة من أهمل الكردية أو تقصَّدَ ألا يستخدمها لأن اللغات الأخرى «أقوى» و«أفضل» صلة بالآخرين، خصوصًا لأغراض السياسة والتجارة والدين. وبدت الكردية «نحاسًا» إذا ما قيست باللغات الأخرى/ «الذهب»، على حد تعبير أحمدي خاني نفسه.

يبدو أن الشاعر خاني الذي واجهته إشكالية لغوية في تلك الفترة، كان يهجس بشيء مما يهجس به الكرد اليوم. لكنه – مع ذلك – استخدم العربية والفارسية والتركية، إلى جانب اللغات أو اللهجات الكردية التي كانت شائعة في تلك الفترة، البوتانية والمهمدية والسليفية[5]، الأمر الذي يعني أنه استخدم لغة مركبة أو خليطًا لغويًا متعددًا.

---

(5) جان دوست، الدر الثمين في شرح مم وزين (أربيل: دار سبيريز للنشر، 2006)، ص 41.

شكّل عمل خاني في مم وزين ربما خطوة مبكرة على صعيد التقريب أو التداخل بين اللهجات التي لو عرف الجنوبية منها والشرقية لكان على الأغلب استخدمها في عمله الملحمي. ومع ذلك تمثل الملحمة المذكورة «سابقة ذكية» من هذه الناحية، وربما شكلت «نموذجًا يُحتذى» في الكتابات الكردية المعاصرة، بصورة تمكّن الكرد من الكتابة بلغة أو «موزاييك» لغوي قابل للتلقي في مناطق وجهات الكرد كلها، ويخفف من «التعصب اللهجوي الذي يذر بقرنه بين الفترة والأخرى حتى بين طبقة المثقفين»[6]. ويبدو أن خاني الذي يعدّه الأكراد بمنزلة شكسبير(هم) استخدم اللغة الكردية ردة فعل على واقع إهمال الأكراد لغتهم[7]. وختم ملحمته بالكلام عن اللغة التي توسلها فقال:

«اللغة الكردية والعربية والفارسية جميعها لاحقًا

بعض من حكايات (بوطان)، وبعض من الحجج وبعض التلفيق

من (اللهجات) البوهيمية والمهمدية والسليفية، بعضها لعلٌ وبعضها ذهب وفضة.

الخرز والمجوهرات واللآلئ، بعضها شفافة وبعضها كتيمة

رصَّعها كالأطفال، جاء بها إلى الأسواق والقيصريات.

جزء منها قصة، جزء منها خيال، بعضها حرام وبعضها حلال.

في كل قصة حصة من الغصة والألم، وكلُّ مثلٍ لو تعرفُ حكمةٌ وموعظة لكن غرضه (أي هدف خاني) من هذا الكلام والحديث، وقصده من هذا السعي (هو) إظهار جمال العشق، وإثبات كماله»[8].

ذكرنا أن الأكراد المسلمين مالوا إلى استخدام العربية في تواصلهم الرمزي

---

(6) المصدر نفسه، ص 41.
(7) المصدر نفسه، ص 41.
(8) المصدر نفسه، ص 628- 629.

والأدبي والديني، فيما تراجعت «الكردية» إلى التواصل المحلي والمعيشي. أما الأكراد غير المسلمين والأكراد الذين نهجوا نُهجًا مختلفة قليلًا أو كثيرًا عن المذهبين الرئيسين السُنّي والشيعي مثل «الفيلية» و«اليزيدية» أو «الإيزيدية»، و«اليارسانية» و«الشبك» و«البهائية» ... إلخ فواصلوا تأكيد الرابط المعيشي والديني بـ «اللغة الكردية»، وربما كان ذلك شكلًا من أشكال تأكيد الهوية لدى تلك الجماعات والتكوينات الإثنية والإثنية الفرعية.

يطرح ذلك تساؤلًا عن العلاقة بين الهوية اللغوية والهوية الدينية والمذهبية في الاجتماع الكردي، وهل إن «الإسلام» دفع الكرد قصدًا إلى اعتماد العربية، أم أن السياق الاجتماعي والتاريخي هو الذي أدى إلى ذلك؟ وهل كان للسلطات دور ما في تأكيد استخدام العربية على حساب الكردية، وإذا كان الحال كذلك فما هو تفسير استخدام الفارسية لغة رسمية للدول الكردية والتركية والفارسية في المجال الإسلامي؟

ثانيًا: أدلجة اللغة

كان اللساني الأميركي هوغن (Haugen) قد أطلق في عام 1959 عبارة «التخطيط اللغوي» في مثال عن الوضع اللغوي في النرويج[9]. لكن التخطيط اللغوي باعتباره واقعًا سبق هذا بكثير، ولا يرتبط بما ذكره هوغن مثلًا أو غيره، فالتعدد اللغوي ظاهرة قديمة، وسبقت الإشارة إلى أسطورة بابل و«بلبلة اللغة»، الأمر الذي يعني أن التعدد هو نفسه شكل ملازم للسياسة والاجتماع البشري، و«يعج التاريخ بالأمثلة على تدخّل الإنسان في اللغات قبل أن نضع هذا التدخل تحت اسم «السياسة»، أو تحت اسم «التخطيط» بزمان طويل»[10].

ركّز عدد من النظريات التقليدية عن تكوين الأمة على عامل اللغة، وكان من تجليات ذلك أن نهجت السياسات الدولتية نهجًا مختلفة في تأكيد عامل

---

(9) انظر الإشارة المرجعية التالية: Einar Haugen, «Planning for a Standard Language in Modern Norway,» *Anthropological Linguistics*, vol. 1, no. 3 (1959).

ورد في: لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة حسن حمزة؛ مراجعة سلام بزي حمزة (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2008)، ص 220.

(10) كالفي، ص 220.

اللغة القائمة أو تعزيزه أو تأييد لغة توحيدية عامة (أو لغة قومية)، مؤسسة إما على تغليب لغة موجودة وإما على إدخال تغييرات بنيوية عليها، وإما على القيام بتوليف لغوي من حيث البناء أو الشكل أو الألفبائية. وثمة أمثلة مؤثرة نسبيًا في منطقة الشرق الأوسط، في تركيا وإسرائيل مثلًا، حيث قامت السياسات اللغوية في الأولى على «صنع» نموذج للغة حداثي اعتمد على تغيير كثير من المفرادت العربية والفارسية وإحلال مفردات من الإنكليزية بدلًا منها، وتغيير الألفبائية من العربية إلى اللاتينية، وعمدت الحالة الثانية إلى «إحياء» لغة قديمة هي اللغة العبرية.

أمام التحديات اللغوية التي واجهت العديد من الجماعات الإثنية، وأمام حساسية الوضع اللغوي بالنسبة إلى كل جماعة باعتبارها «شرطًا» لعدها «قومية»، خصوصًا في الكيانات السياسية متعددة اللغات والإثنيات، ولا سيما تلك التي لم تؤخذ مطالبها السياسية وخصوصياتها القومية بالاعتبار، شكّلت اللغة عامل تحفيز مركبًا لتلك الجماعات، فطوّرت أساليب للحفاظ على خصوصياتها الثقافية وذاكرتها وشيء من طموحاتها. وعلى الرغم من سياسات الاحتواء متعددة الأشكال، بقيت على درجة كبيرة نسبيًا من النشاط، إلا أن تشكّلها لم يكن واضحًا دومًا كما أنه لم يتجلَّ بقوة في دول المجال الكردي لأسباب كثيرة منها ضغط سياسات الاحتواء الرسمية والعامة من جهة و«ضعف الأداء» الذاتي من جهة أخرى. وأدى انخراط المنطقة في النظام العالمي في بدايات القرن العشرين إلى تشكلات سياسية ودول (أو أشباه دول) تحت مسمى القومية والوطنية لدى الأتراك والعرب والأرمن والفرس وغيرهم، لكنها لم تمر على الأكراد بسلام، فهذا الشعب، كما يقول السوسيولوجي التركي إسماعيل بيشكجي (Ismail Besikci)، تعرَّضَ من جديد لاستعمار الإخوة في الدين والجيران في الجغرافيا والشركاء في التاريخ، وإلى ظلم القوى الكبرى بشأن وعودها ومبادئها في «حق تقرير المصير»[11].

---

(11) إسماعيل بيشكجي: كردستان مستعمرة دولية، ترجمة زهير عبد الملك (سباغنا، السويد: دار APEC، 1998)، ودفاعًا عن الأمة الكردية المستبعدة: رسالة إلى اليونسكو ([د. م.]: مركز عامودا للثقافة الكردية، 2003).

إن السياسة اللغوية متعددة المصادر والأسباب، وكذلك المنافسة الداخلية والصراع ضمن التكوين السياسي أو الدولة. ويحدث التدخل السياسي في الموضوع على مستوى جزئي مثل تغيير لغة المخاطبات الرسمية أو تغيير لغة الدواوين والمؤسسات الدولتية، كليًا أو جزئيًا، مرة واحدة أو تدريجًا. كما يمكن أن تنشط السياسات اللغوية في مسار مركب، مثل تعليم اللغات الكردية الراهنة، وتنشيط اللهجات وتعزيزها بالبناء القواعدي والتقني، إلى جانب تعليم وتعميم لغة «عامة» تظلل التنوع اللغوي في مجال سياسي وإمبراطوري واسع. وتمثل التجربة السوفياتية مثالًا على الرعاية العليا لواقع التنوّع اللغوي في الفضاء السوفياتي (السابق) الذي ورثت روسيا الاتحادية جانبًا منه[12].

قد يحدث التدخل بصورة غير مباشرة من خلال دعم التعليم أو الانتشار اللغوي إلى جانب اللغات الراهنة للأفراد والجماعات (وليس بديلًا منها بالضرورة) في حالات «التنصير» و«الأسلمة» التي حدثت خارج أوروبا والمنطقة العربية عندما برز سؤال عن طبيعة العلاقة بين اللغة الإسبانية أو الإنكليزية من جهة، وتعاليم الكتاب المقدّس ونشر المسيحية من جهة أخرى، وكذلك طبيعة العلاقة بين اللغة العربية من جهة، وتعاليم القرآن ونشر الدين الإسلامي من جهة أخرى.

ثالثًا: السياسات الدولتية

عَدَّت الأيديولوجيات السائدة في المنطقة الأكرادَ جزءًا من تكويناتها الإثنية أو الإثنية الفرعية، مع اختلافات قليلة أو كثيرة بين السياسات التي اتبعتها النُظُم التسلطية في الدول التي حكمت «المجال الكردي». وأدى ذلك إلى ضبط متفاوت لتعبيرات الهوية الكردية، لكنه أدّى - من حيث النتيجة - إلى

(12) انظر بكيفية عامة: Aneta Pavlenko, «Multilingualism in Post-Soviet Countries: Language Revival, Language Removal, and Sociolinguistic Theory,» *International Journal of Bilingual Education and Bilingualism*, vol. 11, nos. 3-4 (2008), pp. 278-282.

إحياء الروح الإثنية ونهوضها سياسيًا وثقافيًا[13]، بل عسكريًا، خصوصًا منذ سبعينيات القرن العشرين حتى اليوم. وأدى «حظر» اللغة الكردية أو «احتواؤها» إلى بروز هواجس متزايدة لدى الجماعة الكردية المُستهدَفَة التي أبدت اهتمامًا متزايدًا بالبناء اللغوي والسياسات اللغوية، حتى لو كان ذلك في فترة متأخرة نسبيًا.

تذكر مارغريت كان في كتابها أبناء الجن: مذكرات عن الأكراد ووطنهم أن «اللغة الكردية بالنسبة للكثيرين من الإيرانيين والأتراك والعرب ليست لغة حقيقية. فهم يعتبرونها مجرد لهجة ريفية خرقاء يتداولها الأميون وأنها غير جديرة باهتمام دارسة تعتبر نفسها باحثة حقيقية»[14].

1 - «تشريد المكان عن أسمائه»؟

يتحدث الكرد عن «تعريب» أو «تتريك» الأسماء والأمكنة وحتى الفولكلور والغناء والأساطير، وعَدّوا ذلك نوعًا من «العنف الرمزي»، وأحيانًا «الانتحال» و«السرقة» لتراثهم وثقافتهم. وجرت نسبة الكثير من الرأسمال الرمزي الكردي إلى الغير، ولا يتعلق الأمر بـ «المشتركات» الثقافية الرمزية (الأسماء والرموز والمعتقدات الاجتماعية والدينية ... إلخ) بل يتعلق بالتغييرات القصدية أو التغيرات المفروضة بالقوة. ويذكر الروائي الكردي سليم بركات أن تغيير الأسماء هو بقصد تغيير الذاكرة والهوية. يقول: «قبل حين من الوقت كلَّم كرديٌّ كرديًا، فسأله من أين أنت؟ فرد: من القحطانية، أي: من بلدة لها نَسَب إلى عربيٍّ قح، جدٍّ عريق. وإذ استفسره عن موقعها أوضح الآخر أن اسمها كان «القبور البِيْض». [ويضيف بركات] في ثلاثة عقود تهشمَ اسم

(13) انظر مثلًا: عقيل سعيد محفوض، «تركيا والأكراد: كيف تتعامل تركيا مع المسألة الكردية؟،» (دراسة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، آذار/ مارس 2012)، ومارتن فان بروينسن، «طريق الكرد إلى بناء الأمة،» في: فالح عبد الجبار وهشام داود، الإثنية والدولة: الأكراد في العراق وإيران وتركيا، ترجمة عبد الإله النعيمي (بيروت؛ بغداد: مركز الدراسات الاستراتيجية، 2006)، ص 25-75.

(14) مارغريت كان، أبناء الجن: مذكرات عن الأكراد ووطنهم، ترجمة نورا شيخ بكر؛ تدقيق لغوي دحام عبد الفتاح (دمشق: مطبعة الخلود، [د. ت.])، ص 10.

البلدة مرتين: مرة بترجمته إلى «القبور البيض» عن أصله الكردي: «تربسبي»، ومرة عن استبداله كليًا بنسب إلى تاريخ «أُعيد إلى صوابه». عشرات الأسماء، المخصوصة بالتدليل على «إقامة» الكردي في المكان، اعتُقِلَتْ، ثم «نُفيت» عبر الترجمة الحرفية، ثم أُعدِمت في منفاها (...) كان ممنوعًا تسجيل كرديٍّ في السجلات الرسمية باسم كردي. العروبة تقتضي نقلة في خصائص الدم. وها هي تقتضي نقلَةً في خصائص التراب. الأمر بسيط لا يستدعي السخط أو الاستياء، لأن الكلَّ سواسية في رحاب العدل المنتصر، أسماءً شخصيةً، وأسماءَ أمكنة: حاضرُ الوقت هو أصل ماضيه، وعلَّة وجوده ... إنها أسماء كردية لا تخيف أحدًا، فلماذا يجرِّدون الأمكنةَ من إقامتها؟»[15].

يحاول هذا الاقتباس تكثيف التعبير عن مشكلة السياسات اللغوية الهادفة إلى «احتواء» الكرد من خلال تغيير البناء الرمزي والمسميات للأفراد والزمان والمكان، في ما يُعرَفُ بـ «التعريب»، ومثله «التتريك» و«التفريس».

2 – ممارسات عقابية

تضمّنت التشريعات الدولتية نصوصًا عقابية على استعمال اللغات غير الرسمية (المحلية أو الفرعية) في النشاط العام، وحتى في الحياة العادية مثل وسائل النقل وبيئة العمل أو أي فاعلية خارج المنزل. وحدث أن أدى استخدام اللغة الكردية إلى الاعتقال والمحاكمة والإضرار بمصالح «الجاني»! وثمة إجراءات تمييزية وعقابية ضد مستخدمي اللغة الكردية في الكتابة أو النشاط العمومي أو الفن[16]. وقد يكون ذلك جزءًا يسيرًا مما تختزنه الذاكرة الفردية والجمعية لدى الكرد. وكان الكردي أحيانًا عرضةً للقمع لمجرد أنه كردي، وإذا كان انتماؤه الديني مختلفًا عن التيار الرئيس أو التيار العام، كأن يكون إيزيديًا (أو يزيديًا) أو علويًا أو فيليًا أو يارسانيًا قد يُعرّضه ذلك لاضطهاد أكبر، وهنا

(15) سليم بركات، «تشريد المكان من أسمائه»، على الموقع الإلكتروني: <http://www.kurdarab.org/teqfe/teq-5-2009/selim-berkst.iqam.6.2009.htm> (Accessed 10/10/2012).

(16) انظر مثلًا: Euro-Mediterranean Human Rights Network (EMHRN), «Freedom of Association of Groups defending Minority Rights in Turkey,» (Copenhagen, September 2011).

قد يضطهَده كردي آخر. ويقول مارتن بروينسن إن التطهير والقتل والسلب والنهب والإجبار على تغيير المذهب أو خطف النساء أو فرض الخوّات كانت من الأمور الشائعة في المجال الكردي[17].

3 - إجراءات احتوائية

واجهت النُظُم التسلطية في المنطقة المطامحَ الإثنية للكرد بسلسلة من الإجراءات التي اختلفت بين نظام وآخر، ودولة وأخرى[18]، كما اختلفت بحسب الظروف السياسية والأمنية، ومن تلك الإجراءات والسياسات التي استمر بعضها حتى وقت قريب[19]:

- فرض حالة الطوارئ في المقاطعات ذات الأغلبية السكانية أو الهوية التاريخية الكردية، خصوصًا في فترات الاضطراب السياسي والاجتماعي. واتباع سياسة عسكرية متشددة تجاه الأفراد الذين ينضوون في الأحزاب

---

(17) انظر مثلًا: Martin van Bruinessen, «The Nature and Uses of Violence in the Kurdish Conflict,» Paper Presented at: «Ethnic Construction and Political Violence,» (International Colloquium Organized by the Fondazione Giangiacomo Feltrinelli, Cortona, 2-3 July 1999), on the Web: <www.let.uu.nl/~martin.vanbruinessen/personal/publications/index.html> (Accessed 13/4/2013).

(18) يتساءل المؤرخ العراقي ستّار الجميل عن طبيعة تلقي الكرد مواقف المثقفين والساسة العرب، يقول لصحيفة الاتحاد الناطقة باسم حزب الاتحاد الوطني الكردستاني، «هل وجدتم هناك نفيًا لوجود شعب من الكرد في الأدبيات العربية؟ باستثناء بعض الكتّاب السياسيين الذين ربما كانوا متعاطفين مع النظام السابق، فليس هناك من عرب أسوياء ينفون وجود الكرد!». في: عدالت عبد الله، «حوار مع المفكّر والمؤرّخ العراقي الدكتور ستّار الجميل حول العلاقات العربية -الكردية،» الاتحاد، 2008/3/20.

(19) عن سياسات الدولة التركية لمواجهة الحركة الكردية، والسياسات التي اتبعها الأكراد أيضًا، انظر مثلًا الدراستين التاليتين: Martin Van Bruinessen: «The Kurds in Movement: Migrations, Mobilisations, Communications and the Globalisation of the Kurdish Question,» (Islamic Area Studies Working Paper; 14, Islamic Area Studies Project, Tokyo, 1999), on the Web: <www.let.uu.nl/~martin.vanbruinessen/personal/publications/Kurds_in_movement.htm> (Accessed 12/2/2013), and «Race, Culture, Nation and Identity Politics in Turkey: Some Comments,» Paper Presented at:The Mica Ertegün Annual Turkish Studies Workshop on Continuity and Change: «Shifling State Ideologies from Late Ottoman to Early Republican Turkey, 1890-1930,» (Department of Near Eastern Studies, Princeton University, 24-26 April 1997), on the Web: <www.let.uu.n/~martin.vanbruinessen/personal/publications/identitypolitics.htm> (Accessed 12/2/2013).

الكردية، فيطال بعض الإجراءات العقابية أو الاحتوائية أحيانًا أولئك الأفراد المتعاطفين معها.

- اتباع الوسائل العسكرية والأمنية ضد الحركة الكردية، ولا سيما الراديكالية منها، وهذا ما حدث بصورة شبه منتظمة في تركيا والعراق وإيران.

- تشكيل شبكات ارتباط ونُظم أمنية من العشائر والمنظمات الكردية الموالية للدولة (أو النظام) عُرِفَتْ بأسماء مختلفة مثل «حراس القرى» (Village Guards) لدى أكراد تركيا[20]، و«أفواج الدفاع الوطني» أو «الجحوش» لدى أكراد العراق[21]، ومنها ما لم تكن له تسميات محددة مثل الأحزاب وشبكات الموالاة لدى أكراد إيران وسورية.

- هدفت السياسات الدولتية عمومًا إلى «مقاومة الأكراد بالأكراد»، تحت عناوين قبلية ودينية ومذهبية وجهوية ... إلخ[22].

- «تهجير» الأفراد والجماعات من عدد من القرى والتجمّعات السكنية إلى مناطق أخرى في البلاد (والخارج)، كما حدث في تركيا والعراق، واستُخدم القمع أحيانًا، وفرض حالة الطوارئ وإعلان مناطق عسكرية وحربية. ونُهجت أحيانًا أخرى سياسات استيعاب اجتماعية وديموغرافية مثل تنفيذ السلطات السورية لـ «حزام إثني» عربي لدعم الحدود السياسية وتعزيز

(20) انظر مثلًا: Martin Van Bruinessen, «Kurds, States, and Tribes,» in: Faleh Abdul-Jabar and Hosham Dawod, *Tribes and Power: Nationalism and Ethnicity in the Middle East* (London: Saqi, 2002), pp. 165-183, on the Web: <http://www.let.uu.nl/~Martin.vanBruinessen/personal/publications/Kurds,%20states,%20tribes.htm> (Accessed 12/2/2013).

(21) «الجحوش» هي تسمية ازدرائية لـ «أفواج الدفاع الوطني» الكردية الموالية للسلطة المركزية في العراق. وتمثل ظاهرة «الجحوش» استمرارية لنمط من تعاون أطراف كردية أو تفاعلها مع القوى المركزية في دول «المجال الكردي» أو الاحتلال الخارجي. ويمكن تلمس صلة بين كل من «نظام الجحوش» في العراق ونظام «حراس القرى» في تركيا، و«نظام الارتزاق» الذي يشكل بدوره ظاهرة مستمرة.

(22) يعالج الكاتب موضوع التكوين الاجتماعي وما يدعوه ديناميات التوحد - الانقسام لدى الكرد وتأثير الاختراق الخارجي في حيز دراسي آخر.

الحواجز الجغرافية بين الكرد على جانبي الحدود (مع تركيا) بحدود من نوع آخر، ديموغرافية هذه المرة، ويسميه الكرد بـ «الحزام العربي»[(23)].

- ثمة نوعان آخران من «الاحتواء» للهوية الكردية، الأول «السكوت» عن الكرد وعدم الاعتراف بهم، ومن ثم عدّهم جزءًا من التكوينات المجتمعية وتعبيرات الهوية الإثنية في إطار الهوية الكبرى. والثاني الاعتراف بهم لكن بوصفهم هوية فرعية تحتاج إلى «إعادة إدماج» في الهوية الكبرى[(24)].

دفع ثقلُ تلك السياسات الكردَ، أو كثيرين منهم، إلى العمل ما أمكن على تفادي العواقب المحتملة للتعبير عن هويتهم، فقاموا بنوع من «الضبط» أو «الاحتواء» الذاتي للنزوع الطبيعي إلى التعبير عن الهوية الثقافية والاجتماعية وليس السياسية فحسب. ومن ذلك مثلًا أن الفنان الكردي قد يتحاشى في بعض الأحيان أن تتضمن لوحاته التشكيلية أو نصوصه الأدبية تعبيرات ثقافية ورمزية «كردية» مخافةَ أن يتم تأويلها نوعًا من الأدلجة القصدية لأهداف سياسية معينة.

4 - الاحتواء بالتنمية والتحولات السياسية

لم تفلح محاولات احتواء الهوية الكردية في تحقيق نتائج حاسمة، ووجدت نُظُم الحكم التسلّطية في دول «المجال الكردي» نفسها مضطرة إلى إجراء تغيير ما في سلوكها السياسي. وظهر ذلك في نهج سياسات ميدانية وتغييرات قانونية نسبية واهتمام أكبر بالجوانب الاجتماعية والتنموية في

(23) شرعت الحكومة السورية في ستينيات القرن العشرين بـ «إعادة النظر بملكية الأراضي على امتداد الحدود مع تركيا، بطول 350 كلم وبعمق 10 - 15 كلم واعتبارها ملكًا للدولة، وتطبّق فيها أنظمة الاستثمار الملائمة بما يحقق أمن الدولة»، بحسب مقررات المؤتمر القطري الثالث لحزب البعث (أيلول/ سبتمبر 1966). ويطلق الكرد على ذلك المشروع اسم «الحزام العربي» الذي «يفصل» بين الكرد على جانبي الحدود بين سورية وتركيا.

(24) انظر مثلًا: محفوض، جدليات المجتمع والدولة في تركيا، ص 79، و Ceng Sagnic, «Mountain Turks: State Ideology and the Kurds in Turkey,» *Information, Society and Justice*, vol. 3, no. 2 (July 2010), pp. 127-134.

المناطق الكردية. هكذا شرعت تركيا بمقاربة المسألة الكردية تنمويًا، وأطلقت مشروع «تنمية جنوب شرق الأناضول» (GAP) من أجل تحسين مستوى المعيشة وتأمين معايير تنمية بشرية أفضل للسكان الأكراد. وترافق ذلك مع تغييرات قانونية وميدانية وإفساح المجال للتعبير عن الهوية الثقافية، وأحيانًا السياسية، مع مواصلة السياسات السابقة باعتبارها خيارًا رئيسًا[25].

ينطبق ذلك على السياسات المتبعة في إيران التي قامت بتغييرات كبيرة نسبيًا في التعاطي مع الكرد[26]. أما أكراد العراق فيخوضون منافسات وتجاذبات سياسية كبيرة من أجل تعزيز السلطات السيادية، وتوسيع النطاق الجغرافي للأقليم بمحاولة ضم «المناطق المتنازع عليها». وأصدر مسعود بارزاني، رئيس إقليم كردستان العراق، قرارًا باستخدام عبارة «المناطق الكوردستانية خارج الإقليم» بدلًا من عبارة «المناطق المتنازع عليها»[27].

أما أكراد سورية فنالوا في عام 2011 اعترافًا ثقافيًا من خلال إبراز أعياد النوروز في الإعلام الرسمي، وحصلوا على وعود بأن يصبح النوروز عيدًا وطنيًا، كما مُنح الأكراد المصنفين «أجانب» في سجلات الحسكة الجنسيةَ السورية بموجب مرسوم رئاسي. وأدى «الحدث السوري» منذ 15/ 3/ 2012 إلى تطوّرات غير مسبوقة، من حيث دور الكرد في تحديد طبيعة المجتمع والدولة في المرحلة المقبلة. وهناك تطوّرات نشطة على صعيد الخطاب السياسي والمطالبة بدولة تعددية وفدرالية، والإدارة الذاتية والدفاع الذاتي، والتعليم، ويبدو أن بعض الأبعاد الإشكالية للمسألة الكردية «مؤجل» إلى حين حسم الصراع الدائر في سورية[28]. ومن تطورات «الحدث السوري» بروز نشاط غير مسبوق على صعيد تأكيد الهوية الكردية وإعادة المسميات التي

(25) انظر: محفوض، «تركيا والأكراد».

(26) انظر مثلًا: Kerim Yildiz and Tanyel B. Taysi, *The Kurds in Iran: The Past, Present and Future* (London; Ann Arbor, MI: Pluto Press, 2007), pp. 31-60.

(27) قرار رقم (26) تاريخ 12/ 12/ 2012.

(28) انظر جانبًا من التجاذبات في شأن وضع الكرد في الحدث السوري، في: مسألة أكراد سورية: الواقع - التاريخ - الأسطرة (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013).

عُرِّبت سابقًا، وافتتاح دورات لتعليم اللغة الكردية في المدارس الرسمية وفي المراكز الحكومية التي جرت السيطرة عليها[29].

الخريطة (7-1)
الإقليم الكردي في شمال العراق والمناطق المتنازع على طبيعتها الإثنية

المصدر: مجموعة الأزمات الدولية، «النفط مقابل الأرض نحو المبادلة العظمى عن العراق والأكراد،» (تقرير الشرق الأوسط؛ رقم 80، بروكسل؛ بغداد، 28 تشرين الأول/ أكتوبر 2008)، ص 32.

---

(29) انظر مثلًا التقرير: «تعلم اللغة الكردية في غربي كردستان،» (وكالة فرات للأنباء (Firatnews.com)، 20/ 7/ 2011)، على الموقع الإلكتروني: <http://ar.firatnews.eu/index.php?rupel=nuce&nuceID=4> (Accessed 19/12/2012);

أورلا غيرين، «الأوضاع في سوريا تعزز آمال الأكراد،» (بي بي سي عربي، 18/ 8/ 2012)، على الموقع الإلكتروني: <http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2012/08/120818_syria_kurds.shtml> (Accessed 19/12/2012),

وورودي محمد أمين، «حلم التعلم باللغة الأم بات يتحقق شيئًا فشيئًا،» (وكالة فرات للأنباء، 22/ 9/ 2012)، على الموقع الإلكتروني: <http://ar.firatnews.com/index.php?rupel=nuce&nuceID=3964> (Accessed 19/12/2012).

5 – الاضطهاد الثقافي

تعمـد بعض الكتابـات الأيديولوجية لـدى الكرد إلى «صنع» أو «هندسـة» جـذور تاريخيـة لفكـرة الاضطهاد اللغـوي والثقافـي، ومنهـا ما يعود إلـى فترة الإسلام الأول. وما تذكره الشفويات عن رجل كردي ذهب إلى النبي محمد بن عبد الله، الحكاية المعروفة، ربما يأتي في هذا السياق.

هـذا موضـوع لتأويـل مركـب، فهو مـن جهـة يتمسـك بأهمية وحساسـية الوجـود والمعنى والقوة الرمزية للكـرد في تاريخ المنطقة. وهـذا التأويل يظلل معنـى «الاسـتبعاد» الإثنـي وأحيانًـا الديني فـي الفضاء الإسـلامي والمشـرقي. ونقول اسـتبعادًا إثنيًا/ دينيًا على العموم لأن كثيرين مـن الكرد يعتقدون أن لدى المسـلمين (العرب والترك والفرس) شكوكًا، وربما قناعات بأن «إسلام الكرد» هو نسـخة مختلفة نسـبيًا عن إسـلامهم، وأن وضعية الدين ملتبسـة فـي تكوين الهويـة الكردية. وهـذا مـن القضايا الإشـكالية في التفكيـر الكـردي المعاصر، ويحتاج إلى كثير من التحليل والتدقيق.

لم يكن الاحتواء اللغوي والثقافي واضحًا في السياسـات السـلطانية تجاه الكرد قبل بروز النزعة القومية والمشـاريع الدولتية، لكنه اتخذ معها شكلًا أكثر حضورًا ومباشـرة. وعدّت النزعات القومية والكيانية (الدولتية) الناشئة موضوع اللغة جزءًا من سياسـة عامة لـ «صنـع» هوية جديدة، أو بحسـب المنظور العام آنذاك «تصحيح» الرؤية والدلالة إلى الانتماء القومي.

تحدّث السوسـيولوجي التركي إسـماعيل بيشـكجي عن إنـكار وجود لغة كرديـة خلال حملة الاعتقـالات التي أعقبت الانقلاب العسـكري في تركيا عام 1970 فقال: «كانت السـجون العسـكرية مكتظة بعدد كبير من المعتقلين الذين ينتمـون إلى مختلـف طبقـات المجتمع الكـردي ... وكان الحكّام العسـكريون التابعـون لقيـادة الأركان فـي محافظتي ديـار بكر وسـيرت يوجهـون اتهاماتهم بإصرار حتـى تحولت بفعل الأيديولوجيا الرسـمية إلى صيـغ معروفة تتكرر بلا ملـل ... وعلى الرغـم من أن المتهميـن لا يتكلمون سـوى اللغـة الكردية، ولا

يفهمون كلمة تركية واحدة، يُصرّ هؤلاء الحكّام العسكريون والمحققون أنفسهم على اعتبارهم أتـراكًا رغم الحاجة إلى مترجمين بين المتهمين وهيئة المحكمة، فهم يدّعون بعدم وجود لغة كردية، وأن اللغة المعروفة بهذا الاسم ليست سوى لهجة مشتقة من اللغة التركية»[30].

لم ندخل في تفاصيل السياسـة العملية الهادفة إلى احتـواء اللغة الكردية، مثـل الاعتقـال والحظـر والتضييـق علـى اللغوييـن ومعلمـي اللغـة الكرديـة والصحافييـن والمدوّنيـن، فهذا موجـود في مظان كثيـرة مثل مواقـع الإنترنت للمنظمات الأهليـة وجمعيات حقوق الإنسـان، لكننا تقدّمنـا خطوة أخرى في إطار تحليل تلك السياسـات، وهذا لا يكتمل إلا بمناقشة السياسات المعاكسة التـي يتّبعهـا الكـرد لمواجهـة الاحتواء، وهـذا هو موضـوع الفصـل التالي من الكتاب.

(30) بيشكجي، كردستان مستعمرة دولية، ص 3-4.

الفصل الثامن

السياسات اللغوية الكردية

أدّت سياسات الاحتواء اللغوي في جزء منها إلى ردات أفعال ونتائج عكسية بالمعنى السياسي والإثني، وأحيانًا بالمعنى العسكري والأمني. وتجاوز الكرد مسألة ردات الأفعال إلى صنع سياسات نشطة نسبيًا في شأن البناء اللغوي والهوية اللغوية.

يتطرق هذا الجزء من الدراسة إلى السياسات اللغوية الكردية أو ردات الأفعال الكردية على السياسات الدولتية المتبعة التي تستهدف احتواءهم لغويًا وإثنيًا، والتطور المتزايد لوعي الكرد بهويتهم، سواء أكان ذلك وعيًا بالهوية العامة أم بالهويات الفرعية والجهوية والهجينة أم بالتخومية.

يجتهد الكرد في ما ندعوه إقامة الجدران - إزالة الجدران، بين اللغات واللهجات الكردية من جهة، واللغة(ات) الكردية واللغات الرسمية في دول المجال الكردي. ويبدو حضور السياسة التسلطية ومنع الكرد من التطور السيادي والثقافي هما السمة العامة للعلاقة بين الكرد ونظم الحكم في دول المنطقة، لكن ماذا عن غياب الدولة الكردية؟ وهل يمكن أن يحدث الاندماج (أو التهجين) بغياب إرادة سياسية جامعة، وفي ظل إكراهات قاهرة؟

كانت أعمال العنف والمعالجات الأمنية قد حافظت «موضوعيًا» على شعور بالذات الكردية، ويشير إسماعيل بيشكجي إلى أن الاعتقال والتعذيب كانا أحد بواعث النظر في الهوية واللغة بِعَدِّهما من مكوّنات الوجود الكردي المتميز عن الأتراك وغيرهم، ذلك أن سياسات الجيش والحكومة في بداية السبعينيات من القرن العشرين - وهو ما تَوَاصَل بعد ذلك - كانت «أحد الأسباب التي مهّدت لبداية مرحلة مهمة جدًا في تاريخ الكرد، حيث بدأ الأكراد يعيدون التفكير بموضوع هويتهم وبالشعب الكردي وبالمجتمع الكردي،

ويتأملون في تاريخ الأكراد ولغتهم وثقافتهم وآدابهم، ويفكرون بكردستان ويقارنوها بمجتمعات مماثلة»[1].

تطوّر وعي الأكراد بهويتهم في مواجهة الضغط الأمني والسياسي، وبعدما كانوا يحاولون إقناع «المحققين» بأنهم أكراد، وأن ما يتحدثون به هو لغة مختلفة عن لغتهم (المحققين)، أصبحوا يتحدثون باللغة الكردية، ويبدو أن المؤسسة الأمنية «تكيّفت» مع إصرار الكردي على أن يجيب في التحقيق بلغته هو[2]. ودار سجال حاد في تركيا في شأن مشروع قانون يُمكّن الكرد من المرافعة أمام المحاكم باللغة الكردية[3].

أولًا: الـهُويات الكردية: الفرعية والهجينة

أظهرت التطورات أن بعض المخاوف اللغوية للجماعات الإثنية ومنها الكرد كان مبالغًا فيه إلى حد كبير، وذلك لأسباب عديدة منها مثلًا: الانفتاح على اللغات، أو لنَقُل تخفيف الضغط، على اللغات الفرعية أو غير الرسمية، بفعل موجة الديمقراطية وتأثيرات العولمة في مجالات الاتصال وغيره، وبسبب «ثورة الهويات» أيضًا لدى الجماعات الإثنية واللغوية، فضلًا عن التغيير الكبير في النظر إلى مسألة الدولة (والأمة والمواطنة) وطبيعتها وهويتها[4]. هكذا برزت السياسات الكردية المعاكسة في اتجاهات رئيسة تركزت على الهويات العامة والفرعية، وعلى طبيعة الهوية نفسها. وجرى نوع من التأكيد على هوية لغوية وثقافية عامة للكرد، لكن من دون اهتمام كبير بالجوانب التنفيذية والاشتراطات المطلوبة لـ «معالجة» الفروق الإثنية الكبيرة

---

(1) إسماعيل بيشكجي، كردستان مستعمرة دولية، ترجمة زهير عبد الملك (سباغنا، السويد: دار APEC، 1998)، ص 14.

(2) المصدر نفسه، ص 15.

(3) وكالة أنباء الأناضول، 24/ 11/ 2012.

(4) انظر مثلًا: جاك دريدا، أحادية الآخر اللغوية، أو، في الترميم الأصلي، ترجمة وتقديم عمر مهيبل (بيروت: الدار العربية للعلوم؛ الجزائر: منشورات الاختلاف، 2008)، وجون جوزيف، اللغة والهوية: قومية – إثنية – دينية، ترجمة عبد النور خراقي، عالم المعرفة؛ العدد 342 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2007).

والصغيرة بين التكوينات الكردية نفسها. وكذلك التأكيد على هويات لغوية وثقافية وجهوية وقبلية تحت المظلة الكردية. ولم يكن الاختلاف بين الكرد العلويين والسُنّة والإيزيديين (أو اليزيديين) والشبك والفيليين بالأهمية نفسها التي هو عليها اليوم، وتحوّلت إلى ديناميات تأثير واخترق خارجي للمجال الكردي نفسه[5].

يقول مارتن بروينسن: «إزاء هذه التخوم الشائكة بين الجماعات الإثنية - بعضها تخوم واضحة وبعضها هلامية - يخلص المرء إلى أن للإثنية الكردية نواة كانت، بحلول القرن العشرين، تتألف من القبائل المسلمة الناطقة بالكردية. وأن القبائل الناطقة بالزازائية والكورانية، أو في الأقل السُنّية منها التي تعيش في بيئات إيكولوجية مماثلة ولها تاريخ مشترك مع جيرانها الناطقين بالكردية، كانت بصفة عامة أيضًا تشكل جزءًا من هذه النواة. وكانت القبائل العلوية والإيزيدية (اليزيدية) وأهل الحق والشيعة أكثر هامشية. وأما الفلاحون غير القبليين، أيًا كان دينهم أو لغتهم، فكانوا جزءًا منها. كما كان المسيحيون واليهود خارجها ولكن كثيرًا من الأفراد وحتى مجموعات كاملة كانوا يعبرون التخوم الفاصلة باعتناقهم الإسلام، وكانوا يُقبِلون بوصفهم كردًا»[6].

كما برزت تحولات في الهوية خصوصًا في مناطق التخوم الإثنية، وهو أمر لم يكن واضحًا، ويُرجّح أن السياسات الدولتية لم تتبيّن مدى التعقيد في الواقع الإثني للمنطقة، وهذا الحال ليس جديدًا، بل له جذور سابقة. و«تضمنت الوثائق العثمانية إحالات على قبائل توصف بأنها من «الكرد التركمان» أو «التركمان الكرد»، وهي تسميات غير مفهومة بوضوح، لكنها توحي بدرجة من الاندماج الثقافي بين عناصر تركية وكردية وغياب تخوم إثنية واضحة بينها[7].

---

(5) انظر وقارن: مارتن فان بروينسن، «طريق الكرد إلى بناء الأمة،» في: فالح عبد الجبار وهشام داود، الإثنية والدولة: الأكراد في العراق وإيران وتركيا. ترجمة عبد الإله النعيمي (بيروت؛ بغداد: مركز الدراسات الاستراتيجية، 2006)، ص 46.

(6) المصدر نفسه، ص 47-48.

(7) المصدر نفسه، ص 44.

وثمـة قبائـل عربيـة كرديـة والعكس أيضًـا، وهـي ظواهـر واضحة فـي الفضاء الكردي[8].

ينطبق ذلك على التخوم بين «الهويات الفرعية» مثل السُنّة الكرد والعلويين الترك والسُـنّة الترك والكرد الإيزيديين أو الإيزيديين الكـرد[9]، ذلك أن الحدود أو التخوم بين الهويات والجماعات لم تكن واضحة أو ثابتة، وتغيرت اتجاهاتها مـرارًا في الزمـن القريـب. وأدّت الهجـرات والتحـولات الكثيرة إلـى تغييرات مختلفة في التكوينات والبنى والهويات في المجال الكردي والإقليمي.

ظهـر – علـى سـبيل المثـال – نـزوع قـوي إلـى «هوية علويـة» فـي تركيا باعتبارهـا مظلـة لعـدد مـن التكوينـات القومية مثـل: الكـرد والتـرك والعرب، وكذلـك الحال بالنسـبة إلـى «هوية سُـنية» مظلة لتكوينـات مماثلـة. وإذا كانت «الهوية السُـنّية» هي استمرار لواقع عثماني وسـابق للعثمانية بالمعنى السياسي، وأيديولوجيـا دولتية أو سـلطانية، فـإن «الهويـة العلوية» تبرز بالمعنى السياسـي وباعتبارها أساسًـا للتعبيـر الأيديولوجي بصورة تدرجية[10]. ومـع ذلك لم تطرأ تغيرات كبيرة على المعطى اللغوي، خلا موضوع الهوية الزازائية التي نزع أهلها إلى التعبير عن أنفسـهم بصورة مختلفة تجمع بين كونهـم «لغة» أو جماعة ثقافية ولغويـة، وكونهم جماعةً دينيـةً. ويمكن القـول بصفة عامـة إن ديناميات الهوية الكرديـة أخـذت تقترب كثيرًا – خـلا اسـتثناءات معينة – من الوعي «السـاكن» و«المتصالح» مع الآخر، مع ميل نسبي إلى تكوين هويات لغوية وجهوية وفرعية ووعي مُحدد بأفـق الضرورات التـي تحددها السياسـات والتجاذبـات القائمة. وكان لهـذا دور كبير في معادلة أو موازنة اتجاهات السياسـة بيـن الراديكاليات الكردية وراديكاليات الدول أو السياسات القائمة في «المجال الكردي».

---

(8) مـارك سـايكس، القبائـل الكرديـة فـي الإمبراطوريـة العثمانية، ترجمـه عـن الإنجليزية خليل علي مراد؛ تقديم ومراجعة وتعليق عبد الفتاح علي بوتاني (دمشق: دار الزمان، 2007).

(9) تنشـط المنافسـات بشـأن التكوينات والهويات الفرعية في الفضاء الكردي والشـرق أوسطي والمَهَاجِر (أو الشتات)، ويناقش الكاتب موضوع الهويات الفرعية الأخرى في حيز بحثي آخر.

(10) انظر: بروينسن، ص 46.

ثانيًا: اللغة والجدران

من المفارقات أن الكرد اكتسبوا بعضًا أو كثيرًا من وسائل ووسائط السياسات الإقليمية التي عَدُّوها «معادية» ثقافيًا وقوميًا، وانعكس ذلك على سياساتهم اللغوية ومعنى الهوية والأمة وفكرة الدولة، وخاضوا العديد من التجارب السياسية والحزبية «الفاشلة» بالمعنى التاريخي، ولم يتمكنوا – حتى الآن – من تغيير أو تجاوز العديد من السياسات التي «ناهضوها» سابقًا. وهذا من القضايا الإشكالية في السياسة الكردية المعاصرة. وشكلت مسألة اللغة والهوية موضوعًا للخطاب السياسي والسياسات العامة في المنطقة، وبرزت لفترة طويلة أفكار ترفض تعلم لغة الآخر أو استعمالها، حتى إنها أهملت الترجمة والاتصال باللغات الأخرى، لا لغات «المستعمرين» فحسب. وذكرنا أن الأكراد جَدُّوا السعي من جانبهم إلى موضوع إقامة – إزالة الجدران بينهم وبين الجوار، خصوصًا على صعيد اللغة[11].

1 – إقامة الجدران

قد يكون مجرد التمييز الأولي بين «الأنا» و«الآخر» مؤشرًا إلى خيار سياسي وثقافي وهوياتي، وربما فُهِمَ على أنه قرار بـ «الانفصال» و«القطع» مع الآخر. هذا على الأقل ما تقول به الأيديولوجيا، وهو قصة التكوين الإثني والديني واللغوي والمذهبي في منطقة الشرق الأوسط، وقد تكون قصة العالم أجمع، مع اختلاف نسبي من حيث التطور الزمني والحضاري، فما هو راهن هنا قد يكون ماضيًا بالنسبة إلى مناطق وتكوينات أخرى في العالم.

لكننا بصدد الكلام عن إقامة الجدران، وما تحدثنا عنه للتو، ينطبق بكيفية تامة تقريبًا على حال الكرد في المنطقة، ذلك أن سعيهم إلى تحقيق «الهوية» كثيرًا ما يُعد سلوكًا تآمريًا و«عدوانًا» فكيف مطالبتهم بالحقوق الإثنية والسياسية و«حق تقرير المصير»؟ وقد ينطبق ذلك بالمقابل على المطالب المؤسَّسة على

---

(11) نحيل مقاربة أو منازلة الجدران في ما يتعلق بالكرد إلى: نزار آغري، كاكا والجدار: الأكراد بين منازلة الجدران ونفيها (بيروت: دار الجديد، 1996).

الفـروق اللغوية/ اللهجية وكذلـك الاجتماعيـة والقرابية والمذهبيـة والمناطقية لدى الكرد أنفسـهـم. وعندما يتعلق الأمر بالهوية، يزيد الاهتمام باللغة وتعزيزها وتنظيـم مفرداتهـا وتغييـر أحرف الكتابـة ووضع نواظـم لغويـة ونحوية ووضع قواميس واقتراح «نظرية» عن أصل اللغة ورمزيتها وعلائقها التاريخية والثقافية. كذلك فعل الأتراك فـي بدايات القرن العشـرين. وفعل العرب شـيئًا مماثلًا في هذا السـياق، حيـث رَبَطَ الفكـرُ القومي بين اللغـة والقومية، وثمة مـن اعتبر أن العربية هي «روح الأمة»، كما فعل زكي الأرسوزي مثلًا.

يثير ذلك قدرًا غير يسـير من المخاوف بين الكـرد، وبينهم وبين الآخرين، سـواء أكان فـي الـدول التـي تحكمهـم، أم فـي التكويـن الاجتماعـي والثقافي والسياسـي للبيئة المحيطـة، وهو ما يقيم «الجـدران». وهي كناية عن الشـكوك والمخـاوف والمدارك النمطيـة والعزلة والقطيعة والانفصال السـيكولوجي بين التكوينات الإثنية والقرابية والتضامنية التي أشرنا إليها، من الكرد وغير الكرد.

قد لا تكـون الجدران خيـارًا مطلوبًـا بذاته بقـدر ما تكـون ردة فعل على سياسات الآخر، ومن ثـم فإن «أصحاب الجدران»، أيًا كانوا، وعلى أي مستوى كانـوا، مضطرون أو مدفوعـون، أحيانًا، إلـى اعتماد خيارات وأنمـاط فعل، قد لا تكـون عقلانية بقدر ما تكون براغماتية أو اسـتجابة نمطية للتحديات الكثيرة التـي تواجههـم. وهنا يمكن الحديـث عن مسـتويين من الجـدران: **الأول**، هو إقامـة الجـدران أو الحواجز بين اللهجـات/ اللغـات داخل الفضـاء الكردي، بحيث يكون التفضيـل المجتمعي أو الثقافي أو السياسـي لمصلحـة واحدة أو أكثر من اللهجات الكردية بِعَدِّها «سـلة» بدائل للتأسـيس اللغـوي للجماعة أو الأمـة أو القوميـة الكردية المفترضـة أو المأمولـة. وهنا يمكـن ملاحظة بعض (أو كثيـر) من التوتر والمخـاوف المتزايدة لدى أصحاب اللهجـات «المُهَدَّدَة» كرديًـا بـ «التجاهـل» أو «النسـخ» أو «الإلغاء» لمصلحـة لهجـات ربما تكون محل تفضيل سياسـي كمـا هو الحال في كردسـتان العراق. وعبّـر مثقفون كرد عن رفضهـم التوقف عن التدريس باللغـة الكرمانجيـة - البهدينانية في الإقليم الكـردي عمومًـا، وفي منطقـة بهدينان فـي دهـوك وزاخو خصوصًـا لمصلحة

اللغة السورانية، وعدوا ذلك «خطوة خطيرة إلى الوراء، وستُلحق ضررًا بالغًا بالتواصل اللغوي والثقافي الكردي - الكردي، كما أنها ستكون سببًا لتعميق التشرذم الكردي وازدياد الحواجز بين أبناء الشعب الواحد الموزّع بين أربع دول، عدا عن حرمان الأجيال في بهدينان نفسها من التعلم بلغة آبائهم وأجدادهم، وتعقيد حالة التواصل الكردي - الكردي مستقبلًا»[12]. وثمة مؤشرات متزايدة إلى هذا التوتر أو القلق، لكن من دون بروز مؤشرات جدية إلى احتمال تحوله موضوعًا للصراع والمنافسة السياسية والثقافية الحادة داخل المجال الكردي نفسه.

أما المستوى الثاني فهو إقامة الجدران أو الحواجز بين اللغة(ات) الكردية واللغات الأخرى، خصوصًا اللغات الجوارية [نسبة إلى الجوار]، ولا سيما اللغات العائدة إلى المجال الذي يسيطر على جغرافية «كردستان». ويمكن ملاحظة التغييرات اللغوية ليس على مستوى العلاقة بين اللغة(ات) الكردية أو غير الكردية، وإنما على مستوى التفاوت اللغوي الجيلي، بين الآباء والأبناء مثلًا. يقول كاتب صحافي زار شمال العراق: «عندما نجد أحد الآباء يجيد اللغة العربية حديثًا وكتابة، بل إذا طلب منه في عمله الوظيفي تحرير مذكرة باللغة الكردية فإنه يعتذر لعدم مقدرته على ذلك في الوقت الذي نجد فيه أبناءه لا يعرفون كلمة عربية واحدة فهم يتحدثون ويكتبون باللغة الكردية. وعندما نجد في أسرة أخرى أن الأب وزوجته يجيدان العربية حديثًا وكتابة ومعهما الابن الأكبر في حين أن الأبناء الأصغر عمرًا لا يعرفون العربية، فإن الأمر حينئذ يستوجب وقفة وبحثًا في هذا الأمر. (...) إن اللغة العربية تنحسر في المنطقة بالتدريج، وكلما نزلنا إلى الأعمار الأصغر سنًا وجدناها تتلاشى إلى أن تختفي بصورة شبه تامة لدى الأطفال. وكان من الضروري لبحث هذه الظاهرة الاطلاع على المناهج التعليمية التي كانت سببًا مهمًا لهذه الظاهرة. ومن خلال الاطلاع على الكتب المدرسية والمقابلات مع القائمين

(12) بيان احتجاجي تقدم به أكثر من 200 مثقف كردي إلى رئيس الإقليم الكردي - شمال العراق بتاريخ 14/ 8/ 2006. على الموقع الإلكتروني: <http://www.mesopot.com/default/index.php?option=com_content&view=article&id=217> (Accessed 12/2/2013).

على التعليم في كردستان يتأكد وجود تعديلات مهمة جرت في لغة ومناهج التعليم»[13].

2 - إزالة الجدران

تعني «إزالة الجدران» هنا تفكيك عوائق التواصل والتفاعل النسبي مع مستويين من التكوين أو البناء اللغوي. وهنا يمكن الحديث عن مستويين من إزالة الجدران: **المستوى الأول**، يخص اللهجات/ اللغة(ات) في الفضاء الكردي نفسه، وذلك بفسح المجال أمامها للتعبير والتطور وربما «القوننة» منهجيًا على الأقل، وليس إخضاعها لسياسات إصلاح فوقية وهندسة قصدية مدفوعة بأغراض أيديولوجية توحيدية. وهنا قد يكون المجال الكردي ساحة للتواصل والحوار اللغوي أو اللهجوي، من خلال الكتابة والإعلام والتدريس والترجمة المتبادلة.

أما **المستوى الثاني** فيخص التواصل مع اللغات الأخرى من خلال الكتابة والترجمة والتعليم والحوار والنشر، ويمكن أن تتسع دائرة التواصل أو تتعمّق من خلال الإعلام متعدد اللغات والنشر عن الذات والآخر بلغات متعددة، وكذلك التعليم العالي بالمشاركة مع اللغات والثقافات الأخرى. واتجهت حكومة الإقليم الكردي في شمال العراق إلى التعاون مع جهات إقليمية ودولية ومؤسسات غير حكومية والقطاع الخاص لإقامة استثمارات في مجال التعليم، وهو ما عبّر عنه رئيس الحكومة نيجيرفان بارزاني خلال افتتاح جامعة «إشق» (أول جامعة تركية خاصة في الإقليم) - في مدينة أربيل، حين قال: «إن جامعة إشق هي خطوة في طريق تطوير هذه العلاقات (بين تركيا والإقليم). وفي الوقت نفسه مركز أكاديمي وثقافي متعاون لتطوير هذه العلاقات لكي ندعو المثقفين والمفكرين لإجراء حوار مفتوح بيننا. هذه المحاولة ستكون عاملًا لإزالة احتمال عدم الثقة بين الطرفين وإيجاد تفهم

---

(13) رجائي فايد، «كردستان العراق: أكثر من فدرالية وأقل من استقلال،» كراسات استراتيجية، السنة 15، العدد 156 (2005)، على الموقع الإلكتروني: <http://acpss.ahram.org.eg/ahram/2001/1/1/SBok0.htm> (Accessed 12/2/2013).

واقعي من حيث النية والهدف بين الشعبين الجارين وهذا يصب في مصلحة الطرفين»[14].

ثالثًا: ماذا تفعل السياسة؟

يدخل موضوع اللغة والهوية اللغوية في قلب التقويم والتفكير السياسي للكرد أنفسهم ولدول «المجال الكردي». وثمة تصور يعدّ الكرد يتطورون خارج الدولة وبمواجهتها، وأنهم ربما لم يستطيعوا بناء تكوين سياسي مستقر قادر على رسم سياسات لغوية خاصة بهم وتنفيذها، أو لعل الفرصة لم تُتَح لهم لذلك. ويمكن الحديث هنا عن ديناميتين سياسيتين متعاكستين، لكنهما تفضيان إلى النتائج نفسها تقريبًا، **الأولى** هي وجود الدولة التي تحكم «المجال الكردي»، **والثانية** هي افتقار أو افتقاد الكرد لدولة أو كيان خاص بهم.

1 - وجود الدولة التسلطية

إن الوضع اللغوي مع وجود الدولة يختلف عنه في «غيابها»، وإذا قامت الدولة بسياسات لغوية «توحيدية» أو «إدماجية»، قد يؤدي ذلك إلى أوضاع لغوية جديدة، أو إلى ردات أفعال أو سياسات لغوية معاكسة، ويحرك صراعات أكثر حدة. وما تقوم به النظم في الدول الحاكمة لـ «المجال الكردي» هو تنفيذ سياسات مركبة لاحتواء هوية الكرد اللغوية، البعد السياسي منها على الأقل، وبعضها يسمح ببروز نسبي لملامح هوية ثقافية ثانوية، لكن في خلفية المشهد الثقافي العام.

قد تنظر السياسات العامة إلى الكرد نظرة أمنية أكثر منها نظرة قبول وتلقي واعتراف بالحق في المشاركة السياسية والاجتماعية بصفتهم أكرادًا. ومن ثم

(14) الشرق الأوسط (لندن)، 11/ 24/ 2008. ومن المنتظر أن تستقبل الجامعة المذكورة قرابة 450 طالبًا وطالبة، ويكون التدريس فيها باللغتين الإنكليزية والتركية. وشكل ذلك خطوة رمزية على نوع مستجد نسبيًا من العلاقات الثقافية بين الإقليم الكردي وتركيا، إذ حضر حفل الافتتاح مسؤولون سياسيون وبرلمانيون، كما وجّه وزير الخارجية التركي (آنذاك) علي بابا جان خطابًا بالمناسبة.

فإن المطالـب الكردية، على هـذا الصعيد، تُقابَـل بمزيد من الشـكوك والحذر، وربمـا مزيـد مـن الإجـراءات الأمنيـة بِعَدِّهَـا أحـد مصـادر التهديد لــ «الأمن الوطني».

ما يحدث للكرد ليس استثناءً، إذ حدث شـيء من ذلـك وأكثر لأمم أو جماعـات إثنية قومية ودينيـة وثقافية فـي مناطق أخرى من العالم، وسـجلت الكتابات التاريخية والأنثروبولوجية والمسـوح الاجتماعية والإثنية الكثير عن حوادث العنف المـادي والرمزي بدءًا مـن التمييز الثقافي والمـدارك النمطية السـلبية إلـى أعمال التطهيـر والإبـادة[15]. وهذا ممـا يطول الـكلام فيه، وهو خارج إطار بحثنا الآن. ومع ذلك يمكن الإشـارة إلى ما حدث لهنود «العالم الجديـد» بعد الاكتشـاف الأوروبـي لـه[16]، وللأرمن فـي السـنوات الأخيرة للدولـة العثمانية[17]، وما حدث لشـعوب مختلفة في أفريقيا وآسـيا والشـرق الأوسط.

الواقع أن «هندسة» اللغات المحلية وإدماجها في لغة رئيسة، أو على الأقل اعتماد لغة رسـمية (واحدة أو أكثر)، وإبقاء اللغات واللهجات الفرعية في إطار التعليم المحلي والجهوي، هو هاجس عدد كبير من الدول ذات التكوين الإثني

---

(15) انظـر مثلًا الدراسـات المرجعية التاليـة: حنة أرندت، فـي العنف، ترجمـة إبراهيم العريس، الفكر الغربي الحديث (بيروت: دار السـاقي، 1992)؛ عدنان حـب الله، جرثومة العنف: الحرب الأهلية في صميم كل منا، تقديم صلاح سـتيتية؛ ترجمة فريدريك معتوق (بيروت: دار الطليعة، 1998)، وهادي العلوي، فصول من تاريخ الإسلام السياسي (دمشق: دار المدى، 1999).

(16) نعـوم تشومسـكي، سـنة 501: الغـزو مسـتمر، ترجمـة مـي النبهـان (دمشـق: دار المدى، 1996)، ومنير العكش، حق التضحية بالآخر: أميركا والإبادات الجماعية (بيروت: رياض الريس، 2002).

(17) انظـر مثـلًا: Taner Akçam, *From Empire to Republic: Turkish Nationalism and the Armenian Genocide* (London; New York: Zed Books, 2004), and Donald E. Miller and Lorna Touryan Miller, ***Survivors**: An Oral History of the Armenian Genocide* (Berkeley: University of California Press, 1993).

وبصـدد وجهة النظر التركية انظر مثلًا الدراسـة التي أصدرتها الجمعية الوطنيـة التركية (البرلمان) عن الأرمن في نهاية الفترة العثمانيـة: Ataöv Türkkaya, ed., *The Armenians in the Late Ottoman Period*, Council of Culture, Arts and Publications; no. 90, 2nd ed. (Ankara: Turkish Historical Society for the Council of Culture, Arts and Publications of The Grand National Assembly of Turkey, 2001). The Full Text of Book Is Available Online at: <www.tbmm.gov.tr/yayinlar/yayin1/armenian.htm> (Accessed 12/2/2013).

واللغوي المركب، ذلك أن الارتباط في معنى الأمة - القومية بين اللغة والهوية المميزة لتلك الجماعة من جهة، وما عُرِفَ بـ «حق تقرير المصير» للشعوب هو مصدر القلق وليس مجرد وجود لغة لدى جماعة إثنية هي جزء من التكوين الاجتماعي للدولة المعنية. وذكر إريك هوبسباوم أن «أي شعب كان يعتبر نفسه «أمة» سيطالب بحقه في تقرير المصير [...]. ونتيجة لهذه المضاعفة للأمم «غير التاريخية» المحتملة، أصبحت الإثنية واللغة المعيار المركزي، أو المصيري بشكل متزايد، أو ربما المعيار الوحيد لأمة محتملة»[18].

2 - غياب الدولة الكردية

ماذا عن غياب الدولة الكردية؟ هل يمكن أن يحدث الاندماج أو التهجين الكردي بغياب إرادة سياسية جامعة، وفي ظل إكراهات دولتية وإقليمية قاهرة؟

لا توجد مؤشرات كثيرة إلى حدوث وحدة أو حتى مجرد تقارب بين لهجات أو لغات - مهما كان التشابه بينها - من دون فاعلية سياسية عُليا، أو من دون دولة. وتُبيّن التجارب المعاصرة لتشكّل اللغة - الأمة خصوصًا في أوروبا وأميركا اللاتينية وبعض الدول في المنطقة مثل تركيا وإيران وغيرها أن التكوين اللغوي «الحديث» أو لنقل اللغة الرسمية، هي نتيجة جهد تقوم به أساسًا السياسات العامة للدول التي تقوم بتخصيص الموارد المادية والمعنوية، وتَجِدُّ في تأمين مستلزمات «البناء اللغوي والدولتي أو الكياني المستقر بمواجهة عوامل الانقسام والهويات الفرعية سواء أكانت لغوية أم لهجية أم عرقية.

ليس لدى الكرد تلك الإمكانية، فهم يفتقدون سياسات عُليا تعمل على تعميم التعليم باللغة(ات) الكردية والحفاظ على المخزون اللغوي والثقافي من خلال الإعلام والمدارس والجامعات ومجامع اللغات، بل إنهم لا يزالون - وإن بدرجة أقل مما كان في الماضي - عرضة لسياسات «الاحتواء» التي تحدثنا عنها. والواقع أن السياسات الدولتية تقوم بما هو أكبر وأخطر من

---

(18) انظر: جوزيف، ص 168.

«احتواء» التطور اللغوي وذلك بوضع الأطر القانونية لـ «الحد» من استخدام لغات أخرى.

يجتهد الكرد في صوغ أو صناعة سياسات معاكسة من أجل الحفاظ على الهوية وكل ما من شأنه أن يجعل الكردي كرديًا، أي مختلفًا عن العربي والتركي والأرمني. والكرد لا يعملون من أجل إثبات أنهم غير عرب أو غير ترك فحسب، بل إن مساعيهم تتركز، ولو في المدة الأخيرة، على معنى الهوية الكردية، ليس بإثبات سلبي واحترازي، وإنما بمحاولة نهج سياسات بناء وتطوير للهوية من خلال «الانفتاح» على العالم.

يقوم الكرد - كما ذكرنا سابقًا - بتعليم أنفسهم «لغاتهم»، شفاهةً، وأحيانًا كتابةً، وثمة صعوبات حتى الآن لإنشاء المدارس الأهلية والمحلية (خارج النظام الرسمي). وإذا عرف المتلقي درجة المعاناة على هذا الصعيد، يتفهم لماذا لا يمل الكردي تكرار القول إنه يكتب أو يتحدث بالعربية مع أنه يفكر بالكردية.

أذكر خلال حضوري حلقة نقاش في حي الأشرفية في مدينة حلب - سورية، أن منظم الجلسة ذَكَر أنه سيتحدث بالعربية ترحيبًا بضيف لا يعرف الكردية، وسألني الضيف: لماذا لم تتعلم الكردية؟ فعاجله أحد الحاضرين بقوله: «مو لازم يتعلمها الأكراد بالأوّل؟!».

عادة تتواصل المنظمات الكردية في اجتماعاتها الحزبية والسياسية والمناسبات العمومية بالكردية، لكن المنشورات تكون بالعربية، ويحدث شيء مماثل في تركيا والعراق وإيران. ومن ثم فإن العمل السياسي (والثقافي والإعلامي) يتشكل وفق ثنائية لغوية «اضطرارية»، وهذه قصة المعاناة الكردية مع «العجز» أو «الفشل» اللغوي، الكتابي في المقام الأول، إذ يتحدث الكردي بلغته لكنه يكتب - حتى الآن، وإن بدرجة أقل نسبيًا - بلغات الآخرين.

رابعًا: اللغة و«تجاذبات» السياسة الكردية

يُواجه الخطاب السياسي الكردي تحديات تتعلق بالاختيار اللغوي، والسياسات اللغوية الكردية البديلة (أو المعاكسة)، وهي تحديات خلافية بين الكرد أنفسهم. ذلك أن اللغة القومية ليست «مقدسة» بإطلاق، أو أنها ليست «حتمية الانتصار»، ولا تشكل ضمانة دائمة للوجود القومي أو التوحد السياسي، ولن تستمر بين مستخدميها ما لم تصبح هي نفسها قيمة ثقافية نشطة، وإلا فإنها تضمر بصورة «طبيعية»، كليًا أو جزئيًا، لمصلحة مفردات أو أنماط لغوية أخرى.

يبدو أن موضوع اللغة «يتقدم» في بعض جهات كردستان (والشتات)، خصوصًا في كردستان العراق مع وجود إرادة سياسية وتكوين سياسي مستقر نسبيًا، لكن ليس ثمة خطوط واضحة بشأن المستقبل اللغوي لعموم الإقليم نفسه وبالنسبة إلى «كردستان» ككل. وأشارت ندوة سياسية - ثقافية عقدت في جامعة صلاح الدين - شمال العراق (10 - 13 شباط/ فبراير 2007) إلى أهمية التواصل والتعليم بالكردية في «النضال القومي»، ونوّه المشاركون في الندوة بما تقوم به حكومة الإقليم الكردي مُعبّرين عن تقديرهم لمبادرتها بـ «استقبال طلبة الأجزاء الأخرى وتأمين المنح الدراسية لهم آملين أن تتواصل المبادرة مستقبلًا ويتم اختيار الطلبة على أساس الكفاءة العلمية والوضع الاجتماعي، وفي هذا المجال نقترح افتتاح جامعة قومية باسم «جامعة البارزاني» لاستيعاب الطلبة من خارج الإقليم، وتتخصص بتدريس التربية القومية الإنسانية واللغة الموحدة وتقريب اللهجات»[19].

إن ثمة سياسات جزئية وأهداف أولية قد تكون في طور التجريب، بانتظار نتائج العمل التعليمي والإعلامي وتنظيم خطط توجيهية بشأن تطوير أو تعميم لغة قومية محتملة. لكن الحماسة في ما خص اللغة والهوية قد تؤدي إلى نهج

---

(19) البيان الختامي لأعمال الحلقة الدراسية حول قضايا الحركة الكردية (10 - 13 شباط/ فبراير 2007)، في: هاوار الجديدة (أربيل) العدد 27 (آذار/ مارس 2007).

سياسات متسرعة نسبيًا بشأن الاختيار اللغوي (أيّ لهجة؟) وكيفية التعاطي مع اللغات والتكوينات اللغوية الأخرى.

يتحدث مُعَلِّق كردي بشيء من الإحباط عن تردد السلطات في إقرار لغة موحدة أو فرضها، ذلك أن الأمر يتطلب، بحسب تقديره، نوعًا من «الدكتاتورية اللغوية»، طالما أن الهدف هو مصلحة الكرد، يقول: «إن لا تكون عندك لغة فصحى، بعد سحب الثقة منها، وتروّج للهجات، كما هو الحال مع الوضع الكوردي (....) إن نظرة متأنية لما يُقدّم من مذكرات وعرائض يطالب فيها أصحابها الكورد بتبني الدراسة بلهجاتهم أسوة بالتركمان والكلدو- أشوريين والسورانيين، تبيّن حقيقة وواقعية ما ندّعيه (....) إن التشرذم اللغوي، كائنًا ما كانت الذرائع، يفضي إلى إيجاد قوميات جديدة في رحم الأمة الكوردية، قد لا يقل اختلافها في ما بينها مستقبلًا عن الاختلاف الموجود الآن بين الكورد والشعوب المجاورة»[20].

يأخذ الكاتب على السلطات «واقعيتها»، وهو حكم قد لا يكون دقيقًا، ويَعدّ رؤيتها للتعدد اللغوي نوعًا من «الوقوعية» أو «عدم الجدية»، فيما تنبع منظمات حقوق الإنسان والجمعيات الثقافية والإثنية بخلاف ذلك. وتتضمن الكتابة الإعلامية والسياسية الكردية أنماطًا عديدة من الأيديولوجيا التي تقفز على تعقيدات الواقع وتتجاهل التنوّع اللغوي واللهجي الذي هو شكل من أشكال التعدد الثقافي والاجتماعي والسياسي. وإذا كانت مقولات الوحدة مبررًا بالنسبة إلى البعض لـ «قمع» ذلك التنوع و«إلغائه»، فإن ذلك يمثل مقدمة لأنواع «التجاهل» و«الإلغاء» الأخرى.

إن ثمة مخاوفَ من «الارتجال» و«التسرع» في التعاطي مع ملف بالغ التعقيد والحساسية، كأن «تُقَلِّل» السياسات الكردية من أهمية المطالب اللغوية للتكوينات الإثنية المختلفة من الكرد وغير الكرد، والتداخلات الإثنية المؤثرة

---

(20) محسن جوامير، «بعد أن تمزقت لغتي ..أعلن استقالتي من كورداياتي،» على الموقع الإلكتروني: <http://www.westluristan.com/articles/255.html> (Accessed 12/2/2013).

بحكم التفاعل والتواصل والاختراق الخارجي وطبيعة السياسة الإقليمية (والدولية) التي قد تتعامل مع الموضوع الكردي بالرفض أو الاستعلاء أو القمع أو التجاهل.

إن «اللغة» التي يُحتمل اختيارها كرديًا ربما يجري التعاطي معها كأنها لغة هوية وحيدة البعد، وكأن الإثنية الكردية وحيدة اللغة، الأمر الذي يشكل «تسلطية» لغوية مغلقة ومنقطعة عن التطورات اللغوية التي يشهدها العالم اليوم لجهة الانفتاح على المفردات والمناهج اللغوية وثورة المعلومات، وهذا مبعث خوف و«لايقين» تجاه المستقبل.

إن واقع الكرد اللغوي مُتَعَدِّد ومُشَتَّت ومَيَّال إلى الانقسام والاندراج في أولويات الهوية والهويات الفرعية للكرد، وسيتعيّن على السياسات الكردية أن تركز على الإصلاح اللغوي باعتباره نوعًا من الاستجابة الفاعلة لتحديات الوجود القومي. وهو ما يتناوله الفصل التالي من الكتاب.

الفصل التاسع

الإصلاح اللغوي

إذا كان الإصلاح اللغوي يُعبّر عن إرادة عامة، فإن تجلّياته الكردية ترتبط بإرادة «خارج الدولة» القائمة، وربما «خارجة عليها»، وما يحدث في شمال العراق (على أهميته) هو حتى الآن تطور استثنائي، ومن الصعوبة إطلاق المسمى أو المفهوم الخاص بالإصلاح على المجال الكردي، بسبب غياب ما يُمكن أن نسميه «الإرادة العامة» أو فقدان الدولة الكردية. وقد يتطلب الأمر تركيز الجهد على إصلاح سياسات لغوية عامة، أو ربما تخطيطها باعتبارها جزءًا من سياسات الهوية الكردية المعاصرة.

يتناول هذا الفصل «الإصلاح اللغوي» الذي يمثل خطوة قصدية تستهدف تغيير واقع الكرد اللغوي. وهذا يتطلب تخصيص موارد مادية ومعنوية كبيرة، منها البحث عن نماذج وأطر معيارية للبناء اللغوي الجديد، وهو ما قام به مثلًا جلادت بدرخان الذي اتخذ من اللغة العبرية إطارًا معياريًا أو نموذجًا لـ «الإحياء اللغوي». ويركز الكرد على الجانب الاستعمالي للغة لا الجانب الدلالي بالضرورة. ويمكن تركيز الإصلاح اللغوي المطلوب كرديًا في إجراءات وسياسات رئيسة من قبيل: تغيير الألفبائية العربية المعدلة، وإضافة تعديلات أخرى على الألفبائية اللاتينية، ووضع نواظم نحوية، و«التخلّي» عن الكلمات والتكوينات اللغوية الفارسية والتركية والعربية، وتنشيط الكلمات الكردية، وترميم المخزون اللغوي، والربط بين الهوية القومية والهوية اللغوية.

أولًا: الإصلاح: المعنى والأسئلة

ذكرنا أن الإصلاح يرتبط بالإرادة العامة أو بالأحرى السلطة العامة، ولأنه لا دولة كردية حتى الآن، فإن الكلام عن الإصلاح هو نوع من المجاز بالنسبة إلى الموضوع، ولا غرابة هنا، لأن المجال الكردي برمّته هو مجال مجاز كبير!

الأمر الذي يساعدنا في التخفف من الاشتراطات التقليدية للمفهوم والتركيز على ما نعنيه بالإصلاح اللغوي.

هكذا فإننا لا نُخضِع الواقعَ الكردي للمفاهيم التي لم تنتج منه، وإنما ننظر فيه (الواقع) ونتوسل ما ينتج من ذلك. لكن صعوبة التعميم لا تخص جانب الإرادة والسلطة فحسب، وإنما فقدان الرؤية العامة للمسألة اللغوية أيضًا، بل إن الكرد لم يتفقوا حتى الآن على تشخيص الواقع اللغوي، ولا على إدراج مفردات عامة أو خطط تأشيرية بهذا الخصوص، أما مفردات الخطاب الشائعة فليست أكثر من عناوين وربما بلاغيات لغوية لم يكن بالإمكان التعويل عليها حتى الآن في «تأطير» الرؤى اللغوية للكرد.

هل يمكن أن يشتغل الأكراد على توحيد لغوي في الظروف الراهنة؟ هل لديهم الرؤية الفكرية والسياسية والموارد والظروف السانحة؟ هل يتعلق الأمر بالبناء اللغوي كليًا أو جزئيًا، في البناء الصوتي والقواعد والألفبائية، والمفردات، أم يكون التعدد هو الحل لبناء هوية توحيدية يمكن الجميع استخدامها مع الحفاظ على لغاتهم أو لهجاتهم الأولى؟

تناول هذا الكتاب حتى الآن جوانب متعددة من «التجريب» أو محاولات «الإصلاح» اللغوي مثل تشخيص المسألة اللغوية والإرادة الثقافية والسياسات اللغوية والتجارب اللغوية والألفبائية والتعليم وغيرها، وبقي التركيز على جوانب أخرى لـ «الإرادة العامة» والسياسة العملية للقوى السياسية، وعلى رأسها حكومة الإقليم الكردي في شمال العراق والمنظمات والمؤسسات الكردية في المنطقة والشتات، فضلًا عن التركيز على ما ندعوه «الهندسة اللغوية».

ثمة مدارك متفاوتة في شأن صعوبة أن يفكر الكرد بكيفية مستقرة في بناء لغوي تام الدلالة على الهوية الكردية. ذلك أن الكفاح من أجل الكيانية السيادية كاد يستحوذ على إمكاناتهم ومداركهم، الأمر الذي جعل اللغة هدفًا تابعًا لهدف رئيس هو التكوين السيادي أو الدولتي. وهنا يصبح الكرد أمام نظرية

معروفة في بعض الأحيان: الدولة أولًا. وذكر مسعود بارزاني في اجتماع له في جامعة صلاح الدين في أربيل أن: «المسألة التي سوف أوليها جل اهتمامي هي مسألة اللغة الموحدة ... لا يسمح لأحد أن يضع المصطلحات بحسب هواه ... كل أمة أصبحت صاحبة لغة موحدة، فإنها تصل إلى هدفها»[1]. وكان جلال الطالباني، رئيس جمهورية العراق، ألقى خطابه باسم العراق في الأمم المتحدة باللغة الكردية (السورانية)، بعد إقرار الكردية لغة رسمية في العراق بموجب الدستور الجديد.

يبدو أن السعي اللغوي مدفوعٌ برغبة قوية لدى قادة الثقافة والسياسة الكرديتين. وسبق لمسعود بارزاني في الجلسة المذكورة سابقًا أن طلب تحديد ضوابط لاستخدام اللغة، كما طلب تشكيل مجلس علمي لوضع أطر لتقنين لغة كردية رسمية أو فصحى، فهذا - بحسب أحد الكتّاب - أمر ممكن بل ضروري، على الرغم من الصعوبات الكبيرة الناشئة من دول التواجد، والقليلة أو الصغيرة الناشئة من التنويعات بين الأكراد أنفسهم. يقول صحافي كردي: «إذا أردنا أن نبقى شعبًا واحدًا كما كنا على مر العصور، فلا مناص من اعتماد لغة واحدة ومن ثم فرضها كفرض الصلاة والصوم، من دون أي اعتبار لاختيارات أخرى، وذلك حفظًا لنسيج شعبنا من كل تمزق، وتتويجًا لوحدة الهدف في بناء كيان كوردي يتطلّب منا اللغة الموحدة أولًا وقبل كل شيء، ودرءًا لكل تمزّق قد ينشأ بسبب تشتت لغة شعبنا إلى لهجات ومنها إلى لهجات، وبعدًا عن كل تصادم مع القوانين الكونية التي تتحكم حتى في اللغات واللهجات سلبًا أو إيجابًا»[2].

ثانيًا: التفرع اللغوي: ميل اللهجات إلى «الاستقلال»

لا تحكم الأيديولوجيا التوحيدية اللغوية الجماعةَ الكردية ككل، إذ ثمة من ينظر بواقعية أكثر إلى الموضوع (اللغة)، ويرى أن الواقع أولى بالنظر والاعتبار

(1) مسعود برازاني، تصريحات في 8 نيسان/ أبريل 2007.

(2) محسن جوامير، «هل تتحقق وحدة اللغة الكوردية في عهد رئيس كوردستان؟»، (باهوز (Bahoz)، (موقع إلكتروني)، 11/ 4/ 2007): <http://bahoz.hostoi.com/mohsen_juwamer157.html> (Accessed 12/2/2013).

مـن الأيديولوجيـا التي لم تحقـق الكثيـر حتـى الآن. إذ «ماذا نفعـل بجماعات كاملة، يبلغ عدد كل واحدة منها عدد سـكان دول برمتها، لا تسـتطيع أن تتفاهم فـي ما بينها؟ وكيف نفسـر واقع أن أدبـاء كل «لهجة» كرديـة لا يكتبون إلا بها؟ وكيف تتم ترجمة مؤلفـات من اللغة الكردية إلى اللغـة الكردية؟ هناك مؤلفات كثيـرة مترجمة من السـورانية إلـى الكرمانجية وبالعكس، وكذلـك الحال في ما يتعلـق باللهجات الأخرى ... ولن أبالغ في القول إذا أشـرت إلى أن كثيرين من أفراد الجماعـات الكردية تجهل لغـات بعضها وتتفاهم عن طريـق لغة ثالثة ... يتفاهـم السـوران والكرمانج، في العـراق، باللغـة العربية. وتتفاهـم الجماعات اللوريـة والكورانيـة وغيرهـا، في إيـران، باللغـة الفارسـية. ويتفاهـم الزازائيون والكرمانج، في تركيا، باللغة التركية، وهكذا ...»[3].

يُعبّر هذا الاقتباس عن واحدة من اتجاهات الرأي القليلة نسبيًا في المجال الكردي التي تتحدث بقدر من الواقعية، القاسـية إلى حد ما، لكنها تثير اعتراضًا أو جدالًا من حيث التداعيات المحتملة على معنى الإثنية والقومية الكردية.

يُقـر صاحـب النـص (أو الموقـف) السـابق بـأن للتكويـن اللغـوي تاريخًا طويلًا، وأن التعدد والفروق اللغوية الكبيرة نسـبيًا ليسـت وليدة اللحظة الحديثة وإنما لها تاريخ طويـل وتراكمات، ذلك أن «الهوّة القائمة بين اللهجات الكردية هي أوسع بكثير من تلك القائمة بين اللغات السويدية والنرويجية والدانماركية، مثـلًا، وهـذه اللغـات التي تنهض مـن أرومـة لغوية واحـدة هي أشـبه بلهجات مناطقية للغة واحدة أكثر بكثير مما تؤلفه اللهجات الكردية»[4].

إن الانزياح اللغوي لا ينشـأ بين ليلة وضحاهـا، ومن ثم فإن الإصرار على «التوحيد» اللغوي هو نوع من تدارك اختلاف الأصل اللغوي أو هو توجس من أن يكـون التعدد والفروق مقدمـة لتعدد آخر له بدوره مقدمـات تاريخية وثقافية واجتماعيـة – سياسـية، وظـروف بيئية وأخيـرًا فـروق لغوية واضحة وحاسـمة

---

(3) نزار آغـري، «لغة كردية واحدة أم لغات؟،» ميزوبوتاميا، العدد 1 ([آب/ أغسـطس 2004])، على الموقع الإلكتروني: <www.mesopotamia4374.com/adad1/adad1.htm> (Accessed 12/2/2013).

(4) المصدر نفسه.

أحيانًا. ويضيف الكاتب الكردي: «لقد أصبح مألوفًا، عبر الزمن، إدراج هذه المجموعات تحت غطاء اللغة الكردية. وقد يكون مرد ذلك، على ما يقال، أن اسم الكرد أُطلق على التشكيلات القبلية التي كانت تمتهن الرعي والترحال في أطراف الامبراطوريتين العثمانية والإيرانية (وهذا كان حال القبائل الكردية جميعًا). واكتسب الأمر مع الأيام صبغة سياسية ارتدتها هذه الجماعات في سعيها إلى الاستقلال بذاتها عن هاتين الامبراطوريتين وما تبعتهما من دول. فقد أصبح «الكردي» مدلولًا يشير إلى نزوع في التمايز واكتساب البعد القومي. وقد انزاح هذا السعي شيئًا فشيئًا باتجاه البحث عن هوية قومية يمكن إشهارها في وجه القوميات الأخرى التي يسعى ممثلوها المتطرفون إلى إزاحة الأكراد من اللوحة العامة في المنطقة وإلغاء حضورهم فيها»[5].

ثالثًا: «اليد الخفية»

يتحرك الكرد في واقع متناقض ومتعاكس الاتجاهات، نظرًا إلى أن الأساس التاريخي أو التقليدي للأمة والقومية «لم تكتمل» حيثياته السياسية لديهم، أو أنه شهد انقطاعات كثيرة خصوصًا في بُعد التشكل الكياني والدولتي. ويبدو أن التطور الحداثي (وما بعده) «يزحزح» ذلك الأساس التقليدي لمصلحة المعاني والأبعاد التي ذكرنا آنفًا من حيث الاتصال الاجتماعي والعاطفي والضميري والانتماء، لكنه في الوقت نفسه «يحفز» على تجاوز معنى الأمة والقومية التقليدي، وربما ينشط إلى «ما دون ذلك» مما يعدّه القومويون الكرد (وغير الكرد) هويات فرعية، وهذا مما يُعقّد الموضوع لكنه لا يتحرك تجاه الكرد فحسب بل يشمل كل ما ينضوي تحت مقولات الإثنية والقومية والأمة والتكوين الاجتماعي - السياسي.

مع ذلك نجد أن التعبير القومي للكرد ينشط وتتصاعد وتيرته، سيكولوجيًا وسياسيًا، وهو ما يمكن أن يسمح لنا باستعادة (أو استعارة) العبارة الشهيرة لآدم سميث عن «اليد الخفية» في الاقتصاد التي تجعل الأمور تتوازن بعد كل

---

(5) المصدر نفسه.

تأزم، فتحفظ هنا معنى «الكردية» بصرف النظر عن التسميات: هل هي قومية أم أمة أم جماعة إثنية متنوّعة. وهذا مبعث قلق من جهة التباس الحال، ومبعث طمأنينة لجهة دوامه. لكن ما تكون تلك «اليد الخفية»؟ وهل يمكن أن تتمظهر بـ «الثقافة» أو «الروح الكردية»، الأمر الذي يصعب التثبت منه أو تعيينه، مثلما يصعب نفيه؟

إن الكلام عن «ثقافة» أو «روح» كردية جامعة هو مما يمكن استخدامه في الكتابات التأملية أو الأيديولوجية وربما الكتابات المعرفية عن الأمم والثقافات والتاريخ، وقد يمكن ذلك هنا، لكن معايير التعيين تواجه صعوبات عديدة، خصوصًا أن الموضوع الكردي ليس من «المسلّمات» في السياسة الإقليمية، كما تتنازعه سياسات «إدماج» و«احتواء» عديدة، وتقابلها أيضًا سياسات أخرى «تقسيمية» أو «تذريرية» بمعنى صعود «الهويات الفرعية» أو غلبتها وقوامتها – في بعض الأحيان – على ما يُفترض أنه «هوية قومية».

إن التعويل على اللغة (حتى لو كانت واحدة) في بناء الأمة وإطلاق الفكرة القومية ليس من بداهات السياسة، ولا سيما في منطقة الشرق الأوسط، ولذلك جملة أسباب منها الرؤية السائدة للدين بوصفه عامل رفض بكيفية ما لفكرة الأمة بالمعنى العرقي (أو الأقوامي)، وللانتماءات الفرعية القبلية والمذهبية والجهوية أيضًا، ولنقل تداخل وأحيانًا تناقض وتعدد معنى الهوية والانتماء على المستويين الفردي والجماعي(6).

هنا نجد أن المعطى القومي للكرد لا يتحدد بأبعاد أو محددات لغوية موحّدة أو جامعة، ذلك أن اللغة التي غالبًا ما تُعدُّ (تقليديًا) عاملًا مؤسسًا للأمم قد تكون عامل «إعاقة» لذلك التأسيس التقليدي كرديًا. ومن ثم فإن الرهان الكردي اليوم، ولا نعلم كيف ذلك، هو أن يكون التعدد اللغوي والتداخل مع اللغات «الجوارية» وغيرها هو عامل «تجديد» و«تكيُّف» و«تخليق» لمعنى

---

(6) يناقش الكاتبُ سوسيولوجيا الاجتماع الكردي وجدليات التوحد – الانقسام في حيز بحثي آخر.

مختلف نسبيًا لـ «بناء الأمة» (وربما الإثنية)، مع إدراكنا صعوبة تحديد الوزن النسبي للغة في ذلك. ولا وجود لأي مما ذكرنا بمعزل عن الإرادة القصدية والفاعلة لدى الكرد أنفسهم.

ذكرنا من قبل أن اللغة الفصحى المتفق عليها هي شرطٌ كردي لتكوين الأمة والقومية، ونفترض أن تلك اللغة هي مشروع سياسي، وهي جزء من استراتيجية عامة (لا نستطيع تحديدها بدقة) تحكمها الرغبة في بناء دولة. لكن مفهوم الدولة المفترضة غير محدد، وقد يكون ذلك جزءًا من طبيعة الأيديولوجيا نفسها، ذلك أن المشروع السياسي للكرد، وأي مشروع آخر، يرتبط بالصراع الاجتماعي - السياسي في الفضاء الكردي نفسه وفي البيئة الإقليمية (والدولية).

رابعًا: «النماذج» أو «الأطر المعيارية» للغة: العبرية والفرنسية

1 - جلادت بدرخان: اللغة العبرية نموذجًا

ذكرنا في فصل سابق من هذا الكتاب مشروع جلادت بدرخان اللغوي والإثني، وكتب بدرخان عن مسألة اللغة لدى الجماعات الإثنية الهامشية (أو المهمشة)، وعَدَّ النشاط اللغوي من مؤشرات الأمم الحية، ومن مهمات البناء القومي. ومثلما تحوّلت لغاتٌ من نصوص مكتوبة إلى لغة حية نشطة، كما حدث مع العبرية، وهي المثال الذي يتخذه بدرخان نموذجًا للإحياء اللغوي القومي، فإن من الأولى أن يتركز الجهد على لغة نشطة اجتماعية وشفويًا لكنها غير مكتوبة، أو أن أهلها لا يستطيعون استخدامها على نطاق واسع.

إن اللغة - بتعبير بدرخان - هي واجب قومي، وعلى الكرد - كما يدعو بدرخان نفسه - أن يفعلوا مثلما فعل أليعيزر بن يهودا الذي قام بإحياء اللغة العبرية انطلاقًا من إيمانه بقوميته، «فقد عمل يهودا على تأليف قاموس لغوي لشعبه، فكان يقوم بخلق الكلمات غير الموجودة في لغة ميتة، ومن ثم انتشرت

اللغة العبرية بين اليهود. وعندما توفي أليعيزر بن يهودا في عام 1922 تحوّلت اللغة العبرية - هذه اللغة التي كانت ميتة قبل حوالى 30 - 40 سنة - إلى لغةٍ رسمية في فلسطين بجانب اللغتين العربية والإنكليزية، وهي بالإضافة إلى ما سبق تعتبر لغة الدولة والحكومة معًا»[7].

لكن المهمة أمام الكردي هي - من منظور بدرخان - أقل صعوبة، يقول: «نحن الكرد، لدينا لغة، وهي لغة عظيمة حيث نتكلم بها، وحتى إن أكثرنا لا يعرف التكلم بأي لغةٍ أخرى سوى هذه اللغة، فقط يجب علينا أن نتعلم القراءة والكتابة بلغتنا الأم»[8].

على الرغم من حساسية النموذج المتخذ «بدرخانيًا»، وهو اللغة العبرية، إلا أنه قد يُعبّر عن الهواجس «المسكوت عنها» في الخطاب السياسي الكردي بشأن إمكانية - استحالة التكوين اللغوي والكياني. وبدرخان لم يركز على نماذج أخرى قد تصلح للتحفيز وإثارة الحمية اللغوية القومية أكثر بكثير من الموضوع العبري الذي قد يتحفَّظ كثيرون على اتخاذه نموذجًا، وإشاراته - الواعية أو اللاواعية - بشأن وطن الأجداد والاضطهاد والدولة القومية لليهود.

تتخذ جبهة بدرخان مع اللغة منحيين، الأول: أن يستخدم الكردي لغته، خصوصًا في حياته اليومية والمناسبات الاجتماعية، والثاني أن يتولى استخدام الألفبائية اللاتينية التي يعدّها أكثر توافقًا مع بناء اللغة الكردية من الألفبائية العربية.

ما «يتخيله» بدرخان أو يعمل من أجله هو نوع من «هندسة لغوية» وربما «استدعاء» لـ «مثال» أو «تجربة رجيمة» حصلت في فلسطين، لكنه لا يشير إلى أن ذلك يكتسي معنىً خاصًا. ولا يعتبر الكرد أن القيام باستدعاء تجارب الهندسة اللغوية أو القومية أو «تمثلها»، بدعةً، حتى لو كان كذلك.

(7) جلادت بدرخان، «رجل ولغة،» ترجمه عن الكردية شاهيدار قادوهي، هاوار (دمشق)، العدد 40 (شباط/ فبراير 1942)، على الموقع الإلكتروني: <www.yek-dem.com/adab-we-fan=1-25-8-2005.htm> (Accessed 12/2/2013).

(8) المصدر نفسه.

2 - هندسة لغوية في فرنسا

سبق لأوروبا أن شهدت «هندسات» من هذا النوع، ويمكن الإشارة إلى ذلك في فقرات مقتبسة تدور حول التجربة الفرنسية في صناعة اللغة الوطنية أو هندستها، حيث كتب جواكيم دو بولاي (1522-1560) في كتابه دفاع عن اللغة الفرنسية وبيانها (1549) قائلًا: «إن لغتنا الفرنسية ليست ضعيفة جدًا إلى الحد الذي يجعلها قادرة على إرجاع ما اقترضته من الآخرين بوفاء، ومُجدبةً جدًا حتى تعجز عن إنتاج ثمار خاصة بها نابعة من اختراع جيد، يتم الحصول عليه عبر الصناعة، ومثابرة أولئك الذين يقومون بفلاحتها، شريطة أن يكون لبعض من هؤلاء ما يكفي من الحب لبلدهم ولأنفسهم كي يتمكنوا من إنجاز هذه المهمة»[9].

هذا الرأي على قدَمه وتاريخيته قد يُعبّر بصورة أو أخرى عن أفكار الكرد المهتمين بالتكوين اللغوي، لجهة الألفبائية أو الهندسة اللغوية بخصوص المفردات المستعارة من اللغات الأخرى. يقول دو بولاي: «ينبغي على المترجمين ألا يقلقوا إذا ما صادفوا أحيانًا كلمات لا يمكن نقلها إلى الفرنسية، باعتبار أن الرومان لم يصروا على ترجمة مفردات يونانية من قبيل: علم البلاغة، والموسيقى، وعلم الحساب، وعلم الهندسة، والفلسفة (....) وأكثر المصطلحات المستعملة في العلوم الطبيعية والعلوم الرياضية عمومًا. وإذن ستكون تلك الكلمات في لغتنا مثل الغرباء في مدينة ما (...) ومن ثم، إذا كانت الفلسفة التي زرعها أرسطو وأفلاطون في الحقول الخصبة لآثيكا (Attica) قد أعيد زرعها في سهولنا الفرنسية، فهذا لا يعني رميها في العليق والأشواك حيث ستكون عقيمة، بل تحويلها بالأحرى من شيء بعيد إلى شيء قريب، ومن مغترب إلى مواطن في جمهوريتنا»[10].

(9) جون جوزيف، اللغة والهوية: قومية - إثنية - دينية. ترجمة عبد النور خراقي، عالم المعرفة؛ العدد 342 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2007)، ص 150.

(10) المصدر نفسه.

خامسًا: إشكالية البعد الاستعمالي والبعد المعرفي للغة

«اللغة الكردية الآن بخير، وهي مدينة للرواد الذين اجترحوا الكتابة وفكوا الحصار عنها بأسلحتهم البدائية. ولا يمكن أن تجد كاتبًا كرديًا يستعمل في مقالة له أو قصيدة إلا القليل من الكلمات الدخيلة التي تم تكريدها عبر الزمن وباتت «ملكًا» للقاموس الكردي بعد أن لبست شروالًا كرديًا، وذلك كله لم ينشأ من فراغ ولم تهبط اللغة الكردية التي يكتب بها كتابنا من السماء فجأة. بل تطورت ببطء ونضجت حتى وصلت إلى هذا المستوى الجيد من النقاء والصفاء»(11).

يُحاكي هذا الكلام الحاجة إلى طمأنينة من نوع ما بخصوص اللغة، لكنه يثير تساؤلًا جديًا وهو: كم من الكرد يؤمن بأن اللغة(ات) الكردية لا تستخدم إلا القليل من الكلمات غير الكردية؟ وإذا كان الكلام هنا عن اللغة الشفوية أو اليومية، فقد تواجهه صعوبات أكبر.

يركز فهم اللغة التقليدي على المتكلمين، أي على الجانب الشفوي والاستعمالي المباشر، ومن ثم فإن وجود أشخاص أو جماعات يتوسلون لغة ما في الحياة العامة، قد يكون «شرطًا كافيًا» بالحد الأدنى للقول إن لدى الكرد لغة(ات) حية، لكن ذلك - وبحسب رأي كثيرين منهم - لا يكفي للقول إن اللغة مكتملة وتامة الحضور باعتبارها عاملًا مؤسسًا للأمة والقومية.

إن تركيز الكرد على البعد الاستعمالي، وليس الدلالي بالضرورة، يُعطي وزنًا معنويًا أكبر للفاعل الاجتماعي باعتباره العنصر الرئيس للغة النشطة والقابلة للاندراج في مسار من التطور القومي حتى لو كانت غير مكتوبة، أو كان المتحدث بها لا يستطيع أو لا يملك معرفة بالـ «فصحى». ذلك أن البعد الوجداني والعاطفي والشعور بالانتماء إلى لغة، قد يعطيانها بعدها «الهوياتي» و«القوموي» حتى لو لم تكن لغة كاملة أو تامة لجهة تكوينها أو معرفة مستخدميها بها.

---

(11) جان دوست، الدر الثمين في شرح مم وزين (أربيل: دار سبيريز للنشر، 2006)، ص 48.

هنا يبرز العامل العاطفي والانتماء باعتباره «أساسًا» في معنى الهوية اللغوية والإثنية عمومًا. أما اكتمال اللغة ونضوجها وقدرتها المعجمية والدلالية والأدبية والفكرية والمحتوى المعرفي، فلا تبدو شرطًا أوليًا للربط بينها وبين الهوية. هنا نكون أمام رؤيتين للوضع اللغوي لدى الكرد: الرؤية الاستعمالية والرؤية المعرفية.

1 - الرؤية الاستعمالية

هي «الربط» بين اللغة وطبيعة استخدامها والتعاطي اليومي معها، ذلك أن افتقاد معيار أو نموذج لغوي كردي متفق عليه جعل اللغة الكردية أقرب إلى العربية في المناطق العربية، وأقرب إلى الفارسية في المناطق الإيرانية، وكذلك إلى التركية في المناطق التركية، وقد تشهد «تكيّفًا» على مستوى اللهجات المحلية لتلك اللغات المذكورة، أو «غزوًا» لغويًا مباشرًا أو غير مباشر، وهو ما تبدو آثاره واضحة في واقع الكرد اللغوي.

«يُمكن للمرء معرفة الانتماء الإقليمي لأي مواطن كوردي من خلال الكلمات العربية أو التركية أو الفارسية الداخلة في اللغة الكوردية في كل إقليم كوردستاني»[12]. وهنا تبدو المهمة بالغة الصعوبة، إذ تتجه اللغات المستخدمة، إن صح التعبير، إلى التعدد أو التذرر انسجامًا مع حركة اللغات واللهجات وتعددها وتأثرها بالواقع.

2 - الرؤية المعرفية

هي «الفصل» بين اللغة واستخدامها اليومي أو التمييز بينهما، وهنا يمكن أن نتوصل، نظريًا أو مكتبيًا، إلى تكوين لغوي وقواعدي للكردية بجهد الكتّاب واللغويين، أي استكمال البنية اللغوية لجهة المفردات والقواعد والألفبائية، أي

(12) مهدي كاكه يي، «اللغة الكوردية الموحدة والأبجدية اللاتينية والعربية،» على الموقع الإلكتروني: <www.kord-can.com/vb/index.php> (Accessed 12/2/2013).

«تصنيع لغة» على غرار العديد من التجارب والحالات التي حدثت في العالم، كما في تركيا بدايات القرن العشرين[13].

يبدو أن الجهد على هذا الصعيد يتركز بالأساس في الإقليم الكردي في شمال العراق من خلال تأسيس «المجمع العلمي الكردي» في عام 2001 في أربيل[14]. لكنه «ولد وهو مصاب بمرض الرعاش» خلال سنواته الأولى، على ما يقول الكتاب واللغوي معروف خزندار: «لأن رئيس المجمع كان يعتقد أن المجمع العلمي الكردستاني، منظمة حزبية مثل منظمات اتحاد النساء أو اتحاد الطلبة! [وبعد فترة وجيزة من دورته الأولى] طلب الحزبان الرئيسيان في كردستان من أعضاء المجمع تقديم استقالاتهم لأن المجمع تأسس أول الأمر بطلب من أحد الحزبين، أما الآن فإن الحزبين حليفان وشريكان والمصلحة تقضي أن يشترك الحزبان في تأسيس المجمع!»[15].

كما طُلِبَ من الجامعات والمراكز البحثية أن تولي الجانب اللغوي

---

(13) في شأن خلفية تاريخية لسياسات الهوية اللغوية في تركيا انظر مثلًا: عقيل سعيد محفوض، جدليات المجتمع والدولة في تركيا: المؤسسة العسكرية والسياسة العامة (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2008)، و Özlem Eraydin Virtanen, «Recent Changes in Turkey's Language Legislation,» (Mercator-Working Paper; 11, Escarré International Centre for Ethnic Minorities and Nations (CIEMEN), Rocafort, Barcelona, 2003), pp. 3-7.

وعن التغييرات في اللغة التركية، انظر: Nafi Yalfin, «The Turkish Language Reform: A Unique Case of Language Planning in the World,» *Military Academy: Journal of Science*, vol. 12, no. 3 (2002), pp. 105-121, on the Web: <www.kho.edu.tr/yayinlar/bilimdergisi/bilimder/doc/2002-3/9_bilder.doc> (Accessed 12/2/2013).

(14) صدر قانون المجمع العلمي الكردي في عام 1970، وقانون مجمع اللغة السريانية في عام 1972، وكانت قد تشكلت قبل ذلك بعقود عدة هيئتان للغة الكردية والسريانية إلى جانب المجمع العلمي العراقي الذي صدر قانون تأسيسه في عام 1947. ثم أعيد دمج المجامع الثلاثة بمجمع واحد هو «المجمع العلمي العراقي» تتبعه هيئتانِ للغة الكردية والسريانية، وذلك بالقانون (163) تاريخ (1978). و«المجمع العلمي الكردي» في أربيل أُسس في عام 2001.

(15) حوار معروف خزندار أستاذ الأدب الكردي في جامعة صلاح الدين في: آسو، 6/ 10/ 2007، مذكور في: الصباح الجديد، 26/ 5/ 2008، ص 8. وكلام خزندار عن التدخل السياسي في عمل المؤسسات البحثية والأكاديمية، اللغوية وغير اللغوية، ليس مستغربًا بل قد يكون أمرًا «طبيعيًا» في عدد كبير من البلدان التي تفتقر إلى الديمقراطية وسلطة القانون واحترام الحريات الأكاديمية.

اهتمامها، وعلى الرغم من التطورات المهمة على هذا الصعيد، إلا أن أمامها الكثير لتفعله، خصوصًا في موضوع اللغة، فضلًا عن أن توفير متطلبات البحث العلمي وبناء القدرات البشرية لم يحققا تقدمًا كبيرًا، ربما بسبب التدخلات السياسية في شؤونها. ويعتبر معروف خزندار أن «زيادة هذه المؤسسات [الجامعات والمراكز] من أجل الحصول على المكاسب السياسية، قلل من المستوى العلمي، استحدثت جامعات في المدن والقصبات الكردية دون وجود الكوادر المحلية، ولهذا فإن هذه المؤسسة خرجت من مرتبة الجامعة إلى مرتبة المدارس المتوسطة، وباستطاعتي القول إن بعض مدرسي اللغة الكردية في المدارس المتوسطة أكثر إلمامًا في اللغة الكردية من بعض أساتذة اللغة الكردية في الجامعة»[16].

إن الركون إلى إحدى الرؤيتين المذكورتين قد لا يساعد في الاقتراب من جوهر الحالة اللغوية، ولا يوضح كثيرًا آلية التفاعل بين الرؤيتين المذكورتين. لكن التجارب العملية لـ «هندسة» لغة معيارية أمر قد يفضي إذا ما تم تنفيذه وإدراجه في سياسة عامة في التربية والتعليم والإعلام والنشر إلى نشوء أجيال تتوسل تلك اللغة في معاملاتها ونشاطها العام حتى لو واصلت استخدام اللهجات أو اللغات المحلية/ الفرعية.

ثمة تجارب عديدة بهذا الصدد منها تركيا مثلًا، وهناك أيضًا، وهو ما نكرر الإشارة إليه، فرنسا التي قامت بـ «هندسة» لغة فرنسية ألغت (أو أدرجت) اللغات أو اللهجات المحلية في لغة معيارية أو فصحى واحدة.

سادسًا: هندسة اللغة

يفعل الأكراد اليوم ما اجتهد الأتراك فيه في بدايات القرن العشرين: تغيير الألفباء العربية المعدّلة، وربما إضافة تعديلات أخرى إلى الألفباء اللاتينية، ووضع نواظم نحوية، والتخلي عن عدد كبير من الكلمات والتكوينات اللغوية

(16) حوار معروف خزندار، في: آسو، 6/ 10/ 2007، مذكور في: الصباح الجديد، 26/ 5/ 2008، ص 8.

الفارسية والتركية والعربية وغيرها، وترميم المخزون اللغوي من الإنكليزية والفرنسية، والربط بين الهوية القومية واللغة، ولعل أهم عوامل تأكيد اللغة هو:

1 - ألفبائية جديدة أم «لغة بديلة»؟

اعتماد ألفبائية جديدة وموحدة، ما أمكن، باعتبارها جزءًا من نظام أيديولوجي ورمزي. ويذكر مهدي كاكه يي السياسة المتبعة بهذا الخصوص، فيقول: «إننا بصدد إيجاد كتابة كوردية موحَّدة تستجيب للنطق والصوت الكوردي، ومثل هذه الكتابة المشتركة لا وجود لها على أرض الواقع في الوقت الحاضر، بل إنها مجرد فكرة ومشروع عمل يحتاج إلى مناقشة علمية وموضوعية، بعيدًا من النظرة الذاتية والأيديولوجية، وبعيدًا من التخندق اللهجوي والإقليمي والمناطقي»[17].

هذه مسألة خلافية، فيها تجاذبات كثيرة في شأن أي ألفبائية ممكنة، فحتى الألفبائية اللاتينية تشهد تجاذبات بشأن «التعديلات» أو «التبيئات» [نسبة إلى بيئة] في كل إقليم من كردستان، حتى لدى أكراد الشتات. ويقترح كاكه يي في مقالة نكرر الإحالة إليها في هذا الكتاب، أن يقوم الكرد بالتقريب بين الألفبائية اللاتينية المستخدمة اليوم والألفبائية اللاتينية الإنكليزية، لأنه «من الضروري العمل على التخلص من الحروف اللاتينية التي لا توجد في اللغة الإنكليزية بقدر المستطاع، لتقريبها منها، حيث لا يخفى أنّ اللغة الإنكليزية أصبحت اللغة الأكثر انتشارًا واستعمالًا في العالم وغدت لغة العلم والثقافة والصحافة في العالم. بتقريب الأبجدية الكوردية إلى الأبجدية الإنكليزية، تستطيع اللغة الكوردية مواكبة التطور العلمي والتكنولوجي العالمي».

يناقش الكرد فكرة بديل لغوي من اللهجات واللغات التي هناك من يجد صعوبة كبيرة في التخلي عنها لمصلحة واحدة منها. ويثير اقتراح اعتماد «لغة بديلة» حرجًا كبيرًا، حتى إن أصحابه يفضلون السكوت عنه في النقاش النظري والإعلامي، ذلك أن أمامه (الاقتراح) العديد من العوامل (أو العوائق)

(17) انظر الألفبائية الكردية الموحدة المقترحة في الملحق (4)، ص 245 من هذا الكتاب.

مثـل: الأيديولوجيا والتوتـر العاطفـي وأحيانًـا الراديكالية أو التطـرف القومي، على الرغم من أن ثمـة إمكانية جدية للتفكير النظري على الأقل في «لغة بديلة» باعتبارها خيـارًا أو مسـارًا «ممكنًا» أو «محتمـلًا» كأن يعتمد الكـرد لغة عالمية مثلًا كما حدث لدى شـعوب ودول عدة في جنوب آسـيا، الهند مثلًا، وكما في أميركا اللاتينية وغيرها.

2 – إحلال مفردات جديدة

إحلال مفردات من اللغتين الفرنسـية والإنكليزية، بدلًا من اللغات العربية والفارسـية والتركية، ويشـير كاتب كردي إلى مـا ذكرناه في الفقرة السـابقة عن إمكانيـة الاسـتفادة مـن تجـارب عالميـة باختيـار اللغـة الإنكليزية، فيقـول[18]: «اسـتفاد الهنود من اللغـة الإنجليزية، وأصبحت اللغـة الثانية فـي الهند، إضافة إلى كونها لغة عالمية، وهو المكسب الذي حصل عليه الهنود بسبب الاستعمار البريطاني لبلدهم ... ومن حق الكرد، وخاصة في كردسـتان العراق، الاسـتفادة من عالمية اللغة الإنجليزية، وأن تكون اللغة الثانية بعد الكردية».

3 – ربط المُعطى اللغوي بالأيديولوجي

يتعلق الأمر ببعدين رئيسـين للمسـألة اللغويـة، **الأول** يخص لغـة الكردي (ولهجتـه) بمواجهة لغة الآخر، وهنـا يكون التركيز علـى اللغة/ اللهجة الكردية مهمـا كانت. أمـا البعد الثاني فيخـص اللغة/ اللهجـة الكردية مقابـل لغة/ لهجة كردية أخرى، وهنا تختلف الأولويات، وتحدث منافسات لغوية متفاوتة الحدة، بيـن مطالب بالحفـاظ علـى اللغات/ اللهجات علـى اختلافهـا، أو التركيز على لغات/ لهجات رئيسة منها، أو اختيار واحدة أو أكثر لتكون اللغة الرسمية.

قـد تذهـب النزعـة الأيديولوجيـة القوميـة بالكـردي إلـى أن يدعـو إلى اعتمـاد إحدى اللغات/ اللهجات، وهـي اللغة التي تُقرّها أو تفرضها السـلطات

(18) مؤيـد عبـد السـتار، «آفـاق اسـتخدام اللغـة الانجليزيـة فـي كردسـتان،» **الحـوار المتمدن،** 17/ 12/ 2004، علـى الموقـع الإلكترونـي: <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=28250> (Accessed 12/2/2013).

الكردية، حتى لو اختلفت عن لغته/ لهجته الأم. ويعتبر أصحابُ الأيديولوجيا اللغوية (التوحيدية) أن المواقف والعرائض المطالبة بمراعاة الخصوصيات اللغوية واللهجية، وأحيانًا تفضيلها على غيرها من اللغات/ اللهجات، هي نوع من الوعي الزائف والمدارك السلبية الخطرة التي تأخذ أصحابها إلى مواقع تناقض المصلحة القومية. ويجد كاتب كردي متحمس نوعًا ما أن بعض الكرد يطالبون بـ «تبني لهجتهم الكوردية كلغة للدراسة والإدارة في مناطق سكناهم مراعاة لحقوق الإنسان وحفظًا لها من الانقراض والتدهور وتعرضها للنسيان، ويشددون على حكومة هه ولير [أربيل] وبرلمانها بتلبية مطالبهم، وذِكر ذلك في دستور كوردستان. [و] يظهر أن البعض يقوم بهذا الأمر وهو لا يرى إلا ظاهر المسألة أو طرفًا منها، ولا يسبر غورها ليصل إلى حقيقة مفادها أن مثل هذه المحاولات ليست إلا بداية خطيرة - وخطيرة جدًا جدًا - لتعريض شعبنا للانقسام والتشتت والتشرذم اللغوي المؤكد، بعد أن كان موحدًا، وما زال»(19).

هذا القدر من الأدلجة الفائقة والمبالغات القوموية ليس مألوفًا كثيرًا في قضايا من هذا النوع، وليس مطابقًا لواقع الحال، وثمة العديد من الاعتراضات والتحفظات في الواقع اللغوي والسياسي والاجتماعي في الإقليم الكردي، خصوصًا تجاه «اللغة المفروضة»(20) أو «اللغة الرسمية» أو لنقل تجاه السياسات التي «تُهيّئ» الظروف لمصلحة لغة/ لهجة محددة، و«تسكت» عن الخصوصيات أو المطالب اللغوية الكردية الأخرى أو «تتجاهلها». ويحيل ذلك على مدى تعقيد البعد اللغوي و«الفشل» في إقرار سياسات تستند إلى معطيات علمية وموضوعية وإنسانية في المجال الكردي نفسه.

يبدو أن السعي إلى تأكيد الهوية اللغوية يدفع أصحابه إلى إقامة فواصل بين اللغة «ناقصة الهوية» واللغات المسيطرة (أو الشريكة)، ويأتي إحلال

---

(19) محسن جوامير، «لسان الكورد واحد» (الناس (موقع إلكتروني)، 23/ 10/ 2006): <http://www.al-nnas.com/ARTICLE/MJwamer/23sp.htm> (Accessed 2/11/2012).

(20) نتحدث عن «لغة مفروضة» أو «مقررة» سياسيًا مقابل «لغة طوعية»، أي يتم اعتمادها وتوسلها بشكل طبيعي. والواقع أن تخصيص الموارد والإمكانات لمصلحة لغة/ لهجة معينة مثل السورانية هو نوع من «التمكين» لاعتمادها «لغة فصحى».

الكلمات الإنكليزية وغيرها محل الكلمات العربية مثلًا، في هذا السياق، بِعَدِّ الأخيرة مفردات واردة من «بيئة استعمارية» أو نتيجة تأثيرها المباشر أو غير المباشر.

عندما يسيطر البُعد السياسي على البُعد الثقافي في مسألة الهوية «تتأدلج» اللغة إلى حد يهددها بالضعف والعجز عن التطور والتفاعل مع اللغات والعوالم الثقافية الأخرى، فكيف يكون حال اللغة التي هي أقرب إلى «نظرية» أو «هندسة أيديولوجية» منها إلى واقع لغوي أو حتى واقع مادي؟

إن استخدام اللغة(ات) الكردية (كثير منها غير مكتمل وربما غير «مقونن»، وأحيانًا يكون شفويًا أو شبه كتابي) هو أمر قصدي، أمر سياسي، يعطي أصحابه ميزة أيديولوجية تزيد من «رأسمالهم الرمزي» في بيئتهم الاجتماعية والسياسية؛ ويشكل ذلك أساسًا لتكوين لغوي يتطلب الكثير من الجهد في إصلاحه وترتيب أولوياته، وهو ما يتطلب القيام بتسويات في المجال الكردي بشأن «اللغة الأساس»، هل تكون لغة/ لهجة واحدة أم أكثر، أم يكون الإصلاح اللغوي خيارًا وسياسةً شاملة التكوينات اللغوية واللهجية الرئيسة؟ أم يكون الاتجاه لاختيار «لغة بديلة»؟

الفصل العاشر

اللغة وسياسات الهوية

الهوية مشروع سياسي، وتتأسس سياسات الهوية - إلى جانب معطيات أخرى - على المُعطى اللغوي، ذلك أن الأمم والقوميات هي «جماعات تأويلية»[1]، و«متخيلة»[2]، ولا يكون ذلك بغير اللغة. وينفتح خطاب اللغة - الهوية لدى الكرد على منافسات السياسة، وعلى بؤر التوتر والنزاع بين الكرد والأيديولوجيات اللغوية الرسمية لدول المجال الكردي من جهة؛ والكرد أنفسهم، جماعاتهم اللغوية واللهجية وتداخلاتها من جهة أخرى. ويتداخل البُعد اللغوي مع أبعاد أخرى، وكثيرًا ما تكون الجماعة اللغوية الكردية هي نفسها تقريبًا الجماعة القبلية والقبلية السياسية والتيار السياسي التقليدي والمنطقة الجغرافية، وأحيانًا تكون جماعة دينية أو مذهبية، الأمر الذي يجعل المسألة اللغوية معبرةً بشدة عن إشكاليات التوحيد القومي والهوية الكردية.

يتناول هذا الفصل من الكتاب «اللغة وسياسات الهوية»، حيث تتأسس سياسات الهوية - في جوانب منها - على المعطى اللغوي، وهي تنفتح بذلك على بؤر من التوتر والنزاع بين الكرد وجيرانهم أو «مستعمريهم» اللغويين من جهة، والكرد أنفسهم، جماعاتهم اللغوية أو لهجاتهم من جهة أخرى. ويتضمن المحاور الرئيسة التالية: الأبعاد غير المتلازمة للغة والهوية والقومية، واللغة وبناء الأمة، وإقرار - إنكار تعدد اللغات/ اللهجات، والبُعد اللغوي لسياسات الهوية، وثورة أو فورة الهويات.

---

(1) التعبير لإدوارد سعيد في كتابه، العالم والنص والنقد، ورد في: جون جوزيف، اللغة والهوية: قومية - إثنية - دينية، ترجمة عبد النور خراقي، عالم المعرفة؛ العدد 342 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2007)، ص 163.

(2) التعبير لبندكت أندرسون، في كتابه الجماعات المتخيلة، ورد في: جوزيف، ص 163.

أولًا: اللغة والهوية والقومية: أبعاد غير متلازمة

تُشكل الهويـة الجمعية ضرورة لمـا يمكن أن ندعـوه «الهويـة الفردية» أو «ذات الفرد»، ولا نغفل أن العديد من معاني الهوية المجتمعية ربما يتشـكل في الأسـاس من انسـحاب، بكيفية ما، من مسـتوى الفـرد إلى مسـتوى الجماعة أو المجتمع، وقد يكون العكـس هو الأصل، غير أن مفـردات التحليل ربما كانت أقرب إلى «اكتشـاف» أمر واقع أو «تفسـيره»، ذلك أن مفاهيـم الانتماء والهوية والارتباط بالجماعة والعصبية هي مفردات تفسـيرية وتحليليـة لوقائع، وهذا لا يمنع أن تكـون «خالقة» له. ومن ثم فإن الهوية الفردية تنشـط في فضاء أوسـع، هو الهويـة المجتمعية، ومن دون ذلـك الفضاء فإن المرء يفقـد الكثير من معناه و«هويته»، وهذا الزعم يؤيد المقولة التقليدية أن الإنسان «حيوان اجتماعي».

على الرغـم من إدراكنـا أن الهويـة الثقافيـة أو الإثنية قد لا تكـون ملازمة الفـرد، إلا أنها مـا تلبث أن تكـون كذلك، يقول أرنسـت غلنر: «يبـدو أن فكرة الإنسـان دون أمة تفرض ضغطًا كبيرًا على الخيال الحديث. ينبغي على الإنسان أن يمتلـك قومية كمـا ينبغي عليـه أن يكـون لديه أنـف وأذنان. يبـدو كل ذلك واضحًـا، لكنه للأسـف غير صحيـح. أما وقـد كان يتوجب على ذلـك أن يبدو صحيحًا فـي غاية الوضوح، فإن ذلك هو بالفعل جانب من، وربما اللب الفعلي للمشكلة القومية. أن نمتلك أمة هو ليس صفة أساسية للبشرية، لكنه أصبح الآن كما لو أنه كذلك»[3].

صحيـح أن اللغـة ضـرورة حاسـمة للوجـود الاجتماعـي، لكـن «نظامهـا الداخلي» وتمايزها ونسقها الخاص بها تُعطيها خاصية ودينامية الوجود المستقل عن الجماعة أو الأفراد المتحدثين بها، وهي ليسـت سمة ملازمة للجماعة على نحو غير قابل للانفصال. هذا على الرغم من صعوبة تَخَيُّل وجود جماعة ثقافية أو قومية «واحدة» مـن دون لغة «واحدة»، أو جماعة تغير لغتها من دون أن تغير قوميتهـا أو هويتهـا. والواقـع أن التصـور التقليـدي والعصبوي للقوميـة واللغة

(3) سـتيوارت هـول، «حـول الهوية الثقافيـة،» ترجمة بـول طبر، إضافـات: المجلـة العربية لعلم الاجتماع (بيروت)، العدد 2 (ربيع 2008)، ص 153.

يجعلهما متماهيتين، ويجعل من المستحيل على أصحابه تصور وجود أمة أو قومية خارج اللغة، لغة بعينها.

لكن التغير في الوقائع والفكر اتجه بالتحليل إلى الإقرار بوجود أنساق قومية ولغوية متماشية ومتسايرة معًا، من دون أن يكون ذلك التساير أكثر من توافق مألوف أو «ترابط» تفرضه ضرورات التفاعل البيني للغة والقومية معًا، لكن ذلك لا يشكل أبدًا ترابطًا أو علاقة سببية أو تداخلًا موضوعيًا ملزمًا.

يصعب القول بلحظة زمانية أو مكانية حاسمة لتكوين الأمة واللغة الكردية، على الرغم من أن الأيديولوجيا القوموية والضرورات الثقافية والتاريخية لمعنى الهوية تدفع الكرد إلى اقتراح بدايات وأحداث مُؤسِّسَة، أو على الأقل تأويل ما هو موجود منها في الكتب والحكايات بصورة تضمن تأييدًا، أو حتى نقضًا، لمعطى قومي أو لغوي ما. وعليه في التشكل القومي والتشكل اللغوي يمكن أن يتقدم الواحد على الآخر، وقد يتغير المعطى اللغوي للأمة جزئيًا أو كليًا من دون أن يعني ذلك تغيرًا حاسمًا في المعطى الهوياتي أو الثقافي أو القومي. فكيف يكون الحال مع تغير الأبجدية وأحرف الكتابة وليس اللغة كما حدث مع الأتراك وجزء من الأكراد؟ ونحن نعلم أن اللغة في دلالاتها وأداواتها اللفظية والسمعية - البصرية هي الأكثر تجليًا، خصوصًا لدى الجماعات اللغوية والقومية التي ليست لديها فرص مهمة للتعليم اللغوي والاندماج المشترك بين أتباعها.

إن للهوية تجليات ودلالات رمزية غير لغوية، لكنها ترتبط على نحو مؤكد باللغة أو النظام السيميائي للأمة أو الجماعة الثقافية أو الإثنية. ومن ثم فإن التكوينين اللغوي والقومي ليسا متماهيين أو متلازمين بالضرورة. ويمكن بالتالي لأحدهما (اللغة أساسًا) أن يتغير بصورة مستقلة عن الآخر. كما أن الجماعة القومية لا تستطيع الركون إلى اللغة وحدها، بما هي نظام من الألفاظ والرموز والكلمات ولا بد من الاستعانة بنظم «لغوية» أخرى مثل: الألوان والرسوم والصور، على أنها أدوات للتواصل المعنوي بين الجماعة الثقافية والجماعات الأخرى.

ثانيًا: اللغة وبناء الأمة

تقوم اللغة بدور مهم على صعيد التواصل الداخلي أو الذاتي للجماعة الكردية، وتأكيد الرأسمال الرمزي والتفاعل البيني. وهذه وظائف تتداخل مع معنى الهوية، ما يعني أن على المرء معرفة اللغة لـ «توكيد» هويته و«تعزيزها»، ويترتب على «جهله» اللغة حرمانه من الهوية أو تهديده بفقدانها أو فشله في التواصل الفاعل معها. ولهذا الكلام انعكاس سياسي نذكره في معالجتنا هذه.

عندما تفتقد الجماعة الإثنيةُ الكيان السياسي (الدولتي)، أو تكون غير مُعتَرَف بها من «الآخر»، فإن ذلك يُكسب اللغة لديها أهمية وحساسية زائدتين، حيث تصبح (اللغة) أداة هوية ووجود، ويصبح الكفاح من أجل المحافظة عليها وتعزيزها أحد أهداف العمل السياسي والثقافي.

1 - الأمة: مدارك افتراضية - قصدية

تتوافق المعاني الرائجة عن الأمة على أنها جماعة إنسانية تظللها مدارك عامة لأفرادها مثل أنهم ينتمون أو يشكلون كيانًا واحدًا مؤسَّسًا على روابط ووشائج ذات دلائل وكثافات كبيرة نسبيًا، تختلف عن تلك التي تظلل جماعات أخرى، وهذا هو أساس الهوية لتلك الأمة.

غير أن لمعنى الأمة دلالة سياسية أكثر بروزًا من التكوينات الاجتماعية الأخرى، يتجاوز فيها الشعور بالهوية معنى اللغة (أو شرطها)، متصلًا بأبعاد مفاهيمية أخرى للأمة تنطوي على تكوين لغوي متعدد، أي الأمة التي تتأسس على أكثر من لغة، أو أن الأخيرة ليست شرطًا جامعًا لمعنى الأمة وأبعادها. وهذا على أي حال قول ينسجم مع الدلالة الحداثية، وما بعد الحداثية، للأمة التي تتكوّن بحسب بندكت أندرسون من «جماعات متخيلة» أو «مدارك افتراضية» أو «مصنوعة» أو «قصدية»[4].

---

(4) انظر: بندكت أندرسون، الجماعات المتخيلة، ترجمة محمد الشرقاوي، ط 2 (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1999).

ذكر كارل دويتش قبل أندرسون أن المعنى الرئيس للأمة هو بالأساس الاتصال، والمدارك العامة التي تربط المرء بالجماعة، سواء أكانت تلك المدارك واقعية ومباشرة أم قصدية وغير مباشرة. ومن ثم فإن شرط اللغة لا يكون بذاته وإنما بالقدرة على الاتصال والتشارك الضميري والعاطفي أو الوجداني، وعليه فإن الوحدة اللغوية قد لا تكون شرطًا لتكوين الأمة، كما أن التعدد اللغوي قد لا يشكل تهديدًا لمعنى الأمة. ويمكن أن يُجري الكرد تحليلًا للتكوين القومي أو لمعنى الأمة وفق خطين رئيسين: الأول هو الخط الحداثي الذي يَعدّ الأمة ظاهرة حديثة، ومن ثم فهي إما أنها قائمة كرديًا وفق المعاني الشعورية والإدراكية، وإما أنها «تحت التكوين» نظرًا إلى افتقاد الكرد الانخراط الكافي بالحداثة ولأنهم - حتى الآن - «على هامش» النظام الإقليمي والدولي. والخط الثاني هو الذي يَعدّ الأمة ظاهرة تاريخية، أو أنها تتجاوز التاريخ، نظرًا إلى استمرار الكرد في وجودهم الاجتماعي. هكذا لا تقلل صعوبات الاتصال الجغرافي وافتقاد التكوين الدولتي أو السياسي، من معنى الأمة.

يمكن أن يتشعب الكلام عن الهوية القومية لدى الكرد إلى أكثر من ذلك، كما أن التأويل السياسي المحتمل لتلك الرؤى يمكن أن يذهب مذاهب شتى. هكذا قد تسبق تجليات الأمة في الفكر والسياسة تكوينها في الواقع، والعكس صحيح، بمعنى أن العوامل والعناصر الفاعلة الواقعية لمعنى الأمة خصوصًا لجهة التواصل العاطفي وربما الثقافي والمعطى التاريخي والثقافة الشفوية، تسبق التشكل أو التسمية الحداثية لمعنى الأمة والقومية كما درجت عليه الكتابات والأدبيات السياسية.

أمام هذا التداخل الواقعي والنظري لمعنى الأمة، والوعي المتعدد بها، فإن ثمة خطورة في قولبة المعنى وتقنين اشتراطات الوجود الكردي تحت عناوين وبنود حداثية (أو بعد حداثية) أوروبية أو بنود شبه حداثية شرق أوسطية أو عالمثالثية.

2 - اللغات الأخرى: هيمنة رمزية

تعاني اللغة(ات) والثقافة الكردية عمومًا ضغط اللغات والثقافات الإقليمية، لأسباب مختلفة، قد يكون منها عوامل الهيمنة التاريخية أو السياسية أو الدينية، وهو ما ندعوه بـ «الهيمنة الرمزية». وقد يعود ذلك إلى أنواع أخرى من الضغط، مثل السياسات اللغوية لدول المجال الكردي ومعاناة الكرد الاحتواء اللغوي والثقافي، وما يمكن أن ندعوه بـ «التخلف» أو «مركب النقص».

يمكن اعتبار ذلك نوعًا من «التكيف» الفردي مع الضغط السياسي والثقافي، أو شكلًا من أشكال «استراتيجيا تواصل» وتعبيرًا عن خيار واعٍ، سواء أكان تعبيرًا عن توافق ثقافي مع نظم القيم والسلوك السائدة أو الغالبة، أم تعبيرًا عن انفصال، قد يكون شكليًا، عن النمطية اللغوية والثقافية للوسط الكردي المباشر أو غير المباشر. وقد تكون ثمة أغراض اتصالية تستهدف «توصيل» الأفكار والمدارك والسياسات إلى الآخر.

يمكن تلمّس مداخل الضغط (الموضوعية والذاتية) من جانب اللغات الأخرى على اللغة(ات) الكردية، من خلال النقاط التالية:

- مدخل سيكولوجي، كما هو الحال في استخدام كثيرين اللغة الإنكليزية (مثلًا) في حياتهم العامة والتواصل الاجتماعي في بيئة عربية أو فارسية أو تركية.

- مدخل اقتصادي ويرتبط بضرورات الحصول على فرص للعمل حيث تصبح اللغات الأجنبية من عوامل تعظيم تلك الفرص.

- مدخل مهني أو ثقافي بحيث يكون ثمة ضرورات لتوسل لغات أخرى تمكِّن المتلقي من الحصول على متطلبات علمية وثقافية غير موجودة في لغته الأصل.

- مدخل سياسي ويرتبط بالظروف السياسية والبيئة الدولتية ووضع الجماعة اللغوية التي ينتمي إليها، خصوصًا لجهة الظلم أو عدم الاعتراف بالتكوين اللغوي خارج ما تعتمده أو تعترف به النظم السياسية. ومن ثم قد يميل الفرد إلى توسل لغة أخرى باعتباره نوعًا من الاندراج في الإطار المسموح به سياسيًا، أو من «التقية» السياسية والثقافية.

3 - اللغة أمر سياسي

الصراع في المنطقة، هو صراع لغوي، خصوصًا في الجانب الثقافي والسياسي وأيًا كانت اللغة، كردية (أو إحدى تنويعاتها) أم عربية أم تركية أم فارسية، فهي «غازية» و«مغزوة»، وما التحول اللغوي في مناطق كردستان إلا مؤشر سياسي أكثر منه ثقافيًا.

تتغلغل السياسة إلى اللغة نفسها فتتبدى في حضورها (وغيابها) وكثافة استخدامها وفي مستوى المفردات والتكوينات البلاغية والبيانية المستخدمة أيضًا. وثمة أمل لدى الكرد بأن تتطور السياسة لتتطور اللغة، ويُصبح الحضور المتبادل للسياسة واللغة تعدديًا ومنفتحًا.

يقول بارت «كل لغة تنطوي على لغات». إن «حرب اللغات» في المجال الكردي أمر بالغ الحساسية، ولا نجزم بمآل واضح أو محتمل لتلك السياسات المتعارضة وغير الحاسمة نفسها، ذلك أنه، وعلى رأي ابن حزم، لا فضل للغة على أخرى، «فلا جاء نص تفضيل لغة على أخرى»[5]، غير أن التمييز اللغوي يصدر عن التمييز في المجالات الأخرى، واللغة هي أيضًا مرآة ينعكس عليها أو فيها الحال السياسي والاقتصادي والثقافي، هكذا تتفوق الإنكليزية عالميًا لأسباب معروفة.

---

(5) أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1980)، ورد في: عبد السلام بنعبد العالي، بين - بين (الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر، 1996)، ص 11.

ثالثًا: المعضلة اللغوية: الإقرار - الإنكار

ثمة مستوى آخر من الوعي بالمعضلة اللغوية لدى الكرد، وقد تجد تفسيرات عديدة لظاهرة التعدد في اللهجات لكن بقدر قليل من الجدية، خصوصًا ما يذهب منها للمقارنة باللهجات العربية، وهو نوع من محاكاة «تفسيرية» أو «تغطية» غير فاعلة لواقع مختلف إلى حد كبير.

نفترض أن التعدد على الصعيد الكردي هو نوع من «الانفصال» اللغوي، إذ تتباعد المسافة اللغوية أو اللهجية وتتمايز المفردات والقواعد، وهو ما لا نجده على الصعيد العربي مثلًا. كما أن وجود العربية الفصحى هو نوع من «معيارية» أو «نموذج مؤطر» لمدى التطور اللهجي بحيث يمكن أن يتوسل العربي اللغة «النموذج» أو «المعيار» عندما يعجز عن التواصل من خلال اللهجات.

إن وضع اللغة العربية أفضل كثيرًا من الكردية، وفق الظروف الموضوعية والتاريخية لكل منهما، لكن الكلام عن اللهجات في العربية باعتبارها «نموذجًا تفسيريًا» لا يساعد كثيرًا في فهم تعدد اللهجات لدى الكرد، نظرًا إلى اختلاف السيرة والمسيرة لكل منها. ويمكن تقصي موقفين رئيسين للكرد تجاه ظاهرة التعدد اللغوي واللهجي.

1 - الإنكار

عدم الاعتراف الجاد بالظاهرة، أو «التنكر لها»، وعَدّها مسألة لهجات فرعية تتمايز نسبيًا بعضها عن بعض، وأن ذلك تَطَوّر طبيعي تقريبًا يمكن أن تشهده أي ظاهرة لغوية، متأثرةً بالطبيعة الجغرافية وأنماط العيش والظروف السياسية والعناصر الفاعلة التاريخية، وأن التمايزات أو الفروق ليست مما يعيق كثيرًا التواصل اللغوي بين الكرد، كما أنها يمكن أن تزول من خلال الوعي وحشد المزيد من الموارد المادية والمعنوية للتوصل إلى «تسويات» مقبولة، ومن ثم تحقيق لغة معيارية واحدة (أو أكثر).

2 - الإقرار

الاعتـراف أو الإقـرار النسـبي بالتعـدد اللهجـي الـذي يقـارب فـي بعض الحـالات التعدد اللغـوي ضمن مظلة عامـة، ومثله اللهجات في إطـار أي لغة، وهو ظاهـرة عالمية، ولا يخـص الكرد وحدهـم. إن التعدد المذكور لا يشـكل خطرًا على «الوحدة اللغوية» للكرد بعدّهم أمة، ومن ثم فإن البناء القومي للكرد يؤسَـس على معطى لغوي عمومي، لا تقلل منه أو من قوته تلك الظاهرة. وثمة من يعدّ التعدد اللهجي (حتى شبه اللغوي) نوعًا من الثراء الثقافي.

يبـدو أن ذلك الإقرار - الإنكار للتعدد اللغوي يشـكل هاجسًـا مقيمًا تزيد حساسيته مع الوقت، ويشكل باب المناقشة بهذا الشأن مصدرًا للتوتر والتخوف من أن الاعتـراف بواقع التعدد المذكور هو نوع من الإقـرار بـالانفصال اللغوي ومن ثـم الثقافي وربما القومـي، أو التمهيد لـه ... وكل ذلـك، حتى بعضه، هو نوع من التخلي عن أمل الوحدة الكردية.

تُعبّر هـذه المـدارك على اختـلاف حضورهـا - غيابها عن عـدم الاهتمام الجدي بالموضوع. وثمة تخـوف من أن يكون إنكار الوضـع اللغوي واللهجي هو نوع من القفز على مقتضيات الواقع الكردي نفسه، بكل ما ينطوي عليه ذلك من مخاطر تكوين أفكار ومدارك غير واقعية.

رابعًا: اللغة مسألة وجودية

ثمة من يقيـم علاقة ارتباط أو ملازمة بين اللغة والهويـة الإثنية أو القومية، على الرغـم من أن السـياق العالمي يضـم حالات كثيـرة، فيها فصـل بين اللغة والهوية الإثنية. وإذا كان الكرد ينظرون إلى المسـألة علـى هذا النحو، يُتوقع أن يتركز الجدال على البُعد اللغوي للهوية كأنما هو بُعد جوهري أو وجودي. ومن المتوقع أيضًا أن تركـز الأيديولوجيا الكردية على الهويـات والتكوينات اللغوية باعتبارها جزءًا من إشكاليات المشروع القومي.

هـذه على أي حـال مسـألة قديمـة، ويمكن تلمّسـها فـي التـراث الكردي

باختلاف تجلياته النصية والشفوية وكذلك اللغوية. وهنا يمكن الإشارة إلى الشاعر الصوفي أحمدي خاني الذي يُعبّر عن الإشكالية اللغوية لدى الكرد في ملحمته الشهيرة مم وزين.

1 - أحمدي خاني: «اللغة الكردية في عقد نظيم»

إن البُعد اللغوي في صراع أو سياسات الهوية قديم وليس مستحدثًا، لكنه على ما يبدو لم يتم بإرادة سياسية مباشرة، أو لنقُل لم يتم على نحو ما عرفته المنطقة خلال العقود الماضية، حتى لو كنا لا نملك معلومات كثيرة بهذا الصدد، غير أن هواجس أحمدي خاني تشير إلى ذلك، بما فيه الشعور الكبير بضغط اللغات الأخرى والتنكر والإهمال للغة الكردية، يقول[6]: «ليس خاني مبرزًا في الأدب، لكنه وجد الميدان خاليًا (فاقتحمه)، أي إنه لم يكن ذا قابلية وخبرة بل تعصب لبني قومه وتحمس لهم، والحاصل أنه - ظلمًا أو عنادًا -ابتدع هذه الجديدة (خلافًا للعادة)، لقد ترك صافي الخمر وتجرع الثمالة، إنه رتب دور اللغة الكردية في عقد نظيم، وتجشم المصاعب في سبيل عامة الشعب حتى لا يقول الناس: إن الأكراد يفتقرون إلى المعرفة والأصل والنجيب. إن للشعوب كتبها أما الأكراد فلا نصيب لهم في ذلك!».

يريد خاني أن يقول بأشكال التعبير كلها إن مم وزين هي قصة الإبداع والوجود الكردي الذي يحتاج إلى إرادة الكرد قبل أن يحتاج إلى اعتراف غيرهم. ولعل حماسة الشاعر للغة الكردية هي أحد الأسباب التي أدّت إلى زيادة الاهتمام به كما لو أنه «أب الأكراد»، ليس لعبقريته الفذة فحسب، وإنما لفرادته اللغوية ومخيلته الإبداعية، ولا نعلم لماذا اختار هذه الحكاية وهي شفوية بالأساس، أمن أجل أن يكتبها شعرًا ملحميًا، أم من أجل أن يعيد صوغ علاقة الكردي بحكاياته ومداركه الثقافية والشفوية؟ أم أنه أراد ابتداع الحكاية

(6) جان دوست، الدر الثمين في شرح مم وزين (أربيل: دار سبيريز للنشر، 2006)، ص 186.

مـن جديد وبلغته/ لغاته، ليؤســس لخطاب ثقافي (بمفاعيل سياسـية) لم يُخطئ في تقدير تداعياته على الكرد؟

لـم يكـن شـائعًا أن يكتب الكـرد بــ «الكرديـة» وإنمـا بلغات أخـرى مثل الفارسـية والتركيـة والعربيـة، ومن الواضـح أن ثمة مقاصـد نفسـية أيضًا، ذلك أن خاني مثلًا، لم يكتب النص ليخدم اللغة فحسب، وإنما لأسباب أخرى أيضًا، يقول «خاني»[7]:

« - وأيضًا لكي لا يقول أهل الرأي إن الأكراد لم يجعلوا العشق هدفًا لهم.

- ليس فيهم ذو قلب يَعشق ولا حسناءَ تُعشَق (حرفيًا ليسوا طالبين

ولا مطلوبين، لا محبين ولا محبوبين).

- إنهم محرومون من الحب، فارغون منه بنوعيه الحقيقي والمجازي.

- الأكراد ليسوا كذلك، بل هم أيتام ضعفاء.

- إنهم ليسوا جهلة في مجملهم، لكنهم سيئو حظ لا راعي لهم.

- فلو كان لنا صاحب ذو لطف وكرم.

- وكان العلم والفن والأدب والمعرفة، والشعر والغزل والكتاب.

محط اهتمامه وقبوله.

- لرفعت راية الشعر في أعالي السماء.

- وبعثت روح (ملى جزيري) وأحييت بها (علي حريري).

- وأبهجت (فقيه طيران) كي يبقى مشدوهًا إلى الأبد».

(7) المصدر نفسه، ص 188.

2 - بُعدا الصراع اللغوي: الداخل والخارج

تدور عجلة الصراع اللغوي المذكور بين بُعدين، خارجي يتجه نحو الآخر (العرب والترك والفرس)، وداخلي يتجه نحو «الذات»، الأول منهما صراع على إثبات وجود لغة للجماعة الكردية ككل، والثاني صراع على أي لغة/ لهجة لدى الأكراد هي التي تُعبّر عنهم. وثمة تداخل كبير بين المستويين يتخذ طابعًا أيديولوجيًا مُعقّدًا، إلا أن واقع الحال يشير إلى أن الجماعة الكردية لم تخطُ خطوات جدية، بل لم تتخذ قرارات حاسمة، على صعيد «القطع» مع اللغات الجوارية، خصوصًا على صعيد الأبجدية العربية أو اللاتينية.

ربما كان الوضع الداخلي الكردي - الكردي لا يقل تعقيدًا، لجهة الاتفاق على لغة كردية «معيارية» تكون أساسًا لـ «الفصحى» المحتملة. وتتواجه لهجتان هما بمنزلة لغتين لدى الأكراد، الكرمانجية في الشمال والسورانية في الجنوب، لكن الصراع بينهما «قد لا يكون بتلك الدرجة التي تُمكّن الواحدة منهما أن تصرع الأخرى، بالأخص في المرحلة الحالية، لأن موقع احتكاك اللهجتين بعضهما ببعض يتمركز في منطقتين محددتين هما كردستان العراق وكردستان إيران حيث يُحسم الأمر سلفًا لمصلحة اللهجة الجنوبية بسبب تفوق الكم العددي لناطقيها في كلتا المنطقتين من جانب، وتفوقها المعرفي والثقافي من جانب آخر»[8].

غير أن بعض الكرد يميل إلى اللهجة الجنوبية لاعتبارات كتابية وثقافية، بغض النظر عن الاعتبارات الجهوية والقبلية، وثمة من يعتقد بأن تلك اللهجة مرشحة لأن تكون اللغة الفصحى لأسباب معرفية، تخص حجم الاستخدام والتداول والكتابات والإبداعات الثقافية والفكرية[9].

يبرز في سياق الكلام عن ضرورة البناء اللغوي «الموحد» تعبير عن

(8) برزو محمود، «اللغة الكردية الموحدة: بين الإشكالية والحل،» (عفرين نت، 23/ 8/ 2006).

(9) المصدر نفسه.

ضرورة الاهتمام باللهجات والتكوينات اللغوية المختلفة في المجال الكردي. يقول مهدي كاكه يي[10]: «يجب أن نهتم باللهجة اللورية والهورامية كاهتمامنا باللهجة الكرمانجية الشمالية والجنوبية لأنه لا يمكن التفريط بأي مجموعة لهجوية كوردية أو مناطقية ولا يُسمح لأحد العمل على إهمال أي شريحة كوردية وفرض واقع الانسلاخ عن شعبها الكوردي عليها، بل لا يحق لأحد القيام بمثل هذا العمل الذي يؤدي إلى تشتيت هذا الشعب وتجزئته. بالإضافة إلى الأهمية القصوى للثروة البشرية التي تُشكّلها كل شريحة لهجوية للشعب الكوردي، فإننا يجدر بنا أن نعي بأن كل لهجة كوردية تُمثل ثروة لغوية قومية وإرثًا تاريخيًا للشعب الكوردي، لا يمكن التفريط بها أبدًا».

3 – بين التوحيد والتعدد اللغوي

تبرز المواقف الفكرية والسياسية التي ترتفع باللغة إلى مقام الأولوية الوجودية تحت إلحاح الرغبة في التوصُّل إلى لغة موحدة أو لغة «فصحى» أو الحاجة إلى ذلك. يقول مهدي كاكه يي: «ينبغي وضع المصلحة القومية والوطنية فوق الأهواء الشخصية والرغبات الذاتية والابتعاد عن المنطلقات الأيديولوجية والحزبية والدينية والانحياز اللهجوي والإقليمي والمناطقي وتجنب تسييس المسائل العلمية والثقافية والتجرد من تأثيرات الانتماءات الحزبية الضيقة والاحتكام إلى البحث العلمي للعمل على توحيد اللغة الكوردية... إننا بصدد دراسة مناقشة إيجاد لغة جامعة للكورد في كافة أجزاء كوردستان، تجمع شمل الكورد، سواء الذين يعيشون في كوردستان أو خارجها»[11].

تقترح منظمة Pen الكردية، مقاربة مختلفة للمسألة اللغوية، فتقول: «يجب استعمال جميع اللهجات الكوردية المعروفة، ذات المادة والتاريخ بحرية تامة، وخصوصًا اللهجات القديمة مثل: كرمانجكي – دملي – زازاكي، هورامي –

(10) مهدي كاكه يي، «اللغة الكوردية الموحدة والأبجدية اللاتينية والعربية،» على الموقع الإلكتروني: <www.kord-can.com/vb/index.php> (Accessed 12/2/2013).

(11) المصدر نفسه.

كوراني، لوري. استعمال هذه اللهجات، سيكون السبب الذي يؤدي إلى تقدم وانبعاث وشفافية اللغة الكوردية .ويجب تشكيل أبجدية موحدة، على الأقل، كي تقرب اللهجتين (الكورمانجية والسورانية)، وبذلك تصبح هذه الخطوة فرصة لتحقيق إيجاد إطار مشترك، للأدب وسبل التربية والأفكار والآراء الكوردية»[12].

إذا لم يتمكن الأكراد من إقرار لغة أو أكثر، أو تأكيدها من شجرة اللغات واللهجات الكردية، فهل يكون ذلك مدخلًا أو مؤشرًا إلى انحدار الوعي بالهوية وصولًا إلى غلبة الهويات اللغوية (ومن ثم الإثنية) التي تستهدفها منذ عقود، أو مدخلًا للإقرار بالتعددية اللغوية والهويات الفرعية؟

خامسًا: فورة الهويات

ليس لدينا مؤشرات كافية عما حدث للمشروع الثقافي والقومي الكردي في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، ولا أين كانت «نقطة التحول» في مساره، أو لِنَقُل «انكساره» أمام المشروعات الإقليمية التي كوَّنت سياسات وأقامت كيانات ودولًا أو أشباه دول، تجاهلت التكوين الكردي، حتى لو أن الشعوب لم تُستَشَر في ذلك التكوين، وجاء ضدَ إرادتها ومناهضًا لتطلعاتها[13].

لم تهتم القوميات والتكوينات والسياسات الدولتية كثيرًا لإدراك الظاهرة الكردية، ولا نجد الكثير من التناول العلمي والموضوعي للمسألة الكردية، وهذا ليس بسبب تأخر العمل العلمي والأكاديمي أو وجود أولويات أخرى فحسب، وإنما بسبب مدارك أيضًا تجعل الكرد في مرتبة متأخرة في سلم أولويات العمل

(12) انظر: بيان منظمة Pen الكردية في: عفرين نت، 23/ 8/ 2006.

(13) في شأن التشكل الحديث للمنطقة من منظور تاريخي حدثي انظر مثلًا: دافيد فرومكين، سلام ما بعده سلام: ولادة الشرق الأوسط، 1914-1922، ترجمة أسعد كامل الياس (لندن: رياض الريس، 1992)، ونادين بيكودو، عشر سنوات هزت الشرق الأوسط، ترجمة عبد الهادي عباس (دمشق: دار الأنصار، 1996).

والتفكير وربما السلوك السياسي في المنطقة. وكان سعي الكرد إلى التكوين السياسي والدولتي تَوَسُّلَ أدوات الغرب من جهة، والنظم الإقليمية - المحلية من جهة أخرى، فعمدوا إلى اعتماد سياسات أو استراتيجيات للهوية كان المقصود منها مواجهة ما اعتبروه «استعمارًا ثقافيًا» من الآخر بـ «استعارة» أو «استعادة» أو «استيراد» أدواته الأكثر استعمالًا وتأثيرًا.

ذكرنا أن الهوية مشروع سياسي، وكذلك الأمة والقومية، لكن اتجاهات القوى والرأي العام تختلف عن الكيفيات التي تتجسد فيها معانيها ودلالاتها الكردية. كما أن طبيعة السياسة في المجالين الكردي والإقليمي تتسم بالاضطراب والعنف، وأحيانًا الانقطاع، ومن ثم فإن سياسات الهوية إذ تتأسس على البعد أو المعطى اللغوي فإنها بذلك تنفتح على بؤر من التوتر والنزاع بين الكرد وبيئتهم من جهة، والكرد أنفسهم، لغاتهم ولهجاتهم من جهة أخرى. وسيكون ذلك جزءًا من مجموعة عوامل ومتغيرات أو سياسات يمكن إجمال أهم عناصرها في النقاط التالية:

1 - أسطرة التأسيس

تعني أسطرة التأسيس التركيزَ على الأساطير والمدارك عن أحداث في الماضي البعيد، وبما يشير إلى «العراقة» و«الجذور» الضاربة في القدم من جهة، والدور الكبير للجماعة في التاريخ من جهة ثانية، وكذلك قابلية الاستمرار في الحاضر والمستقبل، ومن ذلك أسطورة كاوا والأساطير عن العقائد القديمة واللغات والأديان والممالك. وهي مفردات يختلط فيها التاريخي بالأسطوري والحدثي بالافتراضي، بصورة يُفهَمُ منها أن أسطرة التأسيس هي نوع من «إدماج» العناصر والمدارك على اختلافها لتكوين صورة عامة على أنها جزء من معلوم ومتعين الجوامع الكردية، وهو تحويل المختلِف والمختلَف عليه إلى «نظام» أو «جماعة» اجتماعية أو ثقافية.

إن أساطير التأسيس تجعل الجماعات قادرة على نسج تاريخ جديد، وذي تأثير مديد في أعضائها، وتمدّهم بالأسباب والذرائع للعمل والتضامن من أجل

الحفاظ على ما يُفتَرَض أنه ماضٍ موغل في القدم ودور تاريخي كبير، ومواصلة ذلك راهنًا ومستقبلًا. وقد تساعد الأسطرة الجماعات «المنقسمة» بصورة خاصة لأنها تضعها تحت مظلة شعورية وعناوين مُدركة. وأسطرة التأسيس هي «تعيين» الجماعة الكردية أيضًا بالعودة إلى «لا زمان» قديم وحدثيات أسطورية وليس بالضرورة حقيقية. وتحدثنا عن جانب من ذلك في فقرات سابقة (انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب).

2 - القبلية والقبلية السياسية

يشهد المجال الكردي حركية نشطة على صعيد التكوين القبلي والعشائري والطائفي، وهي عوامل تكوين وتأسيس تاريخية للبناء الاجتماعي، ولدى عموم التكوينات الإثنية في المجال الكردي والمنطقة ككل التي عَدَّتها الدراسات الاستشراقية (ومن في حكمها) بمنزلة تَشَكُّل فسيفسائي (Mosaic) واسع الطيف.

يبدو أن الاجتماع السياسي الكردي يؤسَّس على تلك الروابط والوشائج القرابية والعائلية والمذهبية، ما نسميه بـ «الظاهرة القبلية»، وعندما يزيد على ذلك إلى التحريك وإلى كونه محددًا نشطًا أو له وزن نسبي كبير في الديناميات والمنافسات السياسية يسمى بـ «القبلية السياسية»[14]. وتتخذ المنافسات والاصطفافات السياسية في مختلف الأقاليم الكردية، خصوصًا في شمال العراق، شكلًا قبليًا و«قبليًا سياسيًا»، ذلك أن العديد من الأحزاب والتنظيمات والتشكيلات المسلحة تعتمد على «عصبيات» محلية وقرابية. وهذا ما يتضح مثلًا لدى المنتسبين إلى الحزب الديمقراطي الكردستاني ومناصريه، فهو يعتمد بالأساس على العصبية البارزانية والتحالف القبلي والعائلي المنضوي تحت

---

(14) انظر تحديد مفهوم «القبلية السياسية» وتطبيقاته في منطقة الخليج العربي في: خلدون حسن النقيب، صراع القبلية والديموقراطية: حالة الكويت (بيروت: دار الساقي، 1996)، ص 19 وما بعد؛ وانظر دراسة عن القبلية والدولة والقومية في الفضاء الكردي، في: Martin Van Bruinessen, «Kurds, States, and Tribes,» in: Faleh Abdul-Jabar and Hosham Dawod, *Tribes and Power: Nationalism and Ethnicity in the Middle East* (London: Saqi, 2002), pp. 165-184.

وانظر بكيفية عامة: Philip S. Khoury and Joseph Kostiner, eds., *Tribes and State Formation in the Middle East* (Berkeley: University of California Press, 1990).

سـلطتها، وكذلك يمكن تلمس نمط من الفرز النسـبي على أساس قرابي وقبلي في الكتلة المحازبة لـلاتحاد الوطني الكردستاني.

3 - «تكريد» الذاكرة والتاريخ والجغرافيا

التكريد، هنا، هو فعل سياسـي - لغوي يتعلق بالهويـة، وتقوم به الجماعة الكرديـة لأنهـا تريـد أن تتأسـس قوميًـا، بالمعنـى الثقافـي والسياسـي؛ ويتمثل بإعطاء الأحداث والمكوّنات الثقافية والرموز والسـرديات بُعـدًا إثنيًا يدخل في تكوينات الجماعة الكرديـة المعاصرة. وهكذا يركز المثقفـون والأيديولوجيون على البحث في الحصيلة الثقافية والمراحل التاريخية العديدة عن معطى كردي مباشـر أو غير مباشر، أو أي أمر قابل للتفسـير أو التأويل بما يخدم تصور الكرد عن هويتهم ودورهم في التاريخ.

يبـدأ «التكريـد» مـن الأسـاطير الشـرقية القديمـة مثـل ملحمـة جلجامش (جلجامـش تعنـي بالكرديـة الثور الضخـم)، فـ «يمكـن التخمين بـأن الملحمة اقتاتت بنسـبة ملحوظة من المصادر الكردية الأولية»[15]، وملحمة كاوا الحداد، وينطبـق ذلك علـى الحصيلة الثقافيـة والحضاريـة للمنطقة من جـذور وأصول سابقة للغات والفنون والسرديات الكبرى.

هنا يكـون التركيـز على «سـردية الأمـة» من خـلال الروايـات والأحداث والمدارك عنها، التاريخية منها والأيديولوجية على السـواء، كما ترد في وسائل الإعلام والثقافة الشفاهية و«بروباغاندا» المنظمات الحزبية والسياسية.

---

(15) عبـد اللـه أوجـلان، « الدفاع عن شـعب الفصـل السـابع هوية تـود التعريف بذاتها بشـكل صحيح،» الحـوار المتمـدن، 25/ 4/ 2005، على الموقـع الإلكترونـي: <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=36115> (Accessed 12/2/2013).

خاتمة

ركّز هذا الكتاب على دراسة العلاقة بين سياسات اللغة وسياسات الهوية في الفضاء الكردي، خصوصًا تطور نظرة الكرد إلى تكوينهم اللغوي، وسياساتهم على هذا الصعيد. ولم يكن هدفه تتبع تاريخ المسألة اللغوية، ولا تاريخ العلاقات المتوترة والعنيفة أحيانًا بين الكرد والنُظم التسلطية في دول «المجال الكردي» والنظامين الإقليمي والعالمي. ومع ذلك اقتضت الدراسة شيئًا من ذلك.

إن هذا الكتاب، بكل ما فيه من تحليل وتغطية لموضوعه، لا يتجاوز كثيرًا «حدوده» العلمية والأكاديمية. ويبدو أنه يختتم بما بدأ به وهو التعبير عن أن ثمة صعوبة كبيرة في «تعيين» الموضوع أو «تشبيره»، وذلك يقتضي أيضًا الاعتراف بصعوبة «تمثيل» من يتكلم عنهم الكتاب أو «تحديدهم»، وما هي المُعطيات والتجاذبات والمدارك والتصورات عن اللغة والجغرافيا والتاريخ والسياسة.

هنا يبرز التحدي الرئيس في ما يخص البناء اللغوي والنواظم المحددة لتطوره، ويبدو أن الموضوع يحتاج إلى مراجعة تُدقِّق في أصل ذلك البناء وتعدده واحتمالات تطوّره ودور السياسات الكردية والدولتية (والإقليمية والدولية) فيه. وقد يكون ذلك جزءًا من حاجة أكثر شمولًا، وربما أكثر تحديًا، تخص القيام بمراجعات الكيفيات المتبعة في التعاطي مع الظاهرة الكردية وتدقيقها.

تتزايد التحديات في الشأن الكردي، وكثير منها مما لا حيلة للكرد تجاهه، ليس لضعف إرادتهم أو قلة عزيمتهم، بل لأن طبيعة الأشياء تفرض نفسها

فرضًا، ربما لأن للسياسة منطقًا لا يحفل كثيرًا بـ «الحق» بل بـ «القوة»، ونحن هنا نتحدث عن البُعد السياسي الملازم تقريبًا لكل ما يمت إلى الكرد بصلة، في التاريخ، وفي الحاضر والمستقبل. والأمر لا يتعلق بما يحق للكرد وما لا يحق لهم (وهذا ينطبق بالقدر نفسه على العرب والترك والفرس)، بل بالكيفية التي تُحَوِّلُ حقًا أو حقيقةً ما إلى مَقولَة اتهامية واستبعادية تُبقي المتهم «على ذمة القضية» أمد الدهر. وعلى الرغم من التراكم المعرفي والسياسي والتجارب الكردية المعاصرة، لا يُسأل الخطاب الكردي ولا يُحَلَّل ولا يُنقَد انطلاقًا من رؤى معرفية، ولا يُعامل «معاملة ندية» بأي مستوى أو شكل. ونعلم أن شيئًا من مبالغة في هذا القول، إلا أننا قد لا نبالغ أو نحيد عن الصواب عندما نقول إن الخطاب الكردي يخضع لمساءلة من جهة وحيدة تقريبًا، هي جهة «المخاطر» الماثلة خلفه، وهي مساءلة لا تهتم بالبناء المنطقي أو الأساس الأخلاقي أو الشرعية السياسية القائمة أو المفترضة لذلك الخطاب، وإنما بالأغراض المطلوبة منه (الخطاب). الأمر الذي يعني أن «الحقيقة» الكردية ترتبط بالسياسة فحسب، تأييدًا أو معارضةً.

لا بد من النظر إلى التجارب اللغوية وسياسات الهوية (للكرد) في ظل غياب سلطة عامة لديها إمكانات ومسؤوليات «توحيدية» أو «إدماجية» أو «تشاركية»، وفي ظل دول (بالأحرى نظم وسياسات تسلطية) تضم الكردي ليس باعتباره كرديًا وإنما بِعَدِّهِ في منزلة بين منزلتين: المواطن (رسميًا) المسمى تركيًا أو سوريًا أو عراقيًا أو إيرانيًا؛ والمواطن «ناقص الهوية» أو «ناقص الأهلية» غير المنتمي إلى الأيديولوجيا الرسمية للنظم أو الدولة القائمة. وهذا يفترض وجود العديد من العناصر الفاعلة والظروف القاهرة التي تمنع الكرد من تطوير مسار لغوي جامع أو سياسات لغوية بينية تفاعلية ومعيارية.

أما الجهد اللغوي لدى الكرد في منطقة أو جهة ما، فقد يُشكل دفعًا مهمًا - بصرف النظر عن درجته ونوعيته - لجهد الكرد في جهات أخرى، غير أن السياسات اللغوية سواء أكانت ردة فعل على سياسات الاحتواء أم صدرت عن وعي عميق بالمسألة اللغوية، ربما تواجه مستقبلًا تحديات كردية متزايدة

خصوصًا لجهة المنافسات والصراعات المحتملة بشأن طبيعة العلاقة بين البعد اللغوي والبعد السياسي للهوية الكردية نفسها، وتحدي اعتبار اللغة(ات) جزءًا مُكَمِّلًا وليس بالضرورة مُؤَسِّسًا لـ «القومية الكردية».

الواقع أن «نظرية اللغة» لدى الأكراد فيها الكثير من الغموض، وربما شَكَّلَ ذلك الأساس الذي يسمح بقدر نسبي من المناورة لتجاوز الذهنيات المغلقة والهويات الفرعية (والغيرية) المتوترة. أما المدارك والمعارف عن اللغة، فقد لا تتعدى كثيرًا التحليل اللغوي لمفردات منتشرة اليوم شفويًا أو حتى كتابيًا، وهذا على أهميته في فيلولوجيا اللغة، لا يفسر الواقع اللغوي للأكراد اليوم، كما أن المفاصل التاريخية والسرديات الكتابية والشفوية الراهنة عن اللغة لا تزيد كثيرًا على كونها فرضيات لا تجمعها روابط جدية.

تكاد السياسات اللغوية لدول «المجال الكردي» وردات الأفعال الكردية تجاهها تركز في ما تركز على «الكلام» أو «التخاطب» بِعَدّه مسألة مركزية(!) وتأتي بعده المفردات الخاصة بالكتابة والإعلام والتعليم، فأول المطالب وأول الحقوق بالنسبة إلى الكرد هو «الكلام». وهذا يُذكِّرُ بعبارة غوته على لسان مفستو في فاوست إذ يقول: «بالكلمات يستطيع المرء أن يفعل كل شيء ... أهو إذًا ضرب من السحر؟ نتكلم فتزول العلل من تلقاء نفسها!».

الملاحـق

الملحق (1)

الأبجدية الكردية في جنوب القفقاس (أرمينيا السوفياتية)[1]

(مقاطع من مذكرات عرب شمو)

في ربيع عام 1925 كنتُ منهمكًا في العمل اليومي متعدد الجوانب عندما تلقيت طلبًا لمقابلة وزير المعارف الأرمني، وكان ثوريًا بلشفيًا قديمًا اسمه مرافيان. لم تكن لدي فكرة عن سبب المقابلة. ذهبت في الموعد المحدد إلى مكتب الوزير، وبعد كلمات الترحيب بادرني قائلًا:

أنتم الكرد لا تمتلكون لحد الآن أبجدية كردية حقيقية، صحيح أن آكوب غازريان، أو كما يسمونه هنا (لازو) قد وضع أبجدية أرمنية للغة الكردية، لكن ثمة شكاوى عديدة من المعلمين بأن هذه الأبجدية تشوّه النطق الكردي.

قلت ... إن في اللغة الكردية أصواتًا لا توجد في اللغة الأرمنية، كما توجد في الأرمنية أصوات لا توجد في اللغة الروسية.

أنت تعلم أن العديد من الأقليات القومية في الاتحاد السوفيتي قد قامت فعلًا بوضع أبجديات لاتينية للغاتها لأول مرة، وهي تُستخدم الآن في التعليم

(1) عرب شمو، طريق السعادة (موسكو: دار نشر الكاتب السوفيتي، 1971) ص 241 – 249، نقلًا عن: جودت هوشيار، «أول أبجدية لاتينية متكاملة للغة الكردية،» على الموقع الإلكتروني: <http:// iraq.iraq.ir/vb/showthread.php?t=67614> (Accessed 23/6/2012).

والثقافة وهناك أقليات أخرى في طريقها إلى ذلك. أقترح عليك القيام بوضع أبجدية لاتينية للغتك الأم.

[ويتابع شمّو يقول]

شرعتُ بالعمل التمهيدي، حيث استعرتُ من المكتبة الألفباء القديمة للغة الفارسية ثم حصلتُ على الألفباء التركية ولكنني لم استعمله إلا نادرًا، وتسلحتُ بكتاب الألفباء الكردية بالخط الأرمني الذي ألّفه (لازو)، وكان كل ذلك من أجل المقارنة فقط، ثم حصلت على نسخة من البحث الذي كتبه يكيزياروف ونشره في العام 1891 في «نشرة الجمعية الجغرافية الروسية – فرع القفقاس»، وعلى الرغم من الأخطاء التي تشوب البحث، فقد ساعدني في ترتيب وتنظيم «المواد الخام» لعملي[2].

ذات مرة، (والكلام لا يزال لعرب شمو) وخلال أحد الاجتماعات سألني مرافيان: متى سنحصل على أبجدية كردية أيها الرفيق شمو؟ قلتُ: لا أخفي عليكم بأن الأبجدية ما زالت بعيدة المنال، ولكنني مع ذلك قمتُ بانتقاء الحروف اللاتينية للأصوات الكردية. فقال: هذا جوهر الأبجدية، دعنا نلتقي لنناقش ما أنجزته لحد الآن.

(يستطرد شمو فيقول) ذات يوم زارني معلم روسي كان يُعلّم الكردية بالأحرف الأرمنية، اسمه ماكولوف، ودار نقاش بيننا حول اللغة الكردية، وقدمت له مشروع الألفبائية، وطلبت إليه النظر فيه وتدقيقه وكتابته بخط جميل ففعل، وزاد على ذلك بإبداء ملاحظات وإيضاحات، وبعد فترة قصيرة توجهت لمقابلة الوزير وقدمت له الأبجدية اللاتينية الجديدة مع بحث مفصل معزز بالإيضاحات والأمثلة التطبيقية. شرع الوزير يقرأ بإمعان وتركيز شديدين وكان يسألني بين الحين والحين: لم انتقيتَ هذا الحرف اللاتيني لصوت كردي معين؟

---

(2) س. أ. يكيزياروف – إثنوغرافي أرمني اهتم باللغة الكردية ونقل منها إلى الروسية العديد من النصوص الأدبية إضافة إلى البحث الذي أشار إليه عرب شمو . أصدر يكيزياروف بالاشتراك مع ل. ب. زاغورسكي معجمين هما : قاموس روسي – كرمانجي وقاموس كرمانجي – روسي وذلك عام 1891 .

قدمت لـه إيضاحات وافية مع أمثلـة تطبيقية، وبعد أن أنهـى الوزير القراءة قال: «لم يتبق سـوى أمـر واحد هو عرض الأبجدية على عالـم لغة في أكاديمية العلوم السـوفيتية ليبت فـي صلاحيتها للتطبيق وليتسـنى لنا طبع كتـاب الألفباء الجديدة والكتب المدرسية الأخرى.

قلـتُ للوزيـر مرافيـان، لقـد اقتـرح عليّ علمـاء اللغـة الأرمـن أن أعرض الأبجديـة الجديـدة علـى الأكاديمـي يوسـف إيكاروفيـج أوربيلـي[3]. فزوّدني برسالة توصية إلى أوربيلي. وذهبتُ للقائه.

كان هذا بداية العمـل الحقيقي. فقد أخذ الأكاديمي يسـأل عن كل صوت ولِـمَ اخترت له هـذا الحرف اللاتيني بعينـه؟ ويطلب منـي أن أردد بصوت عال كل صـوت أو حرف لأكثر من عشـرين مرة. وكانت المناقشـات تسـتمر إلى ما بعـد منتصـف الليـل. أرهقنـي الجهـد المتواصل وفـي قـرارة نفسـي كان الندم يساورني أحيانًا، لأنني أخذت هذه المهمة الشاقة على عاتقي ولكني سرعان ما كنت أطرد هذا الخاطر. وبعد عشـرة أيام كتب العالـم الجليل رأيه في الأبجدية المقترحة وأوصى بتطبيقها في رسالة جوابية موجهة إلى وزير المعارف الأرمني مرافيان.

رجعت بالقطار ووصلت يريفان في ساعة متأخرة من الليل ومع أنني كنت مرهقًا والوقت ليس مناسبًا للزيارة، إلا أنني توجهت على الفور إلى بيت الوزير الـذي لم يفاجـأ بزيارتي في هـذا الوقت المتأخـر. وبعد أن قرأ رسـالة أوربيلي الجوابية قال: «الآن يمكن بكل ثقة واطمئنان المباشرة بتطبيق الأبجدية».

وشرعنا بطبع الكتب المدرسية بالأبجدية الجديدة ثم صدرت بهذه الأبجدية أول جريدة كردية في يريفان وأصبحتُ أول رئيس تحرير لها وهي جريدة ريا تازة. وأصبحت هذه الأبجدية هي الأبجدية المقررة رسميًا لكرد الاتحاد السوفيتي (في جمهوريات أرمينيا وجورجيا وأذربيجان وتركمنستان ... إلخ).

---

(3) يوسـف إيكاروفيج أوربيلي (1887 – 1961) مستشـرق أرمني بارز مؤسس الفرع الكردي في معهد الاستشراق في لينتغراد ومدير المعهد المذكور حتى وفاته.

الملحق (2)

رجل ولغة(*)

جلادت بدرخان

إن كان هنـاك شـخص ذو عـزم وإرادة قوية اسـتطاع أن يجمع شـتات لغة مقطعـة الأوصال وأن يُعيد الحيـاة إلى لغة ميتة - كما سـنذكر الآن - فقد وجد ذلك الشـخص، وأعاد من جديد الحياة إلى جسد لغة ميتة، ووضعها في مصب اللغات الحية، أي إنه وضعها بين تلك اللغات التي ما زال البشـر يتكلمون بها، ويُعبّرون بها عن رغباتهم وغاياتهم.

قلت (اللغات الحية، اللغات الميتة). ومن دون شك، من الناحية الوراثية، اللغات مثلها مثل البشـر في احتضانها الحياة، فهي تلد، وتعيش، وتموت. ومن بيـن تلك اللغات الميتـة، هناك لغات تذهـب أدراج الرياح، حيث تندثر بشـكل نهائـي مـن دون أن تخلّف وراءهـا أي أثر يذكـر: لا كتب، ولا سـطور، ولا أي كلمات تذكر.

هناك لغاتٌ أخرى تندرج ضمن اللغات الميتة، إلا أنها تخلّف وراءها أثرًا

(*) هاوار (دمشق)، العدد 40 (شـباط/ فبراير 1942) ونشرت باسم مستعار هو هركول آزيزان. ترجمها عن الكردية شـاهيدار قادوهي. [اضطر المحرر إلى تغييرات بسيطة في النص لضبط الركاكة كما لتصحيح اسم أليعيزر بن يهودا].

عظيمًا، وكتبًا قيّمة، ولا تزال حتى الآن تُقرأ وتُدرّس إلى يومنا هذا. ولكن على الرغم من هذا وذاك تعتبر من اللغات الميتة لأنها لغة غير متداولة شفهيًا ولا يستعملها الناس إطلاقًا.

تعتبر اللغة اللاتينية في أوروبا وكذلك اللغة العبرية في الشرق من اللغات الميتة. ولكن اللاتينية لا تزال لغة ميتة إلى يومنا هذا، فيما لم تعد العبرية تصنّف في عدادها، فقد أصبحت الآن لغةً حية. وها قد خرج من بين اليهود ذلك الشخص ذو الإرادة القوية الذي أحيا بدوره اللغة العبرية بعد أن كانت ميتة.

اللغة العبرية هي لغةٌ قديمة وتعتبر من اللغات السامية، حيث تعتبر شقيقة اللغة العربية في هذا الانتماء. وقد كُتب التوراة الذي يُعد واحدًا من بين أربعة كتب ذات قيمةٍ عظيمة باللغة العبرية، ولكن هذه اللغة كانت تستعمل فقط في الصوامع ومن العلماء المختصين.

كان اليهود يتكلمون بلغة البلدان التي كانوا يسكنون فيها، وهذا لأنه لم تكن لديهم لغة مستقلة خاصة بهم، لذلك كانوا يتكلمون باللغات الأخرى. وكان من نتيجة الصراع الدائر ما بين الروس والأتراك عام 1877 هزيمة الأتراك وتحرر شعوب البلقان من الاحتلال التركي، وقد حُررت على أيدي القوات الروسية بشكلٍ كامل، حيث كان الشعب الروسي بانتظار هذا الإنجاز، كما كانت الصحافة الروسية تعلّق كثيرًا على دول البلقان الحديثة.

كان في بلاد الروس شابٌ يهودي يدعى أليعيزر بن يهودا، وكان شأنه شأن الجميع بانتظار نتيجة هذا الصراع، فقد كان يرى الشعوب المضطهدة كالصرب والبلغار وغيرهم من الشعوب، وهم يتخلصون من ظلم مضطهديهم، ويحققون استقلالهم. وتحت تأثير هذه الأحداث تعزز الوعي القومي لديه فكان يتأسّف ويتألم للوضع الذي يعيش فيه شعبه. اتّخذ الشاب اليهودي قراره، إذ قال في قرارة نفسه: «يجب أن يعود اليهود إلى وطن أجدادهم، إلى وطن بني إسرائيل، كما يجب أن يكون لليهود لغة خاصة يتكلمون بها أسوةً بالشعوب الأخرى، وهذه اللغة ستكون لغة الأجداد، اللغة العبرية».

بعـد أن تعلّـم بن يهـودا لغتـه، توجّه فـي عـام 1878 إلى باريـس، قاصدًا تلـك المدينـة المضيافة، هنـاك أقام العلاقـات بيهـود باريس، حيـث كان يطور لغتـه، هذا من جهـة ومن جهة أخـرى كان يعمل على نشـر أفـكاره. ولكنه كان يلقـى المعارضة حتى مـن أبناء جلدته الذيـن كانوا يتّهمونه بالجنـون، ولكنه لم يكـن ليبالي بهم، إذ كان يعمل بمفرده وبهمّة كبيـرة وإرادة قوية لتحقيق طموحه العظيم. فقد كان مصرًّا على أن يجعل من شعبه الذي ليست لديه أي لغة خاصة شعبًا له لغته الموحدة الخاصة.

تعلّـم بن يهودا لغتـه – اللغة العبرية – بنفسـه، وبعـد أن تعلّمها أصبح من واجبه أن ينشـرها بيـن أبناء مجتمعه وشـعبه، ولكن لزراعة ما أتـى به من بذور، كان لا بد له من أرضٍ خصبة تبعث الحياة وتساعد على نمو هذه البذور.

في عـام 1881 تـزوّج أليعيزر مـن ابنة معلمـه وتوجّها معًا إلى فلسـطين، وبذلـك أصبحت لديه زوجة مثالية، سـتنجب له أولادًا قريبًا. وهما في السـفينة كان بـن يهـودا يلقّـن زوجته دروسًـا فـي اللغـة العبريـة، وحيـن وصولهما إلى فلسـطين كانت زوجته قد تعلّمت بعض الكلمات. وعندمـا حطت قدماهما في أراضـي فلسـطين، قال لزوجتـه: «مـن الآن فصاعدًا، سـوف نتكلّم فقـط باللغة العبرية». ولكن زوجته لم تكن قد أتقنتها بعد، فحاولت مرارًا وتكرارًا في سبيل إقناع زوجها بالتخلي عن فكرته، ولكن الزوج أصرّ على قراره.

ومما لا شك فيه أن أولاد بن يهودا حتى بلوغهم مرحلة الشباب لم يكونوا يتكلمون إلا بالعبرية، لأنهـم لم يتعلموا لغةً أخرى غيرهـا، لذلك كانوا يعرفون بيـن الناس بـ «الخُرس». ولكـن بهؤلاء الذين كانوا يلقبون بــ «الخُرس» أصبح للشـعب اليهودي لغة خاصة وموحدة، شـأنهم في هذا شـأن بقية الشـعوب في العالم.

كان بـن يهودا يعيش مع أفراد أسـرته في حالةٍ مزرية مـن الفقر والحرمان، ولكـن لا يهـم، فالأفـكار العظيمـة تحتاج إلـى تضحيـاتٍ جسـيمة، لأن الناس لا يعـون ماهية الأفـكار العظيمة بسـرعة. وفي حيـن كان بن يهودا يـأكل الخبز

البائس كوجبة طعام أساسية، وهو يرى أفراد أسرته يتكلمون باللغة العبرية – صدّقوني– كان يعتبر نفسه أسعد إنسانٍ بين البشر.

أخيرًا أصدر جريدةً تُكتب باللغة العبرية بعد أن كان قد أمّن عددًا جيدًا من القرّاء، كما أنهم كانوا قد بدأوا في بعض المدارس اليهودية بتدريس اللغة العبرية.

من جهة أخرى عمل بن يهودا على تأليف قاموس لغوي لشعبه، فكان يقوم بخلق الكلمات غير الموجودة في لغة ميتة، ومن ثم انتشرت اللغة العبرية بين اليهود. عندما توفي أليعيزر بن يهودا في عام 1922 تحوّلت اللغة العبرية – هذه اللغة التي كانت ميتة قبل حوالى 30 – 40 سنة – إلى لغةٍ رسمية في فلسطين بجانب اللغتين العربية والإنكليزية، وهي بالإضافة إلى ما سبق تُعتبر لغة الدولة والحكومة معًا.

أيها الكرد، هذا هو رجلٌ ولغة، وما حققته إرادة رجلٍ واحد من إنجازٍ رائع، حيث يوجد في مسيرة هذا الرجل عبرٌ ودروسٌ مفيدة. ما يوجب على الشعوب المضطهدة والتي لا تملك لغةً خاصة، أو التي ليست لديها لغة شفهية (محكية) أن تتعظ وتستفيد ما أمكن من هذه التجربة. كما أننا – نحن الكرد – لدينا لغة، وهي لغة عظيمة حيث نتكلم بها، حتى إن أكثرنا لا يعرف التكلم بأي لغةٍ أخرى سوى هذه اللغة، فقط يجب علينا أن نتعلم القراءة والكتابة بلغتنا الأم (اللغة الكردية).

وفي يومنا هذا، لا تعتبر القراءة والكتابة باللغة الأم واجبًا شخصيًا فقط، بل تعتبر أيضًا واجبًا قوميًا، ومن لم يقم بأداء هذا الواجب لن يستطيع أبدًا القيام بواجبه القومي، كما أنه لن يفلح في خدمة شعبه. ولكي يعتبر المرء نفسه منتميًا إلى قومية أو شعب ما يجب عليه أن يقوم بخدمة شعبه ومساعدته. وبعد أن أصبح لنا نحن الكرد أبجدية مستقلة وخاصة بنا كبقية شعوب العالم، أصبحت القراءة والكتابة بلغتنا سهلةً جدًا، وقد أثبتت التجارب وحسب ذكاء الإنسان بأن

الكردي يستطيع، في فترة تتراوح بين أسبوع وأربعة أسابيع، أن يتعلّم القراءة والكتابة بلغته الأم.

وفي الحقيقة فإن أغلبية الشعب الكردي لا يعرفون التحدث إلا بلغتهم الأم، ولذلك فهم يتحدثون بها وحدها سواء أكانوا في المنزل أم في الخارج. ولكن يوجد بين الشعب الكردي أقلية ضئيلة من الذين كانوا يعيشون في بلادٍ غريبة أو إنهم الآن يعيشون في تلك البلاد، ويلزم هذه الأقلية إن لم تكن تعرف التحدّث بلغتها، أن تتعلم لغتها الأم ومن ثم يجب عليهم أن يفعلوا كما كان يفعل أليعيزر، أي أن يتحدثوا بها داخل بيوتهم ومع أولادهم، وأن لا يتحدثوا بأي لغة أخرى سواها.

نعم، يجب على هذا القسم من الشعب الكردي، وبمجرّد عودتهم إلى منازلهم أن يغيّروا من لغتهم كما يغيرون من ثيابهم ويرتدون الثياب المنزلية، فلا يتحدثوا بلغة دخيلة أو غريبة ضمن منازلهم، بل عليهم الاعتماد على اللغة الكردية وأن يحافظوا عليها كما يحافظون على شيء مقدّس.

الملحق (3)

شجرة اللغات واللهجات الكردية(*)

تخطيط (أ)

تفريعات اللغة الهندو - أوروبية «البدائية»

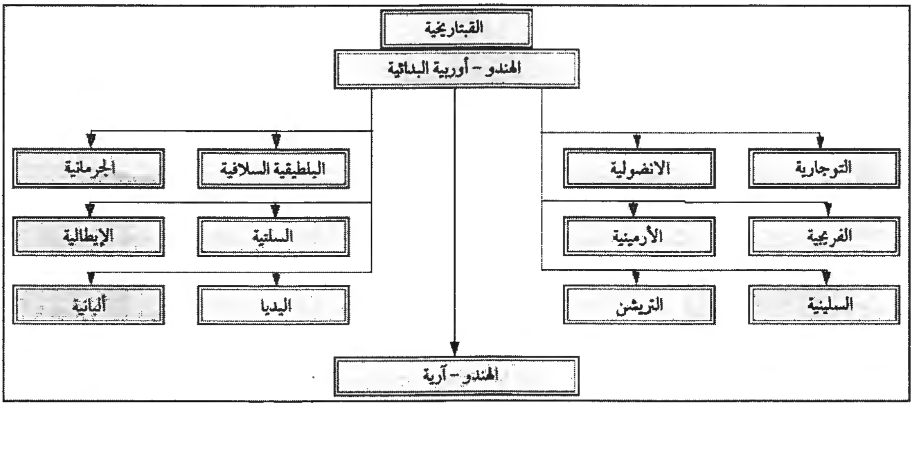

(*) المصدر لهذا الشكل والأشكال التالية متوافر على الموقع الإلكتروني: <http://kurdstan-net.100freemb.com/html/hndorp.html> (Accessed 12/2/2013).

تخطيط (ب)
تفريعات اللغة الهندو - آرية

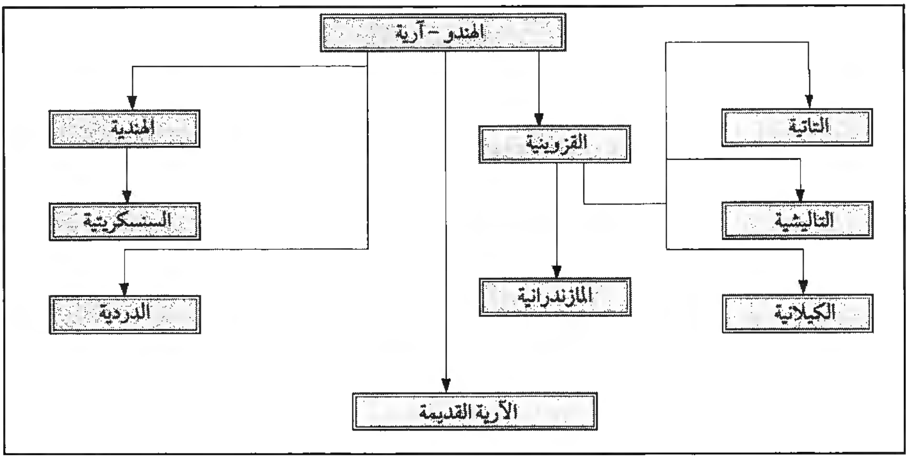

تخطيط (ج)
تفريعات اللغة الآرية القديمة

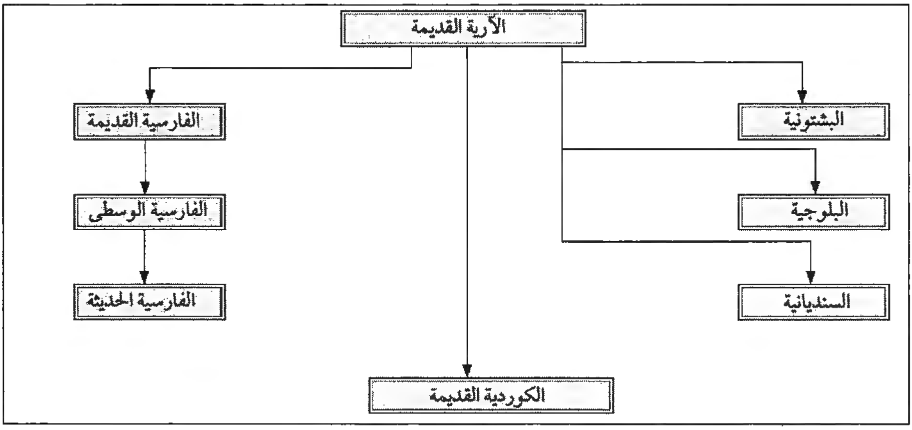

تخطيط (د)

تفريعات اللغة الكردية القديمة

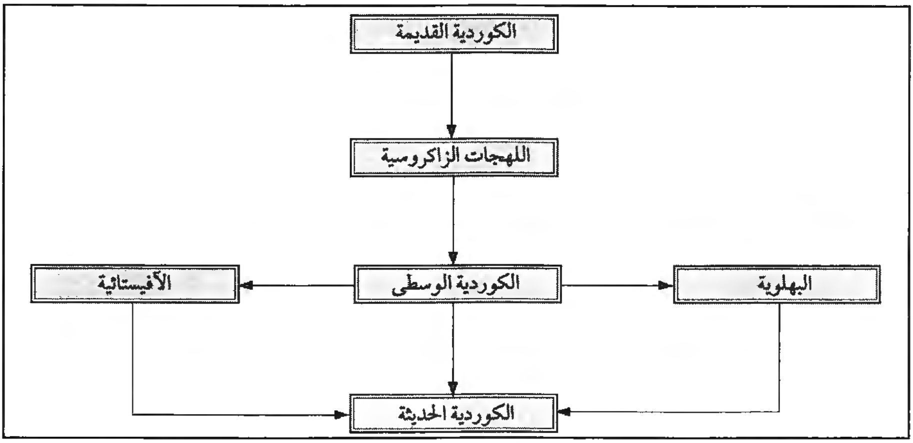

تخطيط (هـ)

تفريعات اللغة الكردية الحديثة

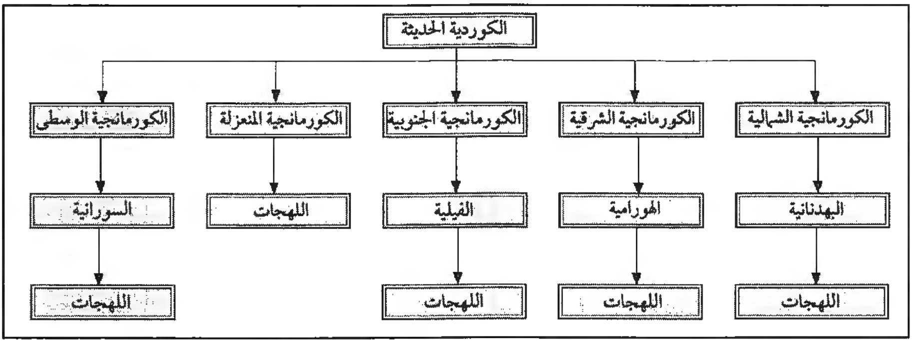

تخطيط (و)

تفريعات اللهجة البهدينانية

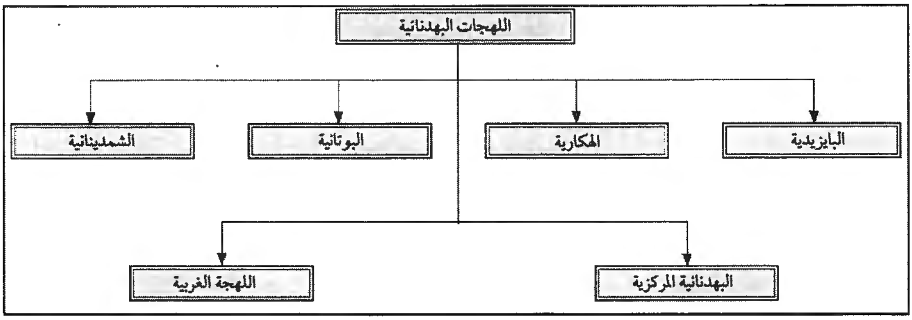

تخطيط (ز)

تفريعات اللهجة الهورامية

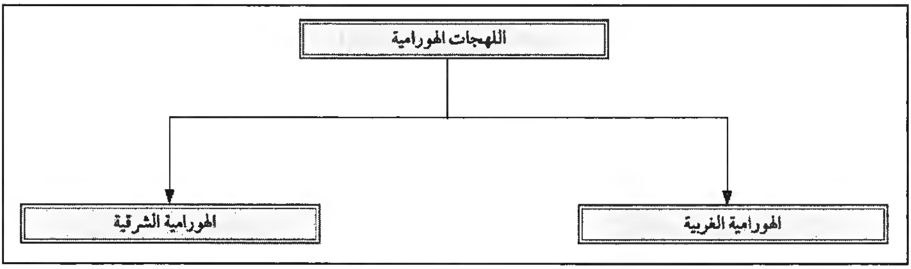

تخطيط (ح)
تفريعات اللهجات الفيلية

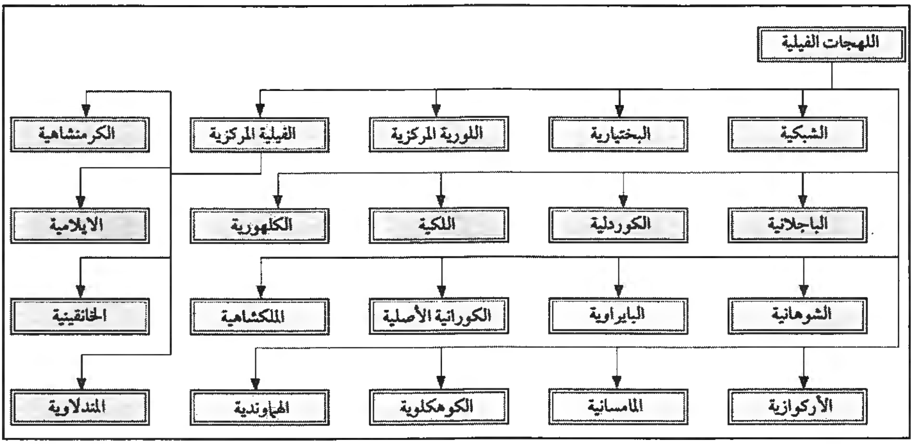

تخطيط (ط)
تفريعات اللهجات الكرمانجية المنعزلة

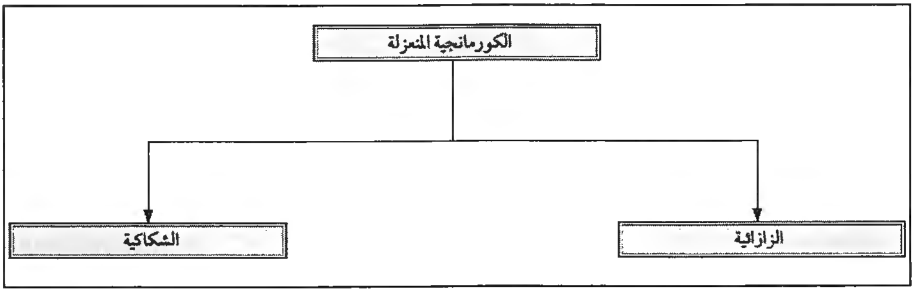

تخطيط (ي)

تفريعات اللهجات السورانية

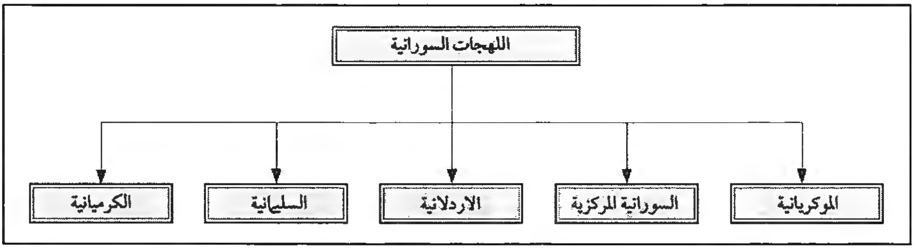

الملحق (4)

مقارنة الألفبائية الكردية الموحدة والسورانية العربية والكرمانجية اللاتينية والكرمانجية السيريلية

Yekgirtú (الكردية الموحدة)	الكردية الشمالية (الكرمانجية اللاتينية)	الكردية الشمالية (السيريلية الكرمانجية)	الكردية المركزية (السورانية العربية)
A a	A a	A a	ئا ـا ا
B b	B b	Б б	ب بـ ـب ـبـ
C c	Ç ç	Ч ч	چ ـچ ـچـ چـ
D d	D d	Д д	د ـد
E e	E e	Ә ә	ە ـە ئە
É é	Ê ê	(E e (Э э	ێ ـێ ێـ ـێـ ئێـ
F f	F f	Ф ф	ف ـف ـفـ فـ
G g	G g	Г г	گ ـگ ـگـ گـ
H h	H h	h h	هـ ـهـ

يتبع

تابع

I i	I i	Ь ь	نانوسری
Í í	Î î	И и	ی ـی ـیـ یـ
J j	C c	Щ щ	ج ـج ـجـ جـ
Jh jh	J j	Ж ж	ژ ـژ
K k	K k	К к	ک ـک ـکـ کـ
L l	L l	Л л	ل ـل ـلـ لـ
Ll	Nîne	‘Л’ л	ڵ ـڵ ـڵـ ڵـ
M m	M m	М м	م ـم ـمـ مـ
N n	N n	Н н	ن ـن ـنـ نـ
O o	O o	О о	ۆ ـۆ ئۆ
P p	P p	П п	پ ـپ ـپـ پـ
Q q	Q q	Q q	ق ـق ـقـ قـ
R r	R r	Р р	ر ـر
Rr	Nîne	‘Р’ р	ڕ ـڕ
S s	S s	С с	س ـس ـسـ سـ
Sh Sh	Ş ş	Ш ш	ش ـش ـشـ شـ
T t	T t	Т т	ت ـت ـتـ تـ
U u	U u	Ö ö	و ـو ئو
Ú ú	Û û	У у	وو ـوو
Ù ù	Nîne	Нинэ	نییەتی
V v	V v	В в	ڤ ـڤ ـڤـ ڤـ

يتبع

تابـع

W w	W w	W w	و ـو
X x	X x	X x	خ ـخ ـخـ خـ
Y y	Y y	Й й	ی ـی ـیـ یـ
Z z	Z z	З з	ز ـز
*('H' h)	H h	‘h’ h	ح ـح ـحـ حـ
*('E' e)	E e	‘Ә’ ә	ع ـع ـعـ عـ
*('X' x)	X x	Ѓ ѓ	غ ـغ ـغـ غـ
*(Kh kh)	K k	** Ќ ќ	نییەتی
*(Ph ph)	P p	** ‘П’ п	نییەتی
*(Th th)	T t	** ‘T’ т	نییەتی

ملاحظتان:

(*) حالات للهجات محلية.

(**) لفظ كيريليك (Cyrillic) في الاتحاد السوفياتي السابق.

المصدر: <http://www.kurdishacademy.org/?q=ku/node/145> (Accessed 12/2/2013).

الملحق (5)

مقارنة الألفبائية الكردية والعربية والفارسية والتركية

عربية	فارسية	تركية	كردية
ا أ	آ عا	A ا	A ا
ب ب ب	ب ب ب	B ب	B ب
چ چ چچ	چ چ چ چ	Ç ç	C ج
د د	د د	D د	D د
ا	ا ع	E ه	E ه
ليست في العربية	در پارسی نیست	؟	É é
ف ف ف ف	ف ف ف ف	F F	F F
ليست في العربية	گ گ گ گ	G G	G G
ه ه ه ه	ه ه ه ه، ح ح ح ح	H H	H H
ا	ا	I I	ا ط
ي ي ي ى	ي ي ي ى	أنا	أنا
ج ج ج ج	ج ج ج ج	C ج	J ي
ليست في العربية	ژ ژ	J ي	JH JH

يتبع

تابع

ك K	ك K	ک ک ک ک	ک ک ک ک
L L	L L	ل ل ل ل	ل ل ل ل
ليرة لبنانية	؟	در پارسی نیست	ليست في العربية
م M	م M	م م م م	م م م م
ن N	ن N	ن ن ن ن	ن ن ن ن
O O	O O	در پارسی نیست	ليست في العربية
P P	P P	پ پ پ پ	ليست في العربية
س س	يوك	ق ق ق ق، غ غ غ	ق ق ق ق
R R	R R	ر ر	ر ر
RR	يوك	در پارسی نیست	ليست في العربية
ق S	ق S	س، ص، ث،	س س س س
SH SH	Ş ş	ش ش ش ش	ش ش ش ش
T T	T T	ت ت ت ت، ط	ت ت ت ت
ü ü	ü ü	ا ع	ا
ü ü	Ü ü	صدای کشیده و	وو
ü ü	يوك	در پارسی نیست	ليست في العربية
V V	V V	در پارسی نیست	ليست في العربية
ث W	يوك	و	و
X X	يوك	خ خ خ خ	خ خ خ خ
Y Y	Y Y	ى ي ى ي	ى ي ى ي
Z Z	Z Z	ز، ذ، ظ ض	ز ز

يتبع

تابع

níye جنيه الكردي	ز ز		
níye جنيه الكردي	Ö ö		
níye جنيه الكردي			ث ث ث
هندي جنيه zarawey الكردي WEKO wishey bégane هيى			ح ح ح ح
هندي جنيه zarawey الكردي WEKO wishey bégane هيى			غ غ غ غ
هندي جنيه zarawey الكردي WEKO wishey bégane هيى			ع ع ع ع
níye جنيه الكردي			ذ
níye جنيه الكردي			ص ص ص
níye جنيه الكردي			ض ض ض
níye جنيه الكردي			ط ط ط

المصدر: Dilan Roshani, «Comparison with Arabic, Persian, and Turkish Alphabets Yekgirtú in Comparison with Arabic, Persian, and Turkish Alphabets,» (Kurdish Academy of Language), on the Web: <http://www.kurdishacademy.org/?q=node/149> (Accessed 17/12/2012).

الملحق (6)

الألفبائية التي اقترحها توفيق وهبي للكتابة الكردية

Modified Arabic	Latin	Name	Modified Arabic	Latin	Name
ﺋ	،	Hemze	غ	Gh	ghejn
ب	b	bê	ف	f	fê
پ	p	pé	ڨ	v	vê
ت	t	tê	ﻛ	q	qaf
ث	th	thê	ک	k	kaf
ج	c	ciim	گ	g	gaf
چ	ch	chiim	ل	l	lam
د	d	dal	ل	lh	lham
ذ	dh	dhal	م	m	miim
ر	r	rê	ن	n	nuun
ر	rh	rhê	و	w، u	waw، 'u

يتبع

تابع

ز	z	zê	ه	h، e	hê، ‘e
ژ	zh	zhê	ی	i، j	jê، ‘i
س	s	siin	ێ	é	ê’
ش	sh	shiin	ي	y	y’
ع	’	ejn’	و	o	o’
			ا	a	a’

المصدر: Cecil John Edmonds, «Some Developments in the Use of Latin Character for the Writing of Kurdish,» *Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland* (London), no. 3 (July 1933), on the Web: <http://kurdishacademy.org/?q=node/139> (Accessed 12/2/2013).

المراجع

1 - العربية

كتب

آغري، نزار. **كاكا والجدار: الأكراد بين منازلة الجدران وتفيئها**. بيروت: دار الجديد، 1996.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد. **الإحكام في أصول الأحكام**. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1980.

ابن وحشية، أبو بكر أحمد بن علي. **شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام**. قدم له واعتنى بإخراجه إياد خالد الطباع. دمشق: دار الفكر، 2008.

أحمد، جمال رشيد ورشيد فوزي. **تاريخ الكرد القديم**. أربيل: جامعة صلاح الدين، 1990.

أركون، محمد. **الفكر الأصولي واستحالة التأصيل: نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي**. ترجمة وتعليق هاشم صالح. بيروت: دار الساقي، 1999.

أرندت، حنة. **في العنف**. ترجمة إبراهيم العريس. بيروت: دار الساقي، 1992. (الفكر الغربي الحديث)

أريكسن، توماس هايلاند. **العرقية والقومية: وجهات نظر أنثروبولوجية**. ترجمة لاهاي عبد الحسين. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2012. (عالم المعرفة؛ 393)

أفستا: **الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية**. إعداد خليل عبد الرحمن. ط 2. دمشق: روافد للثقافة والفنون، 2008.

أندرسون، بندكت. **الجماعات المتخيلة**. ترجمة محمد الشرقاوي. ط 2. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1999.

إيرنست، كارل. **على نهج محمد صلى الله عليه وسلم: إعادة التفكير في الإسلام في العالم المعاصر**. ترجمة حمزة الحلايقة؛ مراجعة وتحرير مركز التعريب والترجمة، الدار العربية للعلوم. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2008.

باشا، إحسان نوري. **مذكرات إحسان نوري باشا**. ترجمة عبد الستار قاسم كلهور. أربيل: مؤسسة موكرياني، 2008.

بدرخان، جلادت وروجه لسكو. **قواعد اللغة الكردية: اللهجة الكرمانجية**. ترجمة ونشر دلاور زنكي. [دمشق: دلاور زنكي، د. ت.].

البدليسي، شرف خان. **شرفنامه**. ترجمه إلى العربية محمد علي عوني؛ راجعه وقدم له يحيى الخشاب. 2 ج. دمشق: دار الزمان، 2006.

ج 1: في تاريخ الدول والامارات الكردية.

برومبرغ، دانيال. **التعدد وتحديات الاختلاف: المجتمعات المنقسمة وكيف تستقر؟**. ترجمة عمر سعيد الأيوبي. بيروت: دار الساقي، 1997.

بروينسن، مارتن فان. **الآغا والشيخ والدولة: البنى الاجتماعية والسياسية لكردستان**. ترجمة أمجد حسين. بغداد؛ بيروت؛ لندن: مركز الدراسات الاستراتيجية، 2007.

بلوج، جون وهارفي موريس. **لا أصدقاء سوى الجبال: التاريخ المأساوي للكرد**. ترجمة راج آل محمد. بيروت: باران كومبيوتر، [د. ت.].

بنعبد العالي. عبد السلام. بين- بين. الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر، 1996.

البوتاني، عبد الفتاح علي. بدايات الشعور القومي الكوردي في التأريخ الحديث. أربيل: دار كاوا للنشر، 2005.

بيشكجي، إسماعيل. دفاعًا عن الأمة الكردية المستبعدة: رسالة إلى اليونسكو. [د. م.]: مركز عامودا للثقافة الكردية، 2003.

______ . كردستان مستعمرة دولية. ترجمة زهير عبد الملك. سباغنا، السويد: دار APEC، 1998.

بيكودو، نادين. عشر سنوات هزت الشرق الأوسط. ترجمة عبد الهادي عباس. دمشق: دار الأنصار، 1996.

بيندي، جيروم (محرر). مفاتيح القرن الحادي والعشرين. تقديم كويشيرو ماتسورا؛ تعريب حمادي الساحلي، عبد الرزاق الحليوي وسعاد التريكي. تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، 2003. (سلسة الترجمات الكبرى؛ الكتاب 1)

تشومسكي، نعوم. سنة 501: الغزو مستمر. ترجمة مي النبهان. دمشق: دار المدى، 1996.

جوزيف، جون. اللغة والهوية: قومية - إثنية - دينية. ترجمة عبد النور خراقي. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2007. (عالم المعرفة؛ العدد 342)

حب الله، عدنان. جرثومة العنف: الحرب الأهلية في صميم كل منا. تقديم صلاح ستيتية؛ ترجمة فريدريك معتوق. بيروت: دار الطليعة، 1998.

حمدي، وليد. الكرد في الوثائق البريطانية: دراسة تاريخية وثائقية. [د. م.: د. ن.]، 1992.

خورشيد، فؤاد حمه. اللغة واللهجات الكوردية: دراسة جغرافية. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 2005. (سلسلة دار الثقافة والنشر الكردية)

دريدا، جاك. أحادية الآخر اللغوية، أو، في الترميم الأصلي. ترجمة وتقديم عمر مهيبل. بيروت: الدار العربية للعلوم؛ الجزائر: منشورات الاختلاف، 2008.

دوست، جان. الدر الثمين في شرح مم وزين. أربيل: دار سبيريز للنشر، 2006.

راندل، جوناثان. أمة في شقاق: دروب كردستان كما سلكتها. ترجمة فادي حمود. بيروت: دار النهار، 1997.

زكي، محمد أمين. خلاصة تاريخ الكرد وكردستان: تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي. ترجمه وعلق عليه وراجعه محمد علي عوني. ج 2. بيروت: الجمعية الكردية اللبنانية الخيرية، 2003.

سايكس، مارك. القبائل الكردية في الإمبراطورية العثمانية. ترجمه عن الإنجليزية خليل علي مراد؛ تقديم ومراجعة وتعليق عبد الفتاح علي بوتاني. دمشق: دار الزمان، 2007.

السندي، بدرخان. المجتمع الكردي في المنظور الاستشراقي. أربيل: دار ئاراس، 2002.

شمو، عرب. الراعي الكردي. ترجمة توفيق الحسيني؛ مراجعة وتقديم عزيز داود. دمشق: دار الكتاب العربي، 1988.

______ . طريق السعادة. موسكو: دار نشر الكاتب السوفيتي، 1971.

عبد الجبار، فالح وهشام داود. الإثنية والدولة: الأكراد في العراق وإيران وتركيا. ترجمة عبد الإله النعيمي. بيروت؛ بغداد: مركز الدراسات الاستراتيجية، 2006.

العبدولي، تهامي. إسلام الأكراد: أنموذجًا لإسلام الأقليات (قراءة في تداخل الديني والقبلي والقومي). بيروت: دار الطليعة، 2007. (الإسلام واحداً ومتعدداً)

العكش، منير. حق التضحية بالآخر: أميركا والإبادات الجماعية. بيروت: رياض الريس، 2002.

العلوي، هادي. فصول من تاريخ الإسلام السياسي. دمشق: دار المدى، 1999.

فارج، فيليب ويوسف كرباج. المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي. ترجمة بشير السباعي. القاهرة: سيناء للنشر، 1994.

فردوسي، أبو القاسم منصور بن فخر. الشاهنامة. ترجمها الفتح بن علي البنداري؛ تحقيق عبد الوهاب عزام. ج 1. ط 2. الكويت؛ القاهرة: دار سعاد الصباح، 1993.

فرومكين، دافيد. سلام ما بعده سلام: ولادة الشرق الأوسط، 1914-1922. ترجمة أسعد كامل الياس. لندن: رياض الريس، 1992.

كالفي، لويس جان. حرب اللغات والسياسات اللغوية. ترجمة حسن حمزة؛ مراجعة سلام بزي حمزة. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2008.

كان، مارغريت. أبناء الجن: مذكرات عن الأكراد ووطنهم. ترجمة نورا شيخ بكر؛ تدقيق لغوي دحام عبد الفتاح. دمشق: مطبعة الخلود، [د. ت.].

اللغة. اعداد وترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي. الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال، 2010. (دفاتر فلسفية (نصوص مختارة)؛ 5)

ليرخ، بيتر. دراسات حول الأكراد وأسلافهم الخالديين الشماليين. ترجمة عبدي حاجي. دمشق: دار علاء الدين، 1994.

محفوض، عقيل سعيد. جدليات المجتمع والدولة في تركيا: المؤسسة العسكرية والسياسة العامة. أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2008.

محمد، خالد جميل. المجازفة في الكلام: بحث في آراء بعض الكتاب العرب في اللغة الكردية.

محوي، شاكرو خدو. المسألة الكوردية في العراق المعاصر. ترجمة عبدي حاجي. أربيل: دار سبيريز، 2008.

مخموري، غفور. تعريب كوردستان: التعريب، المخاطر، المواجهة. ترجمة عبد الله قرگەیی. أربيل: ئاراس للنشر، 2006. (السلسلة الثقافية)

مسألة أكراد سورية: الواقع- التاريخ- الأسطرة. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين. مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ط 5. بيروت: دار الفكر، 1973.

مكدول، ديفيد. تاريخ الأكراد الحديث. ترجمة راج آل محمد. بيروت: دار الفارابي، 2004.

مينورسكي، ڤلاديمير. الأكراد: ملاحظات وانطباعات. ترجمة وتعليق كمال مظهر أحمد. [السويد]: رابطة كاوا للثقافة الكردية؛ بيروت: دار الكتاب، [1987]. (المكتبة التقدمية الكردية؛ 14)

النقيب، خلدون حسن. صراع القبلية والديموقراطية: حالة الكويت. بيروت: دار الساقي، 1996.

نيكيتين، باسيلي. الكرد: دراسة سوسيولوجية وتاريخية. نقله من الفرنسية وعلق عليه نوري طالباني. أربيل: دار سبيريز، 2008.

هبو، أحمد. الأبجدية: نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب. اللاذقية، سوريا؛ دمشق: دار الحوار، 1984.

هوبسباوم، إريك ج. الأمم والنزعة القومية منذ 1780. ترجمة عدنان حسن؛ مراجعة وتحرير مجيد الراضي. دمشق: دار المدى، 1999.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله. معجم البلدان. بيروت: دار صادر، 1977.

دوريات

آغري، نزار. «لغة كردية واحدة أم لغات؟.» ميزوبوتاميا: العدد 1، [آب/ أغسطس 2004]، على الموقع الإلكتروني: <www.mesopotamia4374.com/adad1/adad1.htm> (Accessed 12/2/2013).

بدرخان، جلادت. «رجل ولغة.» ترجمه عن الكردية شاهيدار قادوهي. هاوار (دمشق): العدد 40، شباط/ فبراير 1942، على الموقع الإلكتروني: <www.yek-dem.com/adab-we-fan=1-25-8-2005.htm> (Accessed 12/2/2013).

برنزينجر، ماتياس. «لغات الأقلية تراث ثقافي.» ديوجين: العدد 161، 1997.

دراسات كردية: العدد 9، نيسان/ أبريل 2008.

طاهر، طيب. «تأثير الشعر في بقاء اللغة الكوردية.» كولان العربي: كانون الثاني/ يناير 2002.

فايد، رجائي. «كردستان العراق: أكثر من فدرالية وأقل من استقلال.» كراسات استراتيجية: السنة 15، العدد 156، 2005.

ملكشاهي، بتول. «اللغة الفيلية.» كتاب ميزوبوتاميا: العددان 17-18، تموز/ يوليو 2009.

موكرياني، كيو. «تاريخ كتابة اللغة الكردية خلال 5000 سنة.» ترجمة م. رشيد. أوراق كردية: العدد 7، شباط/ فبراير 2003.

هاوار (دمشق): العدد 12، 1932، والعدد 40، شباط/ فبراير 1942.

هاوار الجديدة (أربيل): العدد 27، آذار/ مارس 2007.

هول، ستيوارت. «حول الهوية الثقافية.» ترجمة بول طبر. **إضافات: المجلة العربية لعلم الاجتماع (بيروت):** العدد 2، ربيع 2008.

وثائق

أمين، رودي محمد. «حلم التعلم باللغة الأم بات يتحقق شيئًا فشيئًا.» (وكالة فرات للأنباء (Furatnews.com)، 22/ 9/ 2012)، على الموقع الإلكتروني: <http://ar.firatnews.com/index.php?rupel=nuce&nuceID=3964> (Accessed 19/12/2012).

بركات، سليم. «تشريد المكان من أسمائه.» على الموقع الإلكتروني: <http://www.kurdarab.org/teqfe/teq-5-2009/selim-berkst.iqam.6.2009.htm> (Accessed 10/10/2012).

«تعلم اللغة الكردية في غربي كردستان.» (وكالة فرات للأنباء، 20/ 7/ 2011)، على الموقع الإلكتروني: <http://ar.firatnews.eu/index.php?rupel=nuce&nuceID=4> (Accessed 19/12/2012);

الجندي، خليل. «الكردولوجيا والإيزيدية.» (محاضرة ألقيت في المهرجان الثقافي لمركز لالش، دهوك، العراق، 13-15 تموز/ يوليو 2006)، على الموقع الإلكتروني: <http://www.sersal.de/modules.php?name=News&file=article&sid=63>.

جوامير، محسن. «بعد أن تمزقت لغتي.. أعلن استقالتي من كوردياتي.» على الموقع الإلكتروني: <http://www.westluristan.com/articles/255.html> (Accessed 12/2/2013).

______. «لسان الكورد واحد.» (الناس (موقع إلكتروني)، 23/ 10/ 2006): <http://www.al-nnas.com/ARTICLE/MJwamer/23sp.htm> (Accessed 2/11/2012).

______ . «ماذا قال مصطفى البارزاني عن اللاتينية؟.» (باهوز (Bahoz) (موقع إلكتروني)، 30/ 7/ 2007):. <http://bahoz.hostoi.com/mohsen_juwamer159.html> (Accessed 12/2/2013).

______ . «هل تتحقق وحدة اللغة الكوردية في عهد رئيس كوردستان؟.» (باهوز (Bahoz)، 11/ 4/ 2007)، على الموقع الإلكتروني: <http://bahoz.hostoi.com/mohsen_juwamer157.html> (Accessed 12/2/2013).

غيرين، أورلا. «الأوضاع في سوريا تعزز آمال الأكراد.» (بي بي سي عربي، 18/ 8/ 2012)، على الموقع الإلكتروني: <http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2012/08/120818_syria_kurds.shtml> (Accessed 19/12/2012).

كاكه يي، مهدي. «اللغة الكوردية الموحدة والأبجدية اللاتينية والعربية.» على الموقع الإلكتروني: <http://www.kord-can.com/vb/index.php> (Accessed 12/2/2013).

مجموعة الأزمات الدولية. «النفط مقابل الأرض نحو المبادلة العظمى عن العراق والأكراد.» (تقرير الشرق الأوسط؛ رقم 80، بروكسل؛ بغداد، 28 تشرين الأول/ أكتوبر 2008).

محفوض، عقيل سعيد. «تركيا والأكراد: كيف تتعامل تركيا مع المسألة الكردية؟.» (دراسة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، آذار/ مارس 2012).

محمود، إبراهيم. «مرايا اليقين الكردي: الكردي بنصف لسان.» (عفرين نت، 17/ 7/ 2006).

محمود، برزو. «التعدد اللهجوي وضرورة ايجاد اللغة الكردية المشتركة.» (موقع كلكامش للأبحاث والدراسات الكوردية، 12/ 10/ 2007)، على الموقع الإلكتروني: <http://www.gilgamish.org/viewarticle.php?id=language-20071101-5141> (Accessed 12/12/2012).

______ . «اللغة الكردية الموحدة: بين الإشكالية والحل.» (عفرين نت، 23/ 8/ 2006).

هوشيار، جودت. «أول أبجدية لاتينية متكاملة للغة الكردية.» على الموقع الإلكتروني: <http://iraq.iraq.ir/vb/showthread.php?t=67614> (Accessed 2/12 /2012).

2 - الأجنبية

Books

Abdul-Jabar, Faleh and Hosham Dawod. *Tribes and Power: Nationalism and Ethnicity in the Middle East*. London: Saqi, 2002.

Akçam, Taner. *From Empire to Republic: Turkish Nationalism and the Armenian Genocide*. London; New York: Zed Books, 2004.

Browne, Edward G. *Materials for the Study of the Bab'i Religion*. Cambridge: Cambridge University Press, 1961.

Bruinessen, Martin Van. *Kurdish Ethno-Nationalism Versus Nation-Building States: Collected Articles*. Istanbul: Isis Press, 2000. (Analecta Isisiana; 47)

Guest, John S. *The Yezidis: A Study in Survival*. London; New York: KPI; New York, NY: Routledge and Kegan Paul, 1987.

Hassanpour, Amir. *Nationalism and Language in Kurdistan, 1918-1985*. San Francisco: Mellen Research University Press, 1992.

Hinnells, John R. *The Zoroastrian Diaspora: Religion and Migration: The Ratanbai Katrak Lectures, the Oriental Faculty, Oxford 1985*. Oxford; New York: Oxford University Press, 2005.

Hobsbawm, Eric J. *Nations and Nationalism since 1780: Programme, Myth, Reality*. Cambridge, [England]; New York: Cambridge University Press, 1990. (Wiles Lectures)

Khoury, Philip S. and Joseph Kostiner (eds.). *Tribes and State Formation in the Middle East*. Berkeley: University of California Press, 1990.

McDowall, David. *A Modern History of the Kurds*. 3rd Rev. and Updated ed. London; New York: I. B. Tauris, 2004.

Miller, Donald E. and Lorna Touryan Miller. *Survivors: An Oral History of the Armenian Genocide*. Berkeley: University of California Press, 1993.

Schmidt, Annette. *The Loss of Australia's Aboriginal Language Heritage*. Canberra: Aboriginal Studies Press, 1990. (Institute Report Series)

Sluglett, Peter. *Britain in Iraq, 1914-1932*. London: Ithaca Press, 1976.

Soane, Ely Bannister. *Grammar of the Kurmanji or Kurdish Language*. London: Luzac and co., 1931. (Luzac's Oriental Grammars Series; vi)

_____ . *To Mesopotamia and Kurdistan in Disguise*. New York: Cosimo Classics, 2007.

Taneja, Preti (ed.). *State of the World's Minorities and Indigenous Peoples 2009: Events of 2008*. London: Minority Rights Group, 2009.

Transactions of the Philological Society. [Oxford: B. Blackwell], 1961.

Türkkaya, Ataöv (ed.). *The Armenians in the Late Ottoman Period*. 2nd ed. Ankara: Turkish Historical Society for the Council of Culture, Arts and Publications of The Grand National Assembly of Turkey, 2001. (Council of Culture, Arts and Publications; no. 90)

Yildiz, Kerim and Tanyel B. Taysi. *The Kurds in Iran: The Past, Present and Future*. London; Ann Arbor, MI: Pluto Press, 2007.

Periodicals

Çelik, Ayfle Betül. ««I Miss my Village!»: Forced Kurdish Migrants in Stanbuland their Representation in Associations.» *New Perspectives on Turkey*: no. 32, 2005.

Edmonds, Cecil John. «Some Developments in the use of Latin Character for the Writing of Kurdish.» *Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland* (London): no. 3, July 1933.

_____ . «Suggestions for the Use of Latin Character in the Writing of Kurdish.» *Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland*: no. 1, January 1931.

Haugen, Einar. «Planning for a Standard Language in Modern Norway.» *Anthropological Linguistics*: vol. 1, no. 3, 1959.

McCarus, Ernest R. «Kurdish Language Studies (Book Review).» *Middle East Journal* (Washington): no. 14, Summer 1960.

Pavlenko, Aneta. «Multilingualism in Post-Soviet Countries: Language Revival, Language Removal, and Sociolinguistic Theory.» *International Journal of Bilingual Education and Bilingualism*: vol. 11, nos. 3-4, 2008.

Sagnic, Ceng. «Mountain Turks: State Ideology and the Kurds in Turkey.» *Information, Society and Justice*: vol. 3, no. 2, July 2010.

Wilson, W. C. F. «Northern Iraq and its People.» *Journal of the Royal Central Asian Society*: vol. 24, no. 2, April 1937.

Yalfin, Nafi. «The Turkish Language Reform: A Unique Case of Language Planning in the World.» *Military Academy: Journal of Science*: vol. 12, no. 3, 2002.

Conferences

«Ethnic Construction and Political Violence.» (International Colloquium Organized by the Fondazione Giangiacomo Feltrinelli, Cortona, 2-3 July 1999).

The Mica Ertegün Annual Turkish Studies Workshop on Continuity and Change: «Shifting State Ideologies from Late Ottoman to Early Republican Turkey, 1890-1930». (Department of Near Eastern Studies, Princeton University, 24-26 April 1997).

«World Congress of Kurdish Studies.» (Organized by Kurdish Institute of Paris in Partnership with Salahadin University (Irbil) and with the Support of the Kurdistan Regional Government and of the French Ministry for Foreign Affairs, Iraq, Irbil, 6-9 September 2006).

Documents

Akyürek, Salih. «What are Kurds and Zazas Thinking About?: A Look to the Shared Values and Symbols.» (Report; no. 26, Bilge Adamlar Stratejik Araştırmalar Merkezi, Istanbul, January 2011).

Bruinessen, Martin Van. «The Kurds and Islam.» (Islamic Area Studies Working Paper; 13, Islamic Area Studies Project, Tokyo, 1999).

_____ . «The Kurds in Movement: Migrations, Mobilisations, Communications and the Globalisation of the Kurdish Question.» (Islamic Area Studies Working Paper; 14, Islamic Area Studies Project, Tokyo, 1999).

Euro-Mediterranean Human Rights Network (EMHRN). «Freedom of Association of Groups defending Minority Rights in Turkey.» (Copenhagen, September 2011).

Hassanpour, Amir. «The Identity of Hewrami Speakers: Reflections on the Theory and Ideology of Comparative Philology.» (Kurdish Academy of Language), on the Web: <http://kurdishacademy.org/?q=node/7> (Accessed 12/2/2013).

———. «Kurdish Language Policy of Iran.» (Kurdish Academy of Language, 8/5/2008), on the Web: <www.kurdishacademy.org/?q=node/6>.

———. «The Politics of A-Political Linguistics: Linguists and Linguicide.» (Kurdish Academy of Language), on the Web: <http://www.kurdishacademy.org/?q=node/180> (Accessed 12/2/2013).

«The History of Kurdish Language.» (Kurdish Academy of Language), on the Web: <http://www.kurdishacademy.org/?q=ku/node/37> (Accessed 12/2/2013).

«Northern Kurdish Dialects Group.» (Kurdish Academy of Language), on the Web: <www.kurdishacademy.org/?q=node/42> (Accessed 12/2/2013).

Roshani, Dilan. «Comparison with Arabic, Persian, and Turkish Alphabets Yekgirtú in Comparison with Arabic, Persian, and Turkish Alphabets.» (Kurdish Academy of Language), on the Web: <http://www.kurdishacademy.org/?q=node/149> (Accessed 17/12/2012).

———. «Taufiq Wahby (1891-1984).» (Kurdish Academy of Language), on the Web: <http://www.kurdishacademy.org/?q=node/88> (Accessed 2/12/2012).

«Southern Dialects Group.» (Kurdish Academy of Language), on the Web: <http://www.kurdishacademy.org/?q=node/44> (Accessed 12/2/2013).

Virtanen, Özlem Eraydin. «Recent Changes in Turkey's Language Legislation.» (Mercator-Working Paper; 11, Escarré International Centre for Ethnic Minorities and Nations (CIEMEN), Rocafort, Barcelona, 2003).

فهرس عام

- أ -

الآداب التركية: 44

الآداب العربية: 44

الآداب الفارسية: 44

آدم (النبي): 53

آدي (الشيخ) (عدي بن مسافر): 85

آسيا: 176

آسيا الغربية: 43

الإبادة اللغوية: 116

الأبجدية الفيلية: 68

ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي ابن أحمد بن سعيد: 103-104، 211

ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد: 95

ابن رستم، أحمد بن الياس (أحمدي خاني): 35، 70، 105، 139-140، 150-151، 214-215

ابن وحشية النبطي، أبو بكر أحمد بن علي: 82-83، 85

الاتحاد السوفياتي: 133

الاتحاد الوطني الكردستاني: 221

الإثنية: 27، 123، 177، 189، 191

الإثنية الكردية: 27، 65، 169، 181، 188

أحادية اللغة: 112

الاحتلال الأميركي للعراق (2003): 142

الاحتواء الثقافي: 22، 162، 210

الاحتواء الرمزي: 22
الاحتواء اللغوي: 22، 56، 110، 116، 145، 147، 162-163، 167، 210
احتواء الهوية: 159
الأحزاب الكردية: 158
أحمدي خاني انظر ابن رستم، أحمد بن الياس (أحمدي خاني)
الإحياء الثقافي: 22
الإحياء اللغوي: 14، 91، 127، 185، 191
الأدب الكردي: 42، 44، 114
أدلجة اللغة: 147، 152
إدموندز، سيسيل ج.: 71
أربيل: 64، 67، 87، 174، 187، 196، 200
أرزنكان: 65
أرسطو: 193
الأرسوزي، زكي: 172
الأرمن: 48، 176
أرمينيا: 127، 132، 134
أرومية (بحيرة): 37، 65
الأساطير: 22
الاستبعاد الإثني: 162
الاستبعاد الديني: 162
الاستشراق: 13، 125، 138، 141، 143
الاستعمار اللغوي: 110، 116-117
الاستقلال اللغوي: 97، 139
الاستقلالية السياسية والتاريخية للكرد: 44
الاستكراد: 138
الاستمرارية التاريخية: 21
الاستهداف الإثني: 25
الاستهداف الثقافي: 25
إسحق (السلطان): 53
إسرائيل: 153
أسطرة التأسيس: 219-220
أسطورة كاوا: 219، 221
الإسلام: 14، 52، 54-55، 72، 76-77، 87، 130، 149، 152، 162، 169

الأسلمة: 137، 154
أسلمة السياسة: 148
أسلمة الكرد: 14، 111، 162
الأصل اللغـوي: 35-36، 41، 64، 188
الإصلاح الاقتصادي: 25
الإصلاح السياسي: 25
الإصـلاح اللغـوي: 12، 14-15، 25، 181، 183، 185-186، 201
الاضطهاد الثقافي: 22، 162
الاضطهاد اللغوي: 162
أفريدون: 51
أفريقيا: 176
الأفستا: 47-49، 85
الأفغان: 48
أفلاطون: 57، 193
أكراد إيران: 158
أكراد تركيـا: 64-65، 114، 137، 158
أكـراد سـورية: 64، 137، 158، 160
أكراد العراق: 129، 158، 160
الأكراد المسلمون: 151
إلبورز (جبال): 65
الألفبائية الآرامية القديمة: 130
الألفبائية الأرمنية: 133
الألفبائيـة العربيـة: 77، 81، 87-90، 92-96، 129-130، 132، 137، 153، 185، 192، 197، 216
الألفبائيـة الكرديـة: 13، 15، 25-26، 81-87، 89، 92-93، 96، 127، 138
الألفبائية الكردية - العربية: 131
الألفبائية الكرديـة - اللاتينية: 131، 133، 137
الألفبائيـة اللاتينيـة: 56، 81، 89-90، 95-97، 130-131، 135، 137، 153، 185، 192، 197-198، 216
ألمانيا: 123
الإمبراطورية الأخمينية الفارسية: 48
الإمبراطورية الرومانية: 73
إمبراطورية ميديا: 48-49

إمبراطورية الهان: 73
الإمبريالية الثقافية: 110
الأمة: 27-31، 36، 59، 123، 168، 171، 177، 189، 191، 194، 207-209، 219
الأمة الكردية: 21، 29، 92
الأمم المتحدة: 187
أميركا اللاتينية: 110، 177
الأناضول: 65
الانتداب البريطاني على العراق: 131، 136
الانتداب الفرنسي على سورية: 129، 136
الانحياز التاريخي: 24
أندرسون، بندكت: 208-209
الاندماج الثقافي: 169
الاندماج اللغوي: 97
الانسجام اللغوي: 103
الانقلاب العسكري في تركيا (1970): 162
الانكسار اللغوي والثقافي: 147
أهل الحق: 169
أوربيلي (المستشرق): 133
أورفا: 140
أوروبا: 72، 74، 93، 134-135، 154، 177، 193
أوزون، محمد: 90
أوغوز خان: 52
أومرة، بابكر: 85
الأيديولوجيا اللغوية التوحيدية: 200
الأيديولوجيا اللغوية القومية: 70
إيران: 22، 44، 64، 67-69، 85، 96، 110، 116، 137، 158، 160، 177-178، 188
الإيزيدية: 22، 53-54، 72، 86، 152
الإيزيديون: 53، 169-170
إيطاليا: 115

- ب -

بابا طاهر الهمداني (الشاعر الكردي): 102

بابل: 76
البارثيون: 37
بارزاني، مسعود: 160، 187
بارزاني، نيجيرفان: 174
باشكا، محمد (ميرزا): 129
بالاس (البروفيسور الروسي): 138
بدرخان، جلادت: 13-14، 90-92، 125، 127، 134-137، 185، 191-192
البدليسي، شرف خان: 70
البدو الرحل: 65
بركات، سليم: 113، 155
بروينسن، مارتن فان: 142، 157، 169
بريطانيا: 129
بغداد: 69
بلاو، جويس: 136
بلبلة اللسان: 76، 152
بلوج، جون: 141-142
بلوشستان: 68
بن يهودا، أليعزر: 191-192
البناء الثقافي الكردي: 12
بهاء الله (مؤسس البهائية): 53
البهائية: 53، 152
بهدينان: 66، 172-173
بوتان: 105
بولاي، جواكيم دو: 193
بيشكجي، إسماعيل: 110، 153، 162، 167
بينغول: 65
بينوشاد: 83

- ت -

التابعية اللغوية: 38
تاج الدين، درويش: 85
التاريخ الكردي: 42
التتريك: 87، 101، 155-156
التحديث اللغوي: 131
التحليل الثقافي: 12، 22-23، 139
التخطيط اللغوي: 25، 152
تركستان: 52
تركمنستان: 64

تركيا: 22، 44، 65، 69، 89، 94-95، 110-112، 114، 116، 135، 153، 158-160، 168، 170، 174، 177-178، 188، 196-197

التشظي اللغوي: 74، 76، 106

التطور التقني: 74

التطور الجيلي للغة الكردية: 120

التطور اللغوي: 26، 38-41، 73، 111، 121، 124، 178، 181

التعبير الشفوي: 31

التعبير الكتابي: 31

التعدد اللغوي: 59، 64، 69-70، 74-75، 78، 94، 103-104، 107، 132، 142-143، 152، 154، 180، 205، 209، 212-213، 217-218

التعدد اللهجي: 73، 75، 94-104، 121، 180، 205، 212-213

التعريب: 87، 101، 155-156

تعريب السياسة: 148

التفاعل اللغوي: 57

التفرع اللغوي: 187

التفريس: 87، 101، 110، 156

التقاليد الكردية: 91

التكريد: 23، 221

التمايز اللغوي: 72

التمييز الثقافي: 176

التمييز اللغوي: 211

التنصير: 154

التنوع الثقافي: 117

التهديد اللغوي: 13، 24، 101، 105-106، 109، 113، 115-116، 118، 120

التواصل الثقافي: 173

التواصل الجغرافي: 21

التواصل الكردي - الكردي: 173

التواصل اللغوي: 38، 74، 89، 101، 173، 212

التوحيد اللغوي: 75، 121، 142، 186، 188، 217

التوراة: 75-77
التوزع الديموغرافي: 73، 75
التوسع الجغرافي: 74

- ث -

الثقافة التركية: 95
الثقافة الشفوية: 49، 76، 94، 149، 209، 221
الثقافة العربية: 88، 92-93، 95، 117
الثقافة الفارسية: 95
الثقافة الكردية: 14، 23، 42، 44، 64، 92، 94، 97، 104، 108-110، 120، 129، 139، 147، 149، 210
الثنائية اللغوية: 111-112، 178
ثورة آغري في الأناضول (1926): 128
ثورة الهويات: 168، 205

- ج -

جامعة «إشق» (أربيل): 174
جامعة صلاح الدين (أربيل): 179، 187
جدلية الشفوي - الكتابي: 118، 120
الجزري، أحمد (الملا): 105
جزيري، بابكر: 85
الجلوة: 85
جم، كوجك: 85
الجماعة الإثنية: 59-60، 69-70، 73، 114، 120، 152-153، 168-169، 177، 207-208
الجماعة الثقافية: 170، 207
الجماعة الدينية: 170، 205
الجماعة اللغوية: 70-71، 114، 120، 168، 170، 205، 207، 211
الجندي، خليل: 85، 132، 136
جودي (جبل): 11، 37

- ح -

الحجاج بن يوسف الثقفي: 148
الحراك الاجتماعي: 73
الحراك السكاني: 73

حرب الخليج (1990 – 1991): 141-142

الحرية الثقافية: 122

الحرية السياسية: 122

الحريري، علي: 85

الحزب الديمقراطي الكردستاني: 220

حزب العمال الكردستاني: 114

الحسكة: 160

حسن (الشيخ): 85

حسنبور، أمير: 71، 116

حق تقرير المصير: 153، 171، 177

الحقوق الإثنية: 171

الحقوق الثقافية: 77

الحقوق السياسية: 171

الحقوق اللغوية: 77، 116

الحكم العباسي: 82، 148

حلب: 178

حلبجة: 142

الحلول الأداتي للغات الجوارية محل اللغة الأم: 101، 109، 113

الحلول الثقافي للغات الجوارية محل اللغة الأم: 109، 113

الحلول الجزئي للغات الجوارية محل اللغة الأم: 101، 109، 111

الحلول الرمزي للغات الجوارية محل اللغة الأم: 101، 114

الحلول الكلي للغات الجوارية محل اللغة الأم: 101، 109

الحوريون: 37

حيران، بير رشي: 85

- خ -

خانقين: 67-68

خراسان: 64

خزندار، معروف: 196-197

الخصوصية الثقافية: 153

الخط المسماري: 85

الخط الهيروغليفي: 85

الخطاب الثقافي: 104، 215

الخطاب السياسي: 104، 179، 192
الخطاب الكردي المعاصر: 36، 101، 104، 224
خطاب الهوية: 22
خوجة، سعد الدين: 52

- د -

دجلة (نهر): 37
درويشيان، علي أشرف: 113
دريدا، جاك: 31
الدكتاتورية اللغوية: 180
دنوير: 67
دهوك: 172
دواناد: 83
الدولة الأموية: 148
الدولة التسلطية: 175
الدولة الكردية: 14
دويتش، كارل: 209
ديار بكر: 65، 162
ديرسيم: 65
الديمقراطية: 168
الديموغرافيا اللغوية: 69

- ذ -

الذاكرة التاريخية: 11، 46
الذاكرة الجمعية: 156
الذاكرة الفردية: 156

- ر -

رأس السنة الأفستية: 49
رأس السنة الكردية: 49
راندل، جوناثان: 141-142
رَروخ، زادا نمه: 148
روسيا الاتحادية: 154
روسيا القيصرية: 132
الرؤية الاستعمالية للغة: 195
الرؤية المعرفية للغة: 195
ري: 49

- ز -

زاخو: 172
زارو، مسكينو: 85
زرادشت: 48
الزرادشتية: 22، 48-49، 54، 85
زكي، محمد أمين: 129، 140

- س -

الساسانيون: 37، 85

سايكس، مارك: 72

السرديات التاريخية: 37، 46

السرديات الدينية: 37

السلطنة العثمانية: 52، 87، 132، 176

سليمان (النبي): 51

السليمانية: 42، 67، 129، 140

سميث، آدم: 189

السنّة: 169-170

سوران: 66

سورية: 22، 64، 91، 95، 111، 116، 127، 129، 135، 137

سون، إيلي بانيستر (الميجر): 42، 129، 136، 140

سياسات الاحتواء الثقافي والرمزي: 22

السياسات اللغوية: 143، 145، 147، 153-156، 165، 167، 175، 179، 210، 223-225

سيرت: 162

- ش -

الشاهنامة: 50-51

الشبك: 152، 169

الشتات الكردي: 29، 64، 74، 101، 122-124، 179، 198

شجرة اللغات الإيرانية الحديثة: 64

شرق الأناضول: 37

الشرق الأوسط: 153، 171، 176

الشعر الكردي: 102

الشعوب الآرية: 48

شمال العراق: 44، 54، 64، 106-107، 131، 173-174، 179، 185-186، 196، 220

شمو، عرب (عرب شمس الدين شامل): 13، 125، 127، 132-135

شهريان: 67

شيخان: 54

الشيعة: 169

- ص -

الصحافة الكردية: 42

صدقي، سعيد (الملا): 129

الصراع اللغوي: 216

الصين: 74

- ض -

الضحاك (الملك): 51

- ط -

الطاجيك: 48

الطالباني، جلال: 187

- ع -

عثمان، أمين: 105

العثمانية: 170

العراق: 22، 64، 67-69، 95، 110، 127-129، 131-132، 135-137، 142، 158، 178، 187-188

العروبة: 72

عزيز آغا، أحمد: 130

عشيرة رشوان: 90

العصبية الإثنية: 77

العقائد الدينية: 22، 56

العقائد القومية: 56

علم الاجتماع السياسي: 22

علم الكلام: 77

علم اللغة الاجتماعي: 12، 21، 120

علم اللغة السياسي: 12، 22

العلويون: 169-170

العنف: 142، 167، 176

العنف الرمزي: 155، 176

العولمة: 93، 97، 168

عيد النوروز: 49، 160

- غ -

غارزوني، ماوريتزيو: 41-42، 138

الغزو الثقافي: 16

الغزو الديني: 16

الغزو اللغوي: 16

غلنر، أرنست: 206

غوته، يوهان فولفغانغ فون: 225

- ف -

فاريل، و. ج.: 129

فاطمة الزهراء: 49

فخر الدين (الشيخ): 85

الفرات (نهر): 37

الفردوسي، أبو القاسم منصور بن فخر: 50-51

الفرس: 48-51، 85

فرنسا: 115، 193، 197

الفقد اللغوي: 118

الفكر السياسي الكردي: 104

فلسطين: 192

الفن الكردي: 114

فورة الهويات: 22، 27، 205، 218

فيتغنشتين، لودفيغ: 57

الفيلية: 152

الفيليون: 68، 169

- ق -

قاتاني، درويش: 85

القبائل الكردية: 72

القبلية: 31، 220

القبلية السياسية: 31، 220

القرآن الكريم: 75، 77، 88، 96، 130

قصر شيرين (إيران): 68

قطل، درويش: 85

القفقاس: 64، 132، 134

قمندار، إسماعيل: 68

قوة الإرادة: 21

قوة الأيديولوجيا: 21

القومية: 27-31، 36، 59، 123، 153، 172، 177، 189، 191، 194، 206-207، 209، 219

القومية الكردية: 137، 172، 188، 225

- ك -

كاكه يي، مهدي: 85، 92-93، 198، 217

كالفي، لويس: 73

كان، مارغريت: 155

الكتابات الكردية المعاصرة: 151

الكرد التركمان: 169

الكرد السنة: 169-170

الكرد العلويون: 169

كردستان: 12، 29-30، 37، 53-55، 65-67، 69، 74، 82، 85، 87، 105-107، 111، 168، 173، 179، 198، 211

كردستان إيران: 216

كردستان العراق: 54، 106-107، 141، 160، 172، 174، 179، 196، 199، 216

الكردوخيون: 37

كركوك: 64، 67

كرماشان: 67

كريم، محمد ملا: 85

الكلدانيون: 82-83

كمال، ياشار: 113

الكمالية: 81، 90-91، 94، 110، 137

كورش: 48

- ل -

لازو (اللغوي الأرمني): 133

لالش: 54

لبنان: 95

اللغات الآرية القديمة: 39

اللغات الأوروبية: 73

اللغات الإيرانية: 38، 43

اللغات الهندو - آرية: 39

اللغات الهندو - أوروبية: 38-39

اللغة الأرمنية: 111، 132

اللغة الإسبانية: 154

اللغة الألمانية: 72، 123

اللغة الإنكليزية: 107، 143، 154، 192، 198-199، 210-211

اللغة الأوردية: 77

اللغة الإيطالية: 115

اللغة البهلوية: 85

اللغة التركية: 56، 63، 77، 88، 105، 111-114، 122،

128، 149-150، 152، 163، 188، 195، 199، 215

اللغة الزازائية: 65، 112، 169

اللغة السريانية: 107

اللغة السنسكريتية: 144

اللغة الشفوية: 82، 103، 143، 194

اللغة الصينية: 73

اللغة العبرية: 14، 92، 153، 185، 191-192

اللغة العربية: 40، 49، 63، 68، 73، 77، 86، 88، 92، 94، 105، 107، 111-113، 122، 128، 134، 144، 149-152، 154، 172-173، 178، 188، 192، 195، 199، 212، 215

اللغة الفارسية: 38، 63، 68، 70، 77، 88، 105، 111، 113، 128، 139-140، 149-150، 152، 188، 195، 199، 215

اللغة الفرنسية: 72، 115، 122، 191، 193، 199

اللغة الفصحى: 44، 75، 106، 116، 118-119، 180، 187، 191، 197، 216-217

اللغة الكرمانجية: 48، 64-66، 73، 121، 137، 172، 188، 216-218

اللغة الكورانية: 169

اللغة اللاتينية: 73، 134

اللغة الميدية: 85

اللغة الهورامية (أو الغورانية): 48، 53، 68-69، 71، 217

اللهجات الجنوبية: 12، 63، 66-69، 107، 216

اللهجات الشمالية: 12، 63-64، 66، 69، 107

اللهجات الفرعية: 12-13، 63، 65، 81، 123، 127، 176، 197، 212

اللهجات الكردية: 13، 25، 63-64، 97، 101، 136، 167، 188، 218

اللهجة الأديامانية (أو المرعشلية): 65
اللهجة الأورفية: 65
اللهجة الباجيلانية: 69
اللهجة البادينانية: 107
اللهجة البرجيندية: 65
اللهجة البكرانية: 65
اللهجة البوتانية: 65، 105، 150
اللهجة البيازيدية: 65
اللهجة الجوانشيرية: 65
اللهجة السليفية: 105، 150
اللهجة السنجابية: 69
اللهجة السنجارية: 65
اللهجة السورانية: 67، 73، 107، 121، 173، 187-188، 216، 218
اللهجة السورجية: 65
اللهجة السينثية: 69
اللهجة الفيلية: 68
اللهجة القصر شيرينية: 68
اللهجة الكاكائية (أو الدرغازينية): 69
اللهجة الكرماشينية: 69
اللهجة الكرمنشاهية: 69
اللهجة الكلهورية: 68
اللهجة الكوكانية: 65
اللهجة الكيندولية: 69
اللهجة الليكية: 69
اللهجة المهمدية: 105، 150
اللهجة الموكرية: 68
اللهجة الناكيلية: 68
لهجة الهكاري: 65
لهجة اليانكي (أو الجوديكاني): 65
ليرخ، بيتر: 43، 132
ليسكو، روجيه: 136-137

- م -

ما بعد الحداثة: 27
ماسي التوراتي: 83
ماكولاي، توماس بابنغتون: 143
ماكينزي، د. ن.: 136
المجال الكردي: 11، 13، 16، 22، 30-31، 46-47، 56، 58، 63، 65-66، 74، 81-

82، 97، 101، 104، 108-110، 116-117، 138، 141-142، 145، 147، 153-154، 157، 159، 167، 169-170، 173-175، 185، 200-201، 205، 210-211، 219-220، 223، 225
المجتمع الكردي: 72، 104، 120، 149، 162، 167
المجمع العلمي الكردي (أربيل): 196
محمد (رسول الله): 49، 76، 162
المذهب السني: 152
المذهب الشافعي: 65
المذهب الشيعي: 152
المسألة الكردية: 17-18
المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين: 51
المسيحية: 72، 154
المسيحيون: 169
المشاركة السياسية والاجتماعية: 175
مشروع تغيير الألفبائية: 92-94
مشروع «تنمية جنوب شرق الأناضول» (GAP): 160
مشروع الكرد القومي: 14
مصحف رش: 85
مصر: 95، 135
المعهد الكردي بباريس: 84
المقاومة اللغوية: 149
مكدول، ديفيد: 142
ملاتيا (جبال): 90
ملحمة جلجامش: 221
ملكشاهي، بتول: 68
منظمة Pen الكردية: 217
المواطنة: 168
موريس، هارفي: 141-142
موش: 105
الموصل: 66، 69
موكرياني، كيو: 148
الميتانيون: 37
الميديون: 54، 85
ميزوبوتاميا: 37

مينورسكي، فلاديمير: 42-43، 64، 139-140

- ن -

النازية: 123
نالي الشهرزوري، خضر (الشاعر الكردي): 102
النرويج: 152
النظام الإقليمي: 11، 223
النظام العالمي: 11، 223
نظرية اللغة: 35، 56، 225
نظرية المؤامرة: 16
نوري، إحسان (باشا): 128
نويل (الميجر): 90
نيكتين، باسيل: 40، 43، 139

- هـ -

هامر - بروغستال، جوزف فون: 138
هرات: 49
هكاري: 49، 65-66، 69
همدان: 67
الهمداني، بابا طاهر: 85
الهند: 110، 143-144، 199
الهندسة اللغوية: 23، 36، 176، 186، 192-193، 197
هوبسباوم، إريك: 177
هوغن، إينار: 152
الهويات الجماعية: 57، 206
الهويات الفردية: 57، 206
الهوية الاجتماعية: 159، 206
الهوية الإثنية: 71، 96، 102، 123، 147، 159، 195، 206، 213، 218
الهوية الثقافية: 159-160، 168-169، 175، 206
الهوية الدينية: 152
الهوية الزازائية: 170
الهوية السنية: 170
الهوية السياسية: 159-160
الهوية العلوية: 170
الهوية الفرعية: 36، 78، 167-168، 170، 177، 218، 225
الهوية القبلية: 169

الهويـة القوميـة: 15، 77، 127، 147، 185، 198، 209، 213

الهويـة اللغويـة: 15، 24، 47، 57، 59، 71، 73، 91، 102، 110، 117، 123، 127، 152، 167-170، 175، 185، 195، 200، 218

الهوية المذهبية: 152

الهيمنة الرمزية: 210

- و -

الوحدة الكردية: 213

الوحدة اللغوية: 209، 213

الوطنية: 153

الوعي باللغة: 23

وهبـي، توفيـق: 13، 125، 127، 130-132، 135-136

ويلسون، و. سي. ف. (سير): 43

- ي -

اليارسانية: 53، 152

اليارسانيون: 52

ياقـوت الحمـوي، شـهاب الدين أبو عبد اللـه ياقوت بن عبـد الله: 87

اليد الخفية: 189

اليهود: 169، 192

اليوتوبيا: 29

هذا الكتاب

متى أصبحت اللغة هاجسًا لدى الأكراد؟ وما هو التحدي الذي أيقظ هذه المسألة؟ ومتى شعر الأكراد بالحاجة إلى لغة قومية؟ هذه الأسئلة وغيرها هي ما يحاول هذا الكتاب أن يجيب عنها من خلال دراسة العلاقة بين الأكراد واللغة والسياسة، والتركيز على سياسات الهوية كمدخل تفسيري لعلاقة الأكراد الملتبسة بالسياسة. ويتناول الكتاب، علاوة على ذلك، النظريات المتعددة في أصول اللغة الكردية، ثم يعرض، بالتفصيل، لمشكلة تعدد اللغات واللهجات، وللمشكلات التي يثيرها هذا التعدد من حيث إعاقة تكوين هوية موحدة، أو تطوير لغة وسيطة، أو من حيث مخاطر التهديد اللغوي الذي يتجلى بحلول اللغات المجاورة محل اللغات الكردية. وفي هذا السياق يعرض لتجارب توفيق وهبي وعرب شمو وجلادت بدرخان التي تطلعت إلى صوغ ألفبائية كردية وإلى الربط بين الهوية القومية والهوية اللغوية.

عقيل سعيد محفوض

حصل على الدكتوراه في العلاقات الدولية من كلية الاقتصاد جامعة حلب، سورية (2006). شغل منصب مدير التعاون الدولي في وزارة التعليم العالي (2007 – 2009). تتركز دراساته واهتماماته العلمية على الشؤون الإقليمية (المنطقة العربية وتركيا وإيران والأكراد).

صدر له:

- **جدليات المجتمع والدولة في تركيا: المؤسسة العسكرية والسياسة العامة** (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2008).
- **سورية وتركيا: الواقع الراهن واحتمالات المستقبل** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2009).
- **"العلاقات السورية – التركية: التحولات والرهانات"** (الدوحة: موقع المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2011).
- **السياسة الخارجية التركية: الاستمرارية – التغيير** (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012).

السعر: 10 دولارات

ISBN 978-9953-0-2824-8

9 789953 028248